

مكتبة المشورة الكتابية

# العلاقات

مادة خام جديدة بالإستثمار

The publication of this book has been made possible through the generosity of a student in the Master " of Biblical Counseling degree program in Egypt.

تيموثي لين & بول ديفيد تريب



Original English Title:

## Relationships

A.Mess.Worth.Making

Publisher: P&R Publishing

Author: Tim Lane - Paul Tripp

© 2006

ALL RIGHTS RESERVED

اسم الطبعة باللغة العربية:

## العلاقات

مادة خام جديرة بالإستثمار

الإعداد الفني: خدمة «ذهن جديد»

New Renovaré Ministry

www.nerمو.net

email:info@nerمو.net

المسئول: د. ياسر فرح

المترجم:

التليفون : (+2) 01203084135 - (+202) 22870640 - (+202) 26718765

«Renovaré» كلمة لاتينية بمعنى «to Renew» أي «يجدد»

رسالتنا هي: فاتركوا سيرتكم الأولى بترك الإنسان القديم الذي أفسدته الشهوات الخادعة، وتجددوا روحًا وعقلًا، ولبسوا الإنسان الجديد الذي خلقه الله على صورته في البر وقداسة الحق. (أفسس ٤: ٢٢-٢٤)

الناشر باللغة العربية: مركز دراسات المشورة الكتابية «Nouthetic»

E-mail: Noutheticegypt@gmail.com

«Nouthetic» كلمة يونانية بمعنى المواجهة الشخصية

(بالتوبيخ أو الإنذار أو التعليم أو النصح) بمحبة شديدة

واهتمام بغرض التغيير والتطبيق الشخصي لحق الله

رسالتنا هي: «وأنا نفسي متيقن من جهتكم يا إخواني أنكم أنتم مشحونون

صلاحًا ومملوون كل علم. قادرون أن ينذر (ينصح)

بعضكم بعضًا.» (رومية ١٥: ١٤)

مطبعة: سلفر ستار : 01221066730

رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠١٤/٩٠١٢

الترقيم الدولي: 978-0-9770807-6-2

The publication of this book has been made possible through the generosity of Steve & Barb Walke



The project of securing the publication rights to, raising the funds for, and overseeing the translation of biblical counseling-related books and training materials is a ministry of Overseas Instruction in Counseling (www.DiscoverOIC.org) a United States-based mission agency that trains biblical counseling trainers around the world.

# مناداة من أجل بناء العلاقات: فهي مادة خام جديدة بالإستثمار

«أنا شخص أميل للوحدة بطبيعتي... إلى أن مللت منها. يا ليتني قرأت هذا الكتاب عندما أجبرني الرب يسوع للدخول في علاقات معينة، لكنت أصبحت أقل جروحًا، على الأقل كنت فهمت أسباب جروحي، وكيف أصبحت مجروحًا؟، وكيف تسببت فيها للآخرين؟ وأين يمكنني أنا و(الآخرين) الذهاب من أجل الحصول على الشفاء من جروح العلاقات؟ ياله من كتاب رائع ومُعِين! سيُحدِث هذا الكتاب فرقًا كبيرًا في حياتك و في حياة جميع من تحبهم. إقرأ هذا الكتاب وسترغب في مصادقتي لمجرد انني نصحتك بقراءته.»

**ستيف براون، مؤلف، أستاذ بمعهد اللاهوت الإصلاحية، بأورلاندو، ومعلم في برنامج إذاعي محلي، إسمه «حياة مفتاحية».**

«العلاقات تحمل في طياتها الكثير من المشاكل... ولكنها لم تخلق لتبقى هكذا. يقدم لنا لاين وتريب في كتابهما الجديد، العلاقات: مادة خام جديدة بالإستثمار، معونة لا تقدر بثمن لحل لغز تعقيدات الدخول في علاقات. يذكّرنا هذان المؤلفان الموهوبان، من خلال تجنبهما لتقنيات بناء العلاقات المعقدة والمبندلة، المعتادة في الكثير من الكتابات الأخرى، بأن مفتاح تغيير علاقاتنا هو تغيير اتجاهات قلوبنا.»

روبرت جيفريس، راعي ومؤلف كتاب «فرصة ثانية، دور مختلف»

«بمعزل عن دعوة الرب لنا لنحبه من كل قلبنا، ونفسنا، وفكرنا ومن كل قدرتنا، لا يهيم الرب شيء أكثر من طريقة محبتنا لبعضنا البعض. يرضي الكثير منا بالقليل- من العلاقات الآمنة والسطحية في كل من، زيجاتنا، وأسرنا، وكنائسنا. أنا مسرور جداً من أن بول وتيم كتبا كتاباً مثل هذا، لإرشادنا للدخول في علاقات أعمق، وأغنى. أصلي أن تمتلك الشجاعة لتتبع مشورتهم.»

بوب ليبين، مضيف شريك، في برنامج «الحياة الأسرية اليوم»

«إن كلاً من بول تريب وتيموثي لاين على حق: فالعلاقات في حالة من الاضطراب! ولكنهما يكشفان للقراء، في كتابهما الجديد، عن الطريقة التي يمكنهم بها أن ينفوا ويعملوا على علاقاتهم القديمة المهملّة ليصلوا بها إلى مرحلة تألق ولمعان العلاقات الجديدة. «العلاقات: مادة خام جديرة بالاستثمار» هو كتاب مثالي للجميع لكل من له أم، أو أب، أو زوج، أو زوجة، أو صديق، أو جار، أو كلب أو قط..»

دوج هيرمان، مؤلف كتاب «حان الوقت لثورة من أجل التنقية» ومؤسس لحملة ثورة التنقية بكل مصادرها وكتاباتها ومؤتمراتها.

# المحتويات

- ١١ ..... الفصل الأول: أقصر وأهم فصل في هذا الكتاب
- ١٥ ..... الفصل الثاني: لماذا نهتم بالعلاقات؟
- ٣٩ ..... الفصل الثالث: لا نملك خيارات
- ٦١ ..... الفصل الرابع: الخطية
- ٨١ ..... الفصل الخامس: جداول الأعمال
- ١٠١ ..... الفصل السادس: العبادة
- ١٢٣ ..... الفصل السابع: تكلم
- ١٣٩ ..... الفصل الثامن: العقبات
- ١٦٣ ..... الفصل التاسع: الغفران
- ١٨٧ ..... الفصل العاشر: الرجاء
- ٢٠٧ ..... الفصل الحادي عشر: الأعباء
- ٢٣٣ ..... الفصل الثاني عشر: الرحمة
- ٢٥١ ..... الفصل الثالث عشر: الوقت والمال
- ٢٧٣ ..... الفصل الرابع عشر: التسديد الإلهي
- ٣٠١ ..... الفصل الخامس عشر: الخروج للآخرين



# كلمة للمترجم

«قال لي أحدهم ذات مرة، أن الرحمة سلعة، يرغب الجميع فيها لكن لا أحد يريد أن يقدمها. إلا أن الرب جاء بي إلى نقطة، رفضت فيها الاكتفاء بالحصول على الرحمة، ورأيت قيمة إعطائها وتقديمها. أردت أن يكون بيتي مكاناً يجد فيه الجميع الرحمة، وشعرت بالتعاطف مع هؤلاء اللذين لا يستطيعوا العثور عليها. أردت أن أستخدم المواهب والإمكانات التي أعطاها الرب لي لتخفيف محنة هؤلاء المتعبين، وأردت أن تقدم رحمتنا نموذجاً مصغراً من رحمة الرب للآخرين. ولكن الرحمة مكلفة جداً، وتكاليفها أكثر بكثير مما كنا نتخيل، وعندما جاءتنا فاتورة الحساب، فقدت الرحمة لمعانها وبريقها الذي طالما عشقناه وكنا متيمين به. وهذه كانت حالتي.»

هذه ليست كلماتي الخاصة بل كلمات الكاتب. ومن ضمن الكثير من الفصول والسطور وجدت هذه الأكثر وصفاً لحالتي الحالية التي ربما بسببها سمح الرب لي أن أقرأ هذا الكتاب ليعالج تلك المشكلة.

فالمحبة، والرحمة، والتحنن، والشفقة، كلها كلمات بسيطة ومعتادة، إلا أن تنفيذها صعب ويتطلب مجهوداً، تدوي في داخلي تلك الكلمات كصوت بوق، كصوت صارخ في برية هذه الحياة التي يعوزها، منذ البدء، المحبة والتحنن، صوت يقول هذا هو طريق الرب.

عندما بدأنا أنا وزوجي بيتنا الجديد كانت أحلامي كلها وردية، بأن يكون بيتي، بيتاً دافئاً مليئاً بالحب بلا صراعات، بيت كالشجرة التي تأوي إليها الطيور التي بلا مأوى وبلا ملجأ. وبالفعل بدأت فاتورة

الحساب تأتي إلي بمتطلبات أكثر مما أحتمل فقد عرفت أنه من الطبيعي أن تنشأ الصراعات أو أن المحبة تتطلب الكثير من التضحيات لاستمرارية علاقتي بزوجي ولامتداد عمل الملكوت ولتوصيل المحبة الحقيقية لكل من لا مأوى له أو لكل من لا يجد الحب، أو لكل من هو مكروه ومرفوض من المجتمع ولكني لم أكن أعلم أبداً أن تكلفة المحبة والرحمة والتحنن والرقّة والاحتمال عالية، وتتضمن الكثير من التنازلات، وأن سكة العلاقات العميقة تتضمن الكثير من ضبط النفس، والتخلّي عن الكثير من الرغبات الشخصية، واحتمال كل من لا يُحتمل، وعدم اختيار الزائرين (إذ أن الرب قال لي يوماً «أنا لا أنتقي من أقبله للملكوت وفقاً لمؤهلاته فهل تنتقن من يدخل منزلك وفقاً لدرجة احتمالك له؟»)

لقد كشف لي هذا الكتاب الكثير عن الكثير من أنانيتي وعدم كمال محبتي، فعندما اختبرت جزءاً مما فعله الكاتب من إحتواء فتاة يرفضها الجميع ومتمردة في بيته وجدنتني أشكو وأطلب الرجوع، وحينها تتحول رسالة المحبة التي نويت أن اقدمها إلى أكبر رسالة رفض لتلك الفتاة فجريت للرب من أجل المزيد من الاتساع وتحدي هذا الكتاب قدراتي في احتمال الآخرين. وعندما كان يأتي إلى بيتي من هم ليسوا على هواي كنت أجدني أرسم المحبة والفرح قبل مجيئهم وأرتدي رداء الضيق بعد ذهابهم فاكتشفت الكثير من الرياء ونقصان المحبة. وعندما كنت أصطم بزوجي صدمات تشبه الأمثلة الموجودة في الكتاب وجدت أن استجاباتي لم ترق لمستوى إيماني. ففي رأبي أن العلاقات ترمومتر الإيمان. فياليت حرارة ودفء علاقتي تكشف عن مدى عمق إيماني ولا تفضح ضحالتة.

أتمنى لكل من يقرأ هذا الكتاب أن يوسع هذا الكتاب من تخومه ويستعد للمزيد من تحديات الإيمان، وفواتير المحبة الحقيقية.

# شكر وتقدير

عادة ما يفترض القراء، عندما يكتب أحدهم كتابًا، أن الكاتب خبير في المادة التي يطرحها في كتابه. لنقل وبوضوح أن على قراءنا أن لا يفترضوا هذا الافتراض عنا! وطلبنا هذا وقعي جدًّا، ولاسيما، عندما يكتب أي شخص عن العلاقات، فلا أحد خبير بالعلاقات. لا يوجد شيء في الحياة أكثر تعقيدًا من هذا الموضوع. نتحدث في الفصل الأول عن صراعاتنا الشخصية لتعلم كيفية تقديم المحبة للآخرين بما فيها محبتنا لبعضنا البعض. لقد كتبنا هذا الفصل كمقدمة مختصرة. ولكن بناءً على آراء البعض قررنا أن يكون جزءًا لا يتجزأ من الكتاب. إذ أننا لم نرد أن ينسى الناس حقيقتنا، فنحن أيضًا خطاة نعتمد بصورة يومية على نعمة الله التي تساعدنا على القيام بما نشجع الآخرين على عمله.

لا يجب أن يعتم إدراكنا ومعرفتنا بوجود الصراعات وإمكانية الفشل في العلاقات على إدراكنا للحق الممتليء رجاء، المعلن لنا في المسيح، وهو أن العلاقات يمكن أن تستمر ويمكن أن تُصلح. يمكن للعلاقات أن تنمو! يمكن أن تزداد العلاقات عمقًا ومعنى وقيمة، أكثر مما كانت من قبل، فقد تقطعت العلاقات في السابق بسبب الخطية. نأمل أن يطرح هذا الكتاب كلا من جانبي العلاقات. فالعلاقات صعبة وفيها الكثير من المشاكل إلا أنها أداة يستخدمها الرب لإنقاذنا من أنفسنا. ويظهر لنا الرب من خلال العلاقات، عجزنا عن محبة الآخرين، بمعزل عن التواصل مع مصدر قوتنا، الموجود في علاقتنا بالرب الذي خلقنا وفدانا.

في ضوء هذا الكلام نريد أن نشكر هؤلاء الذين علمونا الكثير عن احتياجاتنا للنعمة. أولاً، الشكر لعائلاتنا التي نشأنا فيها ولآباءنا وأقربائنا الذين علمونا الكثير. ثانياً، الشكر لزوجاتنا ولأطفالنا، الذين يشاهدون صراعاتنا اليومية نحو النمو كأزواج وآباء. ثالثاً، الشكر للكنائس والخدمات التي فتحت لنا باب الخدمة فيها، لقد ساعدتنا الكنائس على تطبيق ما كتبناه من تعليم. رابعاً، نشكر فريق العمل في مؤسسة CCEF، التي تحدثت قدراتنا وشجعتنا طيلة الوقت. وأخيراً الشكر للكنائس التي نحن أعضاء فيها الآن. النمو في النعمة هو مشروع مجتمعي!

مرة أخرى نحن نُعلن عن امتناننا لعمل سو لاتز Sue Lutz وفريق العمل الخاص بتحرير هذا الكتاب. لقد تم تنقيح هذا الكتاب كثيرًا بفضل إشرافها الدقيق ومهارتها التحريرية. عملية تحرير هذا الكتاب نفسها كانت مصدرًا للنمو في علاقتنا ببعضنا البعض. ولهذا السبب، يمكننا أن نكون جميعًا شاكرين.

نتمنى لك، أن تدرك، أثناء قراءتك لهذا الكتاب، أننا لا نحتاج إلى تقنيات متطورة أو جديدة لنرى علاقاتنا تزدهر. بل إن كل ما نحتاج إليه، يتلخص في مؤهلات وصفات شخصية أساسية لا يمكن أن تتشكل إلا في داخل قلوبنا بالحق والكلمة. وهذه هي الطريقة التي تنمو بها علاقاتنا وتتشكل بها مجتمعاتنا لتعكس مجد الله ونعمته. نتمنى أن يساعدك هذا الكتاب في هذه المسيرة بطرق عملية. لأن كتابته ساعدتنا في هذه المسيرة.

تيم لاين وبول تريب

٥ يونيو ٢٠٠٦

# الفصل الأول: أقصر وأهم فصل في هذا الكتاب

إن كتابة كتاب تعتبر دائماً رحلة ذات منعطفات غير متوقعة. جرّب مثلاً أن تصمم وترسم مسار حياتك، فإنك لن تنتهي رحلة أبداً في المكان الذي كنت تتوي أن تصل إليه. هذا الفصل هو واحد من تلك المنعطفات غير المتوقعة، لأننا بعدما انتهينا من كتابة هذا الكتاب، أدركنا أننا يجب أن نشرح لك كيف تمت كتابته. الكتاب الذي أنت على وشك أن تقرأه هو كتاب عن علاقة وقد كتب في علاقة.

عندما اشتركنا في تأليف كتاب «كيف يتغير الناس»، قسّمنا الفصول وكتبناهم كل منا على حدة. ومع ذلك، قررنا كتابة هذا الكتاب معاً. عملنا في منزل Tim، Tim كان يكتب على الكمبيوتر و Paul يخطو جيئةً وذهاباً عبر الغرفة. ناقشنا طريقتنا في الكتابة، طريقة كتابة الجمل والفقرات والصفحات، والفصول. عندما انتهينا من العمل، اتفقنا على أن هذه العملية كانت واحدة من أكثر خبرات الخدمة تفرّداً ومتعّة في حياتنا.

ما نتج عن تعاوننا ليس مجرد اختبار اختبارنا أو تجربة مررنا بها، ولكنه كان مثلاً حقيقياً لأشخاص منكسري القلوب اختبروا نعمة المصالحة الإلهية في مجتمع منكسر ومجروح. لقد كتبنا لأننا مثال

لأناس غير كاملين وبهم عيوب دخلوا في علاقات حميمة واختبروا نعمة الله في الحياة اليومية وفي الخدمة. لم نكتب لحدثكم عن خبراتنا في الحكمة التي اكتسبناها من كثرة نجاحاتنا، ولكن لحدثكم عن الحكمة التي اكتسبناها من كثرة السعي والمعاناة، وسنفهم أكثر هذه النقطة عندما نقرأ خلفية تاريخية صغيرة عن علاقتنا.

قبل نحو خمس سنوات، كان Paul يعمل في هيئة المشورة المسيحية والأساس التعليمي CCEF ويدير قسم التدريب والتأهيل الكنسي المحلي. وجاءت هيئة CCEF واكتشفت أن هذه الوظيفة تتضمن مهامًا كثيرة جدًا على شخص واحد وقررت توظيف وتعيين قسًا محنًا ليعين Paul. تقرر أن Tim كان هو الرجل المناسب في المكان المناسب. بدأ كلانا العمل في نفس الغرفة في إثارة وتقدير متبادل. مع ذلك، نشأت المشاكل عندما بدأ كل منا، كاتنين من القادة عرف كل منهما الآخر من مسافة آمنة، العمل مع الآخر في نفس الغرفة! أصبح من الواضح لنا أنه، على الرغم من أن رؤيتنا مشتركة، إلا أن لكل منا شخصيته ومواهبه المختلفة. لم تستغرق خطيتنا، وضعفاتنا، وفشلنا وقتًا طويلًا لتظل علينا برؤوسها القبيحة.

فقد بدأت بعض الإهانات البسيطة ووقفت مشاكل سوء الفهم الكبرى في طريق تقديرنا المتبادل لبعضنا البعض وفي طريق العمل الذي جمعنا الله للقيام به. كانت تلك اللحظة لحظة حاسمة. وقفنا لنسأل أنفسنا إن كنا سنستسلم لخيبة الأمل والإحباط، أم سنلزم أنفسنا لفعل ما نعلم

الآخرين فعله عادة؟ وقررنا أن خيارنا الوحيد هو الثقة في المسيح بالطريقة التي نطلب من الآخرين أن يحيوا بها، وأن نعطيهم فرصة ليعمل فينا حتى يعمل من خلالنا.

نتسرع دائمًا وندّعي بأننا لسنا خبراء بالعلاقات. في الواقع، العكس هو الصحيح. هدفنا هو أن يساعدك هذا الكتاب على النظر من خلال نافذة خطايانا المتحطمة لرؤية مجد مخلصنا الكلي الحضور، الدائم العمل لإنقاذنا وتغييرنا. نريدك أن تعلم أن من كتبوا هذا الكتاب هم مثلك في صراعاتهم وإمكانياتهم. نحن خُطاة بسبب قدرتنا على التسبب في الضرر لأنفسنا ولعلاقاتنا. نحن بحاجة إلى نعمة الله لتتقذنا من أنفسنا. ولكننا أيضا أبناء الله، مما يعني أن لدينا رجاءً وإمكانيات كبيرة. ليس ذلك الرجاء الذي يعتمد على مواهبنا، أو خبراتنا، أو سجلّ حياتنا، ولكنه الرجاء الذي أساسه في المسيح. لأنه فينا ونحن فيه، إنه من الصواب أن نقول أن المسيح هو قوتنا!

جميعنا يُدرك جيدًا أننا في عمق ومركز خطة الله للتقديس. ولأن هذا صحيح، سنظل نعاني، لأن الأناية والكبرياء، والروح غير الغافرة، والتهيج، وعدم الصبر ستعاود مهاجمتنا بكل تأكيد. ولكننا لسنا خائفين ولا متروكين بدون رجاء، لأننا اخترنا ما يستطيع الله فعله في أحلك الظروف. العلاقات والخدمة التي هي جزء من السماء دائمًا تتشكل في دكان المشاكل. لا يتسنى لأي منا الفرصة للتواصل مع الكاملين أو لتجنب آثار السقوط على العمل الذي نحاول

أن نقوم به. إلا أننا، في أحلك الظروف، نجد أعرق التعزيات الموجودة في العلاقات والخدمة. نريد أن نؤكد لكم أن ما سوف تجدونه في هذا الكتاب هو صحيح. ونحن نعلم أنه صحيح ليس فقط لأننا قمنا بفحص لاهوت هذا الكتاب، ووجدناه صحيحاً، ولكن أيضاً لأننا اختبرنا إله الكتاب ووجدناه أميناً مرة تلو الأخرى. ما يعرضه هذا الكتاب ليس هو حكمة رجلين جاء إليك ليعينوك، ولكنه يعرض إيمان رجلين محتاجين يريدان أن يثبيرا إلى تعضيدات إلهية لا ينطق بها ومجيدة يمكن الوصول إليها، يعطيها لنا الإله الذي كان معنا وهو معكم. هو قريب، ومعكم، وفيكم. هذا يعني أن هناك رجاءً لكم، حتى في العلاقات التي تصيبكم بالإحباط وتحيركم. نصلي لك أن تختبر نعمته يومياً، كما نختبرها نحن أيضاً.

# الفصل الثاني: لماذا نهتم بالعلاقات؟

إِلَهِهِ، إِلَهِهِ، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي، بَعِيدًا عَنِّي خَلَاصِي، عَن كَلَامِ زَفِيرِي؟  
إِلَهِهِ، فِي النَّهَارِ أَدْعُو فَلَا تَسْتَجِيبُ، فِي اللَّيْلِ أَدْعُو فَلَا هُدُوءَ لِي.

مزمور ٢٢: ١-٢

«لقد وضعت أملاً كبيرة على صداقتنا. فما الخطأ وما الذي حدث؟  
اعتقدت أنني قد وجدت أخيراً شخصاً يمكنني الوثوق به.»

«لا أستطيع أن أصدق سؤالك عن نزاهتي بعد كل ما فعلته لك.  
لست الوحيد الذي فشل في هذه العلاقة. أنت أيضاً تسببت في أذيتي  
والممتني.»

«أترى، هذا هو ما تفعله دائماً. فأنا أتى إليك لنتكلم وأنت تقلب  
الحوار رأساً على عقب وتديره لينقلب ضدي. كم أنت بارع في جعل  
الآخرين يشعرون بالذنب تجاه فشلك وسقطاتك! مشكلتك هي أنك تتقن  
رؤية أخطاء الآخرين بدلاً من رؤية أخطائك. ليس لديك أدنى فكرة  
عن مدى أذيتك لي. لقد خنت ثقتنا عندما أخبرتهم بما قلته لك.»

من الواضح أنه لا توجد علاقة تقدم لك  
كل ما كنت تحلم به وتتمناه لهذه العلاقة.  
فأحلامك دائمًا ما تصطدم بالواقع،  
والواقع مر!

«لم تطلبي مني أبدًا إلا أخبر أحدًا بما قلته لي. لم أكن أعلم  
أن هذا سيؤلمك».

«اعتقدت أنك تهتم بي وبمشاعري بالدرجة الكافية التي لا تجعلني  
أحتاج أن أطلب منك ألا تخبر أحدًا بما قلنا! كنت أعتقد أن علاقتنا  
تهمك مثلما تهمني».

«أترى، هذه هي مشكلتي معك. أنت دائمًا تتصرف  
كما لو أنك أكثر التزامًا بهذه العلاقة مني. أنت ترقبني مثل الصقر،  
تترقب أي لمحة توحى بفشلي لتتقضّ عليها».

«لماذا يذهب بنا الحديث دائمًا إلى هنا؟ ألا يمكننا أن ندخل  
أي مناقشة صغيرة دون أن ينتهي بنا الأمر إلى قائمة من الاتهامات».

## هل تبدو لك هذه الشجارات مألوفة؟

بينما تقرأ هذه المحادثات، هل تجد منها ما هو مألوف؟  
ربما لم تستخدم في مناقشاتك نفس الكلمات التي استخدمناها

في الأمثلة، ولكنك على الأرجح، ستجد أنك في وقت ما في حياتك شعرت بنفس المشاعر. قد تذكر هذه الكلمات بعلاقات معينة في حياتك وبشخص محدد تعرفه. لقد شعرت بلسعة الألم وخيبة الأمل التي سببها الآخرون لك. كما أنك أنت تعرف جيداً أنك خيبت ظن البعض أيضاً. فمن الواضح لك أنه لا توجد علاقة تقدم لك كل ما كنت تحلم به وتتمناه لها. فأحلامك دائماً ما تصطدم بالواقع، والواقع مر!

«لا أصدق أنك فعلت هذا الأمر لي! من المشجع جداً أنني لم أحتاج أن أفعل هذا وحدي».

«لقد حصلت من هذه العلاقة بقدر ما قدمت لها. إن صداقتك كانت دائماً مصدراً مستمراً للتشجيع».

«نعم. ألا تذكر أول لقاء لنا، لم يتخيل أي منا ما قد يفعله الله بصداقتنا».

«ما أقدّره وأشكر الرب عليه، هو أنه على الرغم من أن الأمور لم تكن دائماً سهلة، إلا أنك كنت ملتزماً بالتعامل مع مشاكلنا وخلافاتنا بطريقة بناءة. صدقك في علاقتنا مريح للعلاقة ومنعش لها».

«لقد قدمت في علاقتنا نموذجاً ومثالاً للصبر والاستعداد للاستماع للآخر، حتى عندما كان يبدو الأمر صعباً. لقد استخدمك الله في حياتي ليساعدني ويعلمني الصراحة والصدق في الكلام بطريقة إلهية وبأسلوب مسيحي».

«أظن أن ما سنمر به لن يكون دائماً بهذه السهولة، ولكن من المشجع أننا ملتزمون بالتعامل مع مشاكلنا المستقبلية بهذه الطريقة».

## هل تبدو لك هذه الكلمات مألوفة؟

ربما لم تستخدم هذه الكلمات بعينها في حواراتك، ولكننا نأمل أن تتمكن من الاستمتاع بهذه الخبرة من الصداقة والتشجيع المتبادل في علاقاتك. لقد وضع الله الناس في حياتك ووضعك أنت في حياتهم. عندما تنظر إلى حياتك سترى بصماتهم في شخصيتك وطباعك. بالتأكيد كانت هناك أوقات كنت فيها سعيداً جداً لأنك لم تخض فيها بمفردك. لقد عوملت في هذه الأوقات بالصبر والنعمة، حتى بعد فشلك. وأنت أيضاً كنت مستعداً في الكثير من المواقف أن تغفر للآخرين واختبرت بركة القيام بذلك.

## عالمين

كانت إيلسا شاكرا جداً للرب على دائرة الأصدقاء التي أعطاها الله لها. لقد قضت أول شهرين، بعد انتقالها خارج ولايتها لتعمل بوظيفة جديدة في ولاية أخرى، في وحدة شديدة. قبل أن تأخذ قرار الانتقال إلى ولاية أخرى، لم يخطر ببالها ولم تتخيل أبداً أنها ستفقد كنيستها وأصدقائها بهذا الشكل. الشيء الوحيد الذي جعلها تستمر في الحياة قُدماً، هو التزام كيرت بمتابعتها، حتى يتمكننا من الاستمرار في علاقتهما وبالتالي من الزواج في المستقبل غير البعيد.

لم يمض الكثير من الوقت قبل أن تبدأ إليسا في التواصل مع الناس في كنيسة جيدة. أصبحت في علاقة وثيقة مع أماندا ومارثا. وكانت شاكراً جداً، أن الله سمح بوجودهما في حياتها. بدت الأشياء وكأنها كلها تسير على ما يرام: فهي الآن لديها أصدقاء يسكنون بالقرب منها، كما أن كيرت سيكون معها قريباً.

ثم بدأت الأمور تتغير. أولاً، رسائل كيرت التي كانت تأتي لها يومياً، لم تعد تأتي يومياً كما كانت. ثم توقفت رسائل البريد الإلكتروني التي كان يرسلها أسبوعياً. بدأت إليسا في التوتر والقلق عندما كانت تنتظر مكالمة مساء الجمعة (قمة متعتها الأسبوعية)، لم تأت هذه المكالمة مساء الجمعة. واتصلت إليسا بكيرت يوم السبت لتسأله، إذا كان كل شيء على ما يرام. وقال إنه على ما يرام، لكنه في الحقيقة كان واضحاً عليه أنه لم يكن على ما يرام. في الأسبوع الذي يليه قل التواصل جداً، فلم يكن منه سوى القليل من الرسائل النصية القصيرة. ثم تلقت إليسا بريداً إلكترونياً مطولاً من كيرت يوم الإثنين، ولكنه لم يكن ذلك البريد الذي كانت تنتظره إليسا. كتب كيرت أنه أعاد النظر في علاقتهما. وتوصل إلى أنه لن يفكر في الانتقال إلى الولاية التي هي موجودة بها الآن، وتوصل إلى أنهما يجب عليهما أن ينسيا علاقتهما. «سحقت إليسا وتألمت جداً. فكيرت لم يمه فقط علاقته بها، لكنه فعل ذلك عن طريق البريد الإلكتروني!

---

إن أعمق وأكثر جراحتنا إيلامًا تحدث في العلاقات. فهناك أوقات نتمنى فيها أن نعيش بمفردنا، وأوقات أخرى نفرح لمجرد أننا مع الناس.

---

الأيام التي تلت هذا البريد الإلكتروني، ظلت إليسا تحاول أن تحيط نفسها بالأصدقاء، لأن كل ما كانت تفعله عندما تكون بمفردها، هو البكاء. حب الناس لها ودعمهم لها جعلوا حياتها تستمر. من ناحية، كانت كل من أماندا ومارثا طبيبتان ومتقاهمتان بطريقة لا يمكن تصديقها. لكن من ناحية أخرى، غادر كيرت حياتها تاركًا إياها تعاني من الشعور بالخيانة. فهي لم تعتقد أبدًا أنها سوف تتخطى هذه الصدمة. وتساءلت حول إذا ما كانت العلاقات تستحق أخذ مخاطرة الشعور بمثل هذا النوع من الألم.

نحن جميعًا نعيش في هذين العالمين بطريقة أو بأخرى. فإن أعمق أفراننا وأكثر جروحنا إيلامًا موجودة في العلاقات. فهناك أوقات نتمنى فيها أن نعيش بمفردنا، وأوقات أخرى نفرح لمجرد أننا مع الناس. ولكن ما هو مؤكد هو أننا جميعًا قد تشكّلنا بشكل كبير وواضح من خلال العلاقات التي هي مليئة بكل من الحزن والفرح.

توقف للحظة لتفكر بامعان بشأن العلاقات في حياتك. فكّر في العلاقات في أسرتك أثناء نشأتك. ما هي القواعد والقوانين

غير المُعلنة التي تتبعها عائلتك؟ كيف كانت عائلتك تتعامل مع الصراعات والشجارات؟ ما هي الطريقة المُثلى والأسلوب النموذجي الذي كانت تتبعه عائلتك لحل المشاكل؟ هل كانت هناك أنماط منتظمة للغفران؟ هل رأيت في عائلتك أي سعي ومنح للمغفرة؟ ماهي الطرق التي كنتم تتواصلون بها معاً؟ من كان له أكبر دور وتأثير في العلاقات داخل العائلة؟ هل نشأت في أسرة هادئة أم صاخبة؟ ما هو شكل المحادثات التي تدور بينكم حول مائدة الطعام؟ هل كانت هناك بعض المواضيع المحرمة والممنوع النقاش فيها أم أن كل شيء متاح للنقاش؟ كيف تعبرون عن الغضب داخل الأسرة؟ هل يتم التعامل معه بطريقة إيجابية؟ في الفترات التي يزداد فيها الانشغال، ما هو مدى الاستثمار الذي يقدمه أفراد الأسرة لحفظ العلاقات الأسرية في وضعها الصحيح وإبقاءها صحية؟ هل كان يتم تحفيز أفراد الأسرة للإنجاز بصورة إيجابية أم بطريقة التهديد والحث على الشعور بالذنب؟ هل كان بيتك مكاناً للاسترخاء، والراحة، أم أنك تشعر فيه وكأنك تسير على قشر البيض ( تخشى الوقوع في أي خطأ)؟ إلى أي درجة كان أفراد عائلتك يقدمون مثلاً لخدمة الآخرين، ويشجعونها داخل الأسرة؟ ما هو نوع العلاقات التي كانت تقيمها عائلتك مع المجتمع المحيط؟

سُتظهر لك إجاباتك على هذه الأسئلة الأساسية، كيف شكّلت عائلتك وجهات نظرك بشأن العلاقات مع الآخرين. هل تبنيت قيم أسرتك؟

هل صراعات عائلتك صارت صراعاتك؟ تعد عائلاتنا التي نشأنا وخرجنا منها واحدة من العديد من التأثيرات التي تؤثر على رأينا في العلاقات ونظرتنا لها. أنت لم تصبح ما أنت عليه من تلقاء نفسك، ولهذا السبب تعتبر العلاقات غاية في الأهمية. فلا مفر من العلاقات، كما أنها شديدة التأثير. وتكمن صعوبة العلاقات في أن احتمالية السقوط في الخطية واختبار ملء النعمة كلاهما موجودان بقوة في العلاقات. فالخطية تقف في طريق ما تستطيع النعمة أن تفعله، في حين أن النعمة تغطي ما تتسبب الخطية في عمله. تُظهر علاقاتنا، هذا المزيج المتغير والمتحرك من الذهب الخالص والرواسب التي بلا قيمة، بوضوح.

## لا! لا أريد أن اقرأ كتابًا آخر في العلاقات!

بما أن مكتباتكم المحلية متكدسة بالفعل، بالمجلات والكتب التي تدور حول العلاقات، فلماذا تضيع وقتك في قراءة هذا الكتاب؟

ما الذي يمكننا أن نقدّمه في هذا الكتاب، الذي من شأنه أن يفيد كل من، أبسط الناس للذين لم يقرأوا قط عن العلاقات وأكثر الناس مللاً من مثل هذه الكتب؟ نريد أن نسلط الضوء على عدسة الله الفريدة من نوعها، التي يعطيها الله لأولاده، لينظروا بها في حياتهم. وستساعدك هذه العدسة على تحديد مسارك ومعرفة الطريق الذي ينبغي أن تسلكه في العلاقات خلال تقاطعات الخطية والنعمة المتشعبة

والمتشابكة في العلاقات. والتي بدونها، سوف تظل ساذجًا لا تفهم في العلاقات أو ستتمو متشائمًا كارهاً لها. عندما تواجه المشاكل، سوف تجد نفسك متروكًا وحيدًا مع الحكمة البشرية ومع بعض التقنيات التي يعلمها العالم في العلاقات التي تنتج حلولاً مؤقتة، ولكنها لا تضمن أي تغيير شخصي أو تغيير دائم في الشخصية. والخلل القاتل الموجود في ما تقدمه الحكمة البشرية من آراء ومشورة، هو أنها تعدك بأنه يمكنك أن تغير علاقاتك دون الحاجة إلى تغيير نفسك. وعندما يحكم حياتك ويتسلط عليها هذا المنظور، ينتهي بك الأمر في نهاية المطاف، إلى حلول بعيدة كل البعد عن ما يريده الله لحياتك ولصداقاتك. لاحظ الكاتب المسيحي C.S.Louis ما يلي:

«يرى إلهنا أن مشيئتنا وعزيمتنا ليست قوية جدًا كما ندعي، بل هي ضعيفة جدًا.

فنحن مخلوقات فاترة، يسهل خداعها ببعض من الشراب والجنس والطموح بينما معروض علينا الفرح الأبدي، مثل الطفل الجاهل الذي يريد أن يذهب ليصنع فطائر من الطين في أحد الأحياء الفقيرة لأنه لا يفهم ما يقصده أبواه من عرضهم عليه عظة في البحر. فنحن نرضى ونقتنع بالقليل ببساطة شديدة جدًا.»<sup>1</sup>

1 C. S. Lewis, *The Weight of Glory and Other Addresses* (New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1960), 3-4.

وفقاً للحكمة البشرية، فإننا نحاول حل ما نمر به من أزمات بطريقة تهدف إلى الحصول على الانفراج العلائقي، ولكن الله يريد أن يقودنا إلى نهاية قدرتنا على التحمل أو التعامل، بحيث يقودنا إلى أن نرى حاجتنا إلى العلاقة معه وكذلك مع الآخرين. كل شيء مؤلم نختبره في العلاقات يهدف إلى تذكيرنا بحاجتنا لله. وكل شيء جيد وصالح نحصل عليه من العلاقات هو كناية عن ما يمكن أن نجده فقط في الرب. وللمرة الثانية سنقتبس من C.S.Louis فهذه العلاقة الرأسية هي الأساس لكل ما يقول الكتاب المقدس عن العلاقات.

«عندما أتعلم أن أحب الله أكثر من أعز أصدقائي الأرضيين، سأحب أعز أصدقائي بصورة أفضل من محبتي لهم الآن. لكن لو اخترت أن أتعلم أن أحب أصدقائي على حساب الله وبدلاً من الله، سأتحرك بذلك نحو الحالة التي فيها سأفقد محبتي لأصدقائي الأعزاء. فإنه عندما نضع الأشياء ذات المكانة الأولى أولاً في مكانها فلن تفقد الأشياء ذات المرتبة الثانية مكانتها، بل ستزداد»<sup>٢</sup>.

من الواضح، أن ما يتحدث عنه لويس، لا تراه دائماً بهذا الوضوح في حياتك. كما أنه ليس واضحاً في حياتنا أيضاً. يوجد العديد من المؤشرات التي تكشف لنا عن ميلنا إلى عكس ترتيب الأشياء

2 C. S. Lewis, *Letters of C. S. Lewis* (New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1966), 248.

ووضع الأمور الثانية في المرتبة الأولى. ولهذا السبب نحن نتصارع مع:

الشفاء والتحرر من آثار لحظة من الأذى الشديد.

الغضب من الطريقة التي يُعقدُّ بها المراهقين من أبنائنا حياتنا.

أنا أصبحنا دفاعيين عندما يتحدانا أحدهم.

تجنب الصراع بسبب الخوف.

محاولتنا لمسايسة الأمور في العمل.

استسلامنا لحالة العلاقات المكسورة التي يمكن أن تلتئم.

النميمة عن الناس.

الكذب خوفاً من ما سوف يعتقده الآخرون.

المساومة على قناعاتنا للحصول على موافقة الآخرين.

بحثنا عن علاقات مريحة وتجنبنا للعلاقات الصعبة.

الشك في الله عندما تسوء وتتشوه علاقاتنا.

الغيرة من نجاح الآخرين في إنشاء صداقات ناجحة.

السيطرة في العلاقات بسبب الرغبة في الشعور بالأمان.

## الانفجار في الناس عندما نفشل في تحقيق برامجنا ودورنا وأهدافنا وتنفيذ جدول أعمالنا. الحياة في عزلة مريرة بسبب خيبة الأمل.

لهذا السبب يعتبر موضوع هذا الكتاب مهم جداً. فكل واحد منا، في حاجة إلى أن يكونَ فهمًا واضحًا لما هو مقصود بوضع الأمور الأولى أولاً، وكيف أن يسوع يُمكننا من القيام بذلك. كما إننا نحتاج أيضاً، إلى فهم ومعرفة، التغييرات العملية اللازمة، لعمل أجندة جديدة وجدول أعمال جديد من أجل علاقاتنا، ولمعرفة الخطوات الواقعية المادية الملموسة التي نحتاج أن نتخذها أثناء سعينا لإرضاء الله.

إن كل شيء مؤلم نختبره في العلاقات  
من المفترض أن يذكرنا بحاجتنا إلى الله.

## نظرة الكتاب المقدس إلى العلاقات

لأن هذا الموضوع هو شمولي جداً وكُتب على نطاق واسع، لذلك نريد أن نبدأ بثماني حقائق كتابية تلخص الطريقة التي يريدنا الله أن نفكر بها في علاقاتنا. وستشكل هذه الحقائق الطريقة التي نتعامل بها في كل شيء في هذا الكتاب. لن نناقش هذه الحقائق في كل فصل، لكنها الأساس للنموذج المسيحي للعلاقات الصحية الإلهية.

## ١- لقد خُلِقنا من أجل العلاقات.

تأخذنا هذه الحقيقة إلى سفر التكوين حيث بداية كل شيء. يطرح السفر أسئلة أساسية مثل، «من نحن، وما هي أهمية علاقاتنا؟» في تكوين ٢: ١٨، وَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهُ: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعُ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ». هذه الآية مرتبطة بشكل وثيق بتصميم الله للبشرية وليس باحتياج آدم. فقد خلقنا الله لتكون كائنات علائقية، لأنه هو إله علاقات. الله يعيش في مجتمع الثالوث الأب، والابن، والروح القدس، وهو خلق الإنسانية على صورته. لا يتحدث سفر التكوين الأصحاح ٢ في المقام الأول عن معاناة آدم لكونه وحيداً، بقدر ما كشف لنا عن طبيعته باعتباره الشخص الذي خلقه الله ليكون على ما هو عليه. لأن الله خلق آدم كائناً بسيطاً مصمماً للحياة الاجتماعية – شخص مُصمَّم من أجل العلاقات – لذلك لا تكتمل الخليفة بدون رفيق مناسب لهذا الكيان المخلوق. بينما يوضح سفر التكوين الأصحاح ٢ كيف أن كلاً من الذكر والأنثى يكمل كل منهما الآخر، إلا أن تطبيقات الحق تسيّر على نطاق أوسع لتشمل جميع العلاقات الإنسانية. وبالإضافة إلى ذلك، فإن كلمة «معين»، التي تستخدم في هذا النص لتعني حواء، تستخدم في الكلمة، لتتحدث عن الطبيعة التي تكمل نقائص البشرية، وتتم العلاقات. كلمة «معين» تستخدم بشكل أساسي لتصف الرفيق، وليس عامل مساعد في العمل.

إن السبب الذي يجعلنا متأكدين من معنى كلمة «معين» هو أن هذه الكلمة تستخدم لوصف علاقة الله مع شعبه. وعندما استخدمت هذه الكلمة بهذه الطريقة، لم تشر الكلمة إلى الله على أنه زميل في العمل أو موظف، ولكنها أشارت إليه كرفيقنا وشريكنا الأساسي الذي يجلب أشياء إلى العلاقة لا نستطيع نحن أن نوجدها في العلاقة. ( مزامير ٢٧ : ٩ ؛ ٣٣ : ٢٠-٢٢ ). لذلك الله لا يعالج في هذا النص مشكلة أعباء العمل التي يقوم بها آدم وحاجته لمن يفعلها بدلاً عنه، وإنما يوضح حقيقة أنه هو كائن اجتماعي يفتقر إلى الرفيق المناسب له. ومثلما خلق الله البشر وبدخلهم حاجة عميقة رأسية لرفقة الله، فقد خلقهم أيضاً من أجل الرفقة الأفقية مع أشخاص آخرين.

---

نحن جميعنا نبحث عن استراتيجيات أو تقنيات  
من شأنها أن تحررنا من آلام العلاقات  
ومن العمل الشاق الذي تتطلبه العلاقات الجيدة.

---

سفر التكوين الأصحاح ٢، يشير إلى حقيقة أن، العلاقات هي مكوّن أساسي من مكونات الكيان الذي صمّمك الله عليه. العلاقات مهمة جداً بالنسبة لله، للدرجة التي جعلته يصل بعمله الإبداعي إلى ذروته من خلال خلقه لحواء. ومعاً تستطيع هي وادم أن يختبرا معنى المجتمع، بصورتيه الرأسية والعمودية، في وجود الله الحيّ.

٢- من جهة ما، سنجد أن جميع العلاقات صعبة.

في حين أن الحقيقة الأولى مثيرة، إلا أننا علينا أن نتعامل مع الواقع. فجميع علاقاتنا تبعد عن الكمال. وإن اردنا إنجاحها، فهذا يتطلب العمل عليها. فبعد الأصحاب الثاني البهيج من سفر التكوين يأتي مباشرة الأصحاب ٣، حيث أن دخول الخطية سبب الإحباط والارتباك في العلاقات. ففي تكوين الأصحاب ٣، انخرط الرجل والمرأة في خطايا اتهام الآخر والافتراء. ويتدهور الحال في تكوين ٤، عندما قتل أخ أخيه.

في حين أن العديد منا لم يرتكبوا جريمة القتل، إلا إننا لا نزال نواصل ارتكاب هذه الخطايا فنحن نتأرجح بين خطية القتل وخطية الاتهام، وخطية اللوم. ولا عجب من أن علاقاتنا في حالة من الفوضى الشديدة! وتظهر بوضوح في علاقاتنا كل صراعاتنا مع الخطية. إذا كنت ترغب في التمتع بأي تقدم أو بركة في علاقاتك، سوف يتطلب الأمر منك أن تعترف بتواضع بذنبك وأن تُلزم نفسك بالعمل اللازم لبناء العلاقات.

٣- يميل كل منا إلى أن يجعل العلاقات هي المطاف والغاية بدلا من أن يجعل منها الوسيلة.

عندما نفكر بإمعان في سفر التكوين الأصحابات من ١-٣، يصبح من الواضح لنا أن العلاقة الأصلية التي صنعها الرب ليستمتع بها آدم

وحواء، كانت هي علاقتهما مع الله. من شأن هذا التواصل العمودي والرأسي مع الله أن يوفر أساساً للمجتمع الأفقي الذي كان ينبغي لهما أن يعيشا فيه مع بعضهما البعض. كل ما صنعه الرب كان يوجه أنظار آدم وحواء إلى علاقتهما الأساسية والرئيسية والابتدائية معه. وكان على جميع الخلق أن يعمل كالسهم يوجه أنظاره إلى الله. ولكننا بسبب خطايانا نميل إلى أن نعامل الناس اللذين هم من الخليقة بل وكذلك نعامل الخليقة وكأنها ذات أهمية أكبر. أصبحت الأشياء التي خلقها الله لتعلن لنا عن مجده، هي نفسها المجد الذي ننشده. ولهذا السبب عينه نرى مع C.S.Louis، أن مشيئتنا الشخصية ضعيفة جداً، وليست قوية كما نعتقد. فنحن نسعى إلى الاستقرار في العلاقات الإنسانية والشعب منها، بينما هي موجودة لأجل توجيهنا إلى الإشباع العلائقي المثالي الذي لا يوجد إلا في العلاقة مع الله. المفارقة هي، أننا عندما نعكس ترتيب الأوضاع ونرفع الخليقة إلى مرتبة أعلى من مرتبة الخالق، فنحن بذلك ندمر العلاقات التي قصد بها الله - وأعطاها لنا الله - لنستمتع بها - ولكي تمكّننا من الاستمتاع .

ع- لا توجد مفاتيح سرية تضمن لنا علاقات خالية من المشاكل.

نبحث جميعنا عن استراتيجيات أو أساليب تحررنا من آلام العلاقات ومن العمل الشاق الذي تتطلبه العلاقات الجيدة لبنائها. نأمل أن ما نتعلّمه، من الأساليب المتنوعة في التخطيط الجيد للعلاقات،

والمزيد من التواصل الفعّال، والتعريفات الواضحة للأدوار المتنوعة، استراتيجيات حل الصراعات والنزاعات، والدراسات البيولوجية حول الاختلافات الأساسية بين الرجل والمرأة، وتشكيل وبناء الشخصية- وغيرها من أنواع الدراسات التي لا يمكننا أن نذكرها كلها من كثرتها- سوف يصنع اختلافاً في علاقتنا. قد يكون هناك أهمية لكل هذه الموضوعات ذات القيمة ولكن فقط في دائرة العلاقات الإنسانية وبصورة محدودة، ولكن إذا كانت هذه الموضوعات هي كل ما نحتاج، فستكون بالتالي، حياة يسوع، وموته الكفّاري عنا، وقيامته، لا لزوم لها أو، في أحسن الأحوال، تكون زائدة عن الحاجة.

إن المهارات والتقنيات تغيرنا لأنها تعدنا بحل مشاكل العلاقات عن طريق محاولة تحسين وتغيير سلوكنا دون تغيير مسار واتجاه دوافع قلوبنا. ولكن الكتاب المقدّس يقول شيئاً مختلفاً جداً. فهو يقول أن المسيح هو الأمل الحقيقي الوحيد لصنع علاقات صحيحة، لأنه هو الوحيد القادر على الحفر داخل قلوبنا للوصول إلى أعماقنا لمواجهة ولمعالجة دوافع ورغبات قلوبنا الأساسية.

٥- سوف تتسامل، في مرحلة ما، عما إذا كانت

العلاقات تستحق كل هذا العناء

في مرحلة ما، سوف يُحبط كل منّا ويُصاب بخيبة الأمل من علاقة ما في حياتنا. إن صحة ونضج علاقة ما، لا تقاس بغياب المشاكل، ولكنها تقاس بالطريقة التي يتم بها التعامل مع المشاكل (المحتومة)

التي لا مفر منها. فنحن خطاة، نعيش في مجتمع مليء بالخطاة، منذ ولادتنا وحتى يوم مماننا. إن العلاقة الجيدة، تتطلب تمييز أنماط الخطية المتكررة التي تميل إلى إمرراض العلاقة وإزعاجها، بأمانة. كما أنها تنطوي أيضاً على، التواضع والاستعداد الدائم، لحراسة نفسي كشخص في العلاقة وأيضاً الشخص الآخر، من أنماط الخطية المتكررة هذه.

لأن الصراعات الموجودة في العلاقات بين البشر، تأتي نتيجة لمعارك روحية عميقة موجودة داخل قلوبنا، أما العلاقات الحكيمة فهي تسعى دائماً لتكون على بينة بهذه المعركة الروحية العميقة. حتى في أوقات السلم، يجب أن تكون يقظاً، فيما يتعلق بالطريقة التي يمكن أن تُسرق بها علاقاتك، بواسطة رغباتك الكامنة وراء قلبك، والقادرة على المراوغة بمهارة وبشكل مستمر.

كيف تتعامل مع خيبات الأمل العلاقتية؟ هل تلوم؟ تنكر، وتهرب، وتجنب الشخص أو المواجهة؟ هل تهدد؟ أم تتلاعب؟ أم هل تقول الحقيقة، وتبدي الصبر في العلاقة، وتقرب إلى الناس بلطف، وتطلب المغفرة وتمنحها، وتغفل وتهمل الهفوات والإساءات البسيطة، وتشجع وتُكرم الآخرين؟ دعونا نعترف بأن هذه الأسئلة تمسنا أينما كنا وفي كل وقت. إن النضج المسيحي الحقيقي، لن يكون أكثر عملية وواقعية من هذه الأسئلة الفاحصة!

٦- يسمح الله بدخولنا في علاقات مشوشة ومسيئة من أجل تحقيق أهدافه الافتدائية.

تذكرنا هذه الحقيقة السادسة، بأننا بطبيعة الحال نسعى إلى، تجنب الشيء ذاته الذي اختاره الله ليستخدمه ليجعلنا مشابهين لصورته! ألم تتساءل يوماً، لماذا لا يُصلح الله من علاقاتك بين عشية وضحاها (دون أن تبذل أي مجهود يذكر)؟ عادة ما نفكر أنه، إذا كان الله يهتم بنا حقاً، فسيجعل علاقاتنا أسهل. في الواقع، إن العلاقة الصعبة ما هي إلا علامة لنا على حب الرب ورعايته. نحن نفضل أن يغيّر الله العلاقة الصعبة، لكنه لن يُسر إلا إذا غيرتنا تلك العلاقة.

---

ألم تتساءل يوماً، لماذا لا يُصلح الله من علاقاتك بين عشية وضحاها (دون أن تبذل أي مجهود يُذكر)؟

---

إن ما يحدث أثناء العلاقات الصعبة المسيئة، هو أن حقيقة قلوبنا تظهر، وضعفاتها تنكشف، ونصل إلى نهاية قدراتنا على الاحتمال. ماذا يحدث عندما نصل إلى هذه الحالة؟ هل نبحث عن المساعدة التي لن نحصل عليها إلا من الله؟ إن ما يميز العلاقات الناضجة هو، وضع الشخص الضعيف والمحتاج رجاؤه في نعمة المسيح. لا تعتبر ضعفاتنا الشخصية، هي أكثر مظاهر العلاقات خطورة، ولكنها أوهاما

الشخصية وضلالات غرورنا التي توهمنا بقوتنا وقدرتنا. إن الاعتماد على الذات غالبًا ما يكون أحد مكونات العلاقة السيئة. في الوقت الذي فيه نود أن نتجنب المسيء من العلاقات وأن نستمتع بمجتمع عميق وحميم، يقول لنا الرب أننا، لن نعثر على الحميمية والعمق إلا أثناء عملنا على إنجاح أكثر العلاقات إساءة. ما هي أكثر العلاقات أهمية في نظرك؟ على الأرجح، هي تلك العلاقات التي دفعتك إلى العمل عليها والتمسك بها برغم الأوقات الصعبة والمؤذية منها.

٧- حقيقة أن علاقاتنا تعمل على حياتنا بل وتغيّر فينا هي علامة أكيدة راسخة على وجود النعمة.

واحدة من أكبر العوائق التي نواجهها في العلاقات هي العمى الروحي. عادة ما لا نرى خطايانا، كما أننا لا نرى الطرق العديدة التي يحمينا الله بها ويحمي غيرنا منها. يحمينا الرب باستمرار من أنفسنا من خلال تقييد (وكبت وقمع) خطايانا. نحن نشبه خادم أليشع جدًّا في ملوك الثاني ٦: ١٥-٢٢. فقد ارتبك من رؤيته لجيش العدو، الذي كان يحيط به، حتى فتح الله عينيه لرؤية جيش الملائكة الأكثر روعة الذي أرسله الله لحمايته. لماذا تمكّن هذا العبد من رؤية جيش الأعداء المحيط بإسرائيل فقط، بينما لم يتمكن من رؤية «التلال التي تكسوها خيول ومركبات النار» التي أرسلها الرب؟ إنه العمى الروحي الناتج عن عدم الإيمان.

كيف يمكنك قياس قدراتك في العلاقات؟ هل تقيس حجم المشاكل التي تمر بها أم أنك تقيس حجم حضور الله في حياتك وعلاقاتك؟ مع الوضع في الاعتبار طبيعتنا الخاطئة، سنكتشف أنه من المُدهش أن الناس لا يزالون قادرين على التواصل بالرغم من وجود الخطية في حياتهم! فإننا نسمع كل ليلة، نشرات الأخبار المسائية، تُعلن لنا عن الكثير من جرائم القتل والاعتصاب وكذلك أخبار السطو وحوادث السرقة، التي تشير إلى أن مجتمعاتنا أصبحت أماكن محفوفة بالمخاطر لا نشعر فيها بالأمان في العلاقات. ومع ذلك، فهذه النشرات الإخبارية، تفشل في إيقاف ومنع الآلاف من الأشياء الجيدة التي يقدمها ويفعلها الناس، ليجعلوا من تلك المجتمعات نفسها مجتمعات صالحة للعيش. إن المنظور الذي ننظر به إلى علاقاتنا، يمكنه أن يكون بنفس هذه الدرجة من الانحدار والميل التي أصابت عبد أليشع. فنحن نميل إلى رؤية الخطايا والضعفات البشرية والفشل أكثر من ميلنا إلى رؤية الأشياء الجيدة التي يصنعها الله داخل علاقاتنا وبالعلاقاتنا. إذا كنت تبحث عن الله في علاقاتك، سوف تجد دائماً أمور تشكر الرب عليها.

## ٨- يقدم الكتاب المقدس رجاءً واضحاً لعلاقاتنا.

هل تترك تحديات العلاقات مُحبطاً؟ هل يصدك صدق الكتاب المقدس عندما يتحدث عن المجتمع البشري؟ هل يبتلعك إدراكك بمقدار العمل الشاق الذي تتطلبه العلاقات؟ إذا كان الأمر كذلك، فأنت

مستعد لمعرفة هذه الحقيقة: إن ما حدث على الصليب من انفصال بين الله الآب والمسيح الابن والروح القدس، يقدّم لنا أساساً للمصالحة. لم تعاني أي علاقة على الأرض، معاناة أكثر من معاناة الآب والابن والروح القدس، عندما علق يسوع على الصليب، وصرخ في متى ٢٧: ٤٦ «بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيُّ: إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟». كان يسوع على استعداد أن يكون الابن المرفوض من الله الآب، حتى تعرف عائلتنا معنى المصالحة. لقد كان يسوع على أتم استعداد ليكون هذا الصديق المنبوذ حتى ننال نحن صداقات مُحَبَّة. كان يسوع على أتم استعداد أن يكون هو الرب والإله المرفوض حتى نحيا نحن في محبة خاضعة كل منا للآخر. اختار يسوع أن يكون الأخ المنبوذ حتى نتمكن نحن من إقامة علاقات بحسب فكر الله. اختار يسوع أن يكون الملك المصلوب حتى تختبر مجتمعاتنا السلام الحقيقي.

لقد صنع يسوع المصالحة في حياته وموته وقيامته، بطريقتين أساسيتين. لقد صالحنا يسوع مع الله، وهذه المصالحة أصبحت فيما بعد الأساس للطريقة التي يصلحنا بها الله مع بعضها البعض. فكما قال C.S.Louis، إن المسيح يسترد الأمور الأولى حتى لا تموت الأمور الثانية بل تزداد! عندما يملك الله في قلوبنا، يسود السلام في علاقاتنا.

لن يكتمل عمل المسيح إلا في السماء، ولكن هناك الكثير الذي يمكننا أن نتمتع به الآن. يعرض علينا العهد الجديد، الرجاء في أن علاقاتنا يمكنها أن تتسم بأشياء مثل التواضع والوداعة والصبر والصدق البنّاء والسلام والغفران والرحمة والشفقة والتحنن والحب. أليس من الرائع أن نعمة الله بإمكانها أن تجعل هذه الأشياء ممكنة ومتاحة في علاقاتنا، حتى للخطاة الذين في العالم الساقط! إن هذا الرجاء، يتحدى كل ما نصاب به من إحباط أو حتى رضى، قد يتكون لدينا حول علاقاتنا، لأن هناك دائمًا المزيد من النمو والسلام والبركة التي يمكن لنعمة الرب أن تجلبها إلى علاقاتنا، حتى هنا في الأرض. إن رجاء بشاراة الإنجيل يدعوننا إلى عدم رضا مقدّس من جميع علاقاتنا، حتى - بل وخصوصًا - من تلك العلاقات التي تتميز بالقليل من المشاكل الكبيرة.

## هدفنا ورجاؤنا

بينما تقرأ هذا الكتاب، رجاءً، ضع في اعتبارك أن هدفنا هو أن نكون صادقين بمثل صدق الكتاب المقدّس حول موضوع العلاقات. وإذا نجحنا، سيضع لك هذا الكتاب خريطة تسيير وفقاً لها، نحو ممارسة ما تعلّمت. فبالإضافة إلى كوننا صادقين، نأمل أن نكون إيجابيين بقدر إيجابية الكتاب المقدّس بشأن إمكانيات العلاقات. وهذا سيعطيك ما تحتاج من التشجيع اللازم لتسعى جاهداً لتربح

مكافأة العمل الشاق على العلاقات التي هي علاقات افتدائية تعويضية ناجحة. وإذا كنت تتساءل، لماذا نهتم بالعلاقات؟ فإن جوابنا سيكون: «لأن الله فعل ذلك».

## الفصل الثالث: لا نملك خيارات

وَكَانَا كِلَاهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لَا يَخْجَلَانِ.  
(تكوين ٢: ٢٥)

لقد انتقلنا للتو إلى منزل جديد ونحن أبعد ما نكون عن الاستقرار. بدت الحياة معقدة جدًّا وفوضوية في كل جوانبها. وبصورة تبعث على السخرية، بدأ جدول مواعيدنا متكدسًا وشديد المُطالبة. تراوحت أعمار أطفالنا بين سن سنتين وسن أحد عشر سنة، ويبدو أنهما ليسا في حالتها الطبيعية. ومرت الأسابيع بسرعة، أحسست وكأنني بدأت ارتدي بنطالي يوم الاثنين، ووجدت نفسي في يوم السبت حتى قبل أن أغلق السوستة!

كنا بالطبع نقيم مذبحًا عائليًا كل صباح، ونتناول معًا وجبة عشاء عائلي هادئ في المساء. لقد كنا حريصين على عمل الكثير من الأشياء بصورة جماعية كقيمة في عائلتنا، ولكن حياتنا كلها بدت وكأنها غيمة ضبابية ممثلة بضغط الشعور بالواجب والالتزام. لقد حاولنا أنا وزوجتي قضاء بعض الوقت معًا كزوجين، لكننا فقدنا الحماسة لعلاقتنا. لقد كنا في غاية الإرهاق وسمحنا للتوتر وعدم الصبر أن يأتي بيننا ويدخل في علاقتنا.

طلب مني ذات يوم أن أذهب إلى محل البقالة في وقت متأخر من الليل، لأننا، وللمرة الثانية، لم يكن في بيتنا ما يكفي من الطعام لنعطيهِ لأولادنا في وجبات الغداء التي يأخذونها في المدرسة في اليوم التالي. انتهيت من التسوق، وكنت في انتظار أن تتحول الإشارة إلى اللون الأخضر حتى أتمكن من الذهاب إلى المنزل، بينما انتظر الإشارة كنت أفكر، كيف كان سيكون حالي لو كنت أعزب! أنا جاد. كنت في حالة من اليأس من أهم العلاقات في حياتي، وكنت أتساءل كيف يمكنني أن أتعامل بنجاح مع نصيبي في الحياة.

في اللحظة التي فكرت فيها هذه الفكرة، ارتعبت جدًا! فأنا أحب أبنائي ويشرفني أن أعرف زوجتي ويشرفني أنها تحبني. فأنا لا أريد أن أحميا ثانية واحدة بدونهم. ولكن في تلك اللحظة، بدا لي، أن تلك العلاقات صعبة وتتطلب الكثير. أنا أحب عائلتي، ولكن في تلك الليلة في السيارة اصطدمت بحائط واقع العلاقات في العالم الساقط.

كل واحد منا اصطدم بالجدار الذي يسمّى، «لماذا كل هذا العناء في العلاقات مع الناس؟» فنحن نصل إلى نقطة ما في علاقاتنا حيث نتساءل إذا كانت تلك العلاقة تستحق ذلك العناء. فمثلاً قد تقرر الزوجة أن زوجها لا يستحق الانفتاح عليه بعد الآن. أو يذهب موظف ما للعمل، ويغلق بابه عند دخوله، ولا يفتحه إلا عند نهاية وقت العمل. أو يختار مراهق أن يبقى في حجرته منذ رجوعه من المدرسة وحتى تتم دعوته لتناول العشاء مع الأسرة. أو تختار فلانة عدم

حضور الاجتماع الأسبوعي لمجموعتها هذا الأسبوع لأنها لا تعتقد أن هذه المجموعة تستحق العناء. لقد تحولت التجمعات العائلية إلى مجرد مجموعة من الأفراد تتقاسم مساحة جغرافية واحدة، وأصبحت خالية من أي علاقة ذات مغزى. كما تحولت اجتماعات الكنيسة إلى اجتماعات شكلية مع القليل من المشاركة (أو بلا مشاركة) في حياة الآخرين. يعيش الكثير من الجيران جنبًا إلى جنب لسنوات عدة، ولكن لا أحد يعرف أي شيء عن الآخر.

ما هو العامل المشترك بين كل هذه السيناريوهات؟ كل منها واجه صعوبة في إقامة علاقات مع بعض الناس العاديين المجروحين في عالم مكسور، واختار جميعهم المغادرة. هل تعتبر هذه الاستجابات استجابات صحيحة؟ هل يصح لنا أن نحمي أنفسنا من أن يجرحنا أحدهم أو من أن نجرح أحدهم؟ وما الجريمة في أن أدخل العلاقات وأحافظ على أمانى؟

ولكن هناك شيء ما يجرنا مرة أخرى لنقيم علاقات مع أشخاص آخرين. فنحن نعلم جيدًا أننا لو عشنا في وحدة فلن نصبح بشرًا. لماذا يتساءل ذلك الموظف الذي يعمل في عزلة حول ما يفعله الآخرون خارج مكتبه؟ ولماذا يشعر ذلك المراهق بالخيرة عندما يرى أن والديه يهتمان بشقيقه أو شقيقته بالرغم من قراره بانعزاله وإبعادهم عنه؟ لماذا يصف الشخص الذي يختار أن يعيش بمعزل عن الآخرين، خبرته بكلمة «الوحدة»؟

فنحن نعلم جيداً أننا لو عشنا  
في وحدة فلن نصبح بشرًا.

في تواصلنا مع الآخرين نحن نتأرجح ما بين حالتين، حالة الانعزال من أجل حماية النفس أو حالة الحلم بعلاقات ذات معنى. أين أنت الآن؟ هل أنت تبتعد عن الآخرين بسبب أذى أحدهم لك؟ أم هل أنت تتحرك تجاه الآخرين لأنك عشت في وحدة لفترة طويلة؟ ما هي النزعة التي تلاحظها في حياتك؟ هل تتحرك عادة في اتجاه العزلة أم في اتجاه الانغماس الشديد في العلاقات؟ هل تميل نحو الاستقلالية أم نحو الاعتمادية؟ إن كل قرار نصنعه يتعلق بالعلاقات، يتحرك في واحد من هذين الاتجاهين. فنحن نميل إلى جعل أي علاقة ندخلها، إما أقل أو أكثر مما هو مفترض أن تكون عليه. بدون وجود نموذج كتابي يشرح لنا مكانة العلاقات في حياتنا، سنعاني من عدم الاتزان، والارتباك، والرغبات المتعارضة، والإحباط العام في علاقاتنا. إن مشكلتنا هي أننا لا نعلم كيف نشق لنا طريق داخل حقل الغام. حتى أفضل علاقاتك ستفاجئك بتحديات جديدة.

## نقيضان...

في حين أن معظمنا لا يعيش أيًا من هذين النقيضين، إلا أننا جميعًا نتحرك إما في اتجاه العزلة أو اتجاه الانغماس في كل علاقاتنا:

«أريد أن أحيأ في أمان» «لا أستطيع الحياة بدونكم»  
(العزلة) ← (الانغماس الشديد)

### الشكل رقم ٣-١

نحن نختلف في تواصلنا مع الآخرين من علاقة إلى علاقة، ولكن معظمنا، تميل مشاكله إلى أن تجتمع كلها في ناحية واحدة من هذين الاتجاهين. تميل غالبية المشاكل التي نواجهها في العلاقات، مهما كانت، إلى أن تأخذ شكلاً واحداً من بين ثلاثة أنماط علاقاتية معروفة.

### العلاقة المخيبة للأمال

هذه العلاقة تنشأ بين شخصان، أحدهما يميل إلى العزلة، والآخر يميل إلى الانغماس في العلاقات. واحد يتمنى أن يبقى في أمان في العلاقة، والآخر يحلم بالقرب والألفة في العلاقة. تخيل، ما شكل يوم العطلة بالنسبة لكل منهما؟ الشخص الذي يسعى إلى العزلة يأخذ معه في الحقيبة كومة من الكتب، في حين أن الشخص الذي يسعى إلى الانغماس في العلاقة يملأ برنامجاً بالكثير من الأنشطة ليستمتعاً بها معاً! كيف كنت ستشعر إذا كنت في مثل هذا النوع من العلاقة؟ سيشعر الانعزالي أنه مخنوق، بينما سيشعر الشخص الذي يميل للانغماس في العلاقة بأنه مرفوض. وبما أن توقعات كلٍّ منهما تصاب بالإحباط بصورة منتظمة، ستكون علاقتهما مخيبة للأمال بصورة

مستديمة. يعتقد كل منهما، أن منظوره الشخصي وتوقعاته عادلة ومنطقية، وبالتالي فإن خيبة الأمل المشتركة بينهما تؤدي في النهاية إلى الغضب.

### العلاقة المُنغمسة

في هذه العلاقة يتحرك الطرفان نحو الانغماس في العلاقات. كلاهما يلعب بمشاعر الآخر. لأن كلاهما اعتماديان، كل منهما يعتمد على الآخر، ينجرح كل منهما بسهولة عندما لا يلبي الآخر احتياجاته. لأن توقعات كل منهما للعلاقة كبيرة جدًا، يميلان إلى أن يعيشا بمعزل عن غيرهم من الناس. لو قرر طرفا هذه العلاقة أن يأخذا إجازة، فإنهما سيقضيان كل لحظة معًا. في حين أنك قد تعتقد أن التشابه في التوقعات من شأنه أن يؤدي إلى السلام والانسجام، إلا إنه في الواقع هذا التشابه ينتج المزيد من المشاكل - على الأقل في هذا النوع من العلاقة. لأن كل منهما ينظر إلى الآخر ليلبي له توقعاته العالية من العلاقة، مع الوقت، يصبح كلاهما، شديد الحساسية وينجرح بسهولة وناقذًا. يُنفق الكثير من المجهود في العلاقة للتعامل مع الإساءات البسيطة، المادي منها أو المحسوس. كل منهما يشعر بالألم لأن توقعاته من الشخص آخر لم تلبى بالكامل. كما إنهم يشعرون بالإحباط، لأنه مهما حاول كل منهما لإرضاء الآخر إلا أن محاولاتهم لا توفي توقعات الآخر. مثل هذا النوع من العلاقة مرهق لأن مقدار المجهود المطلوب من العلاقة يجعل السلام مستحيلًا.

## العلاقة الانعزالية

في هذه العلاقة يتحرك الطرفان في اتجاه العُزلة. يدرك كل شخص تماماً مخاطر العلاقات ويختار باستمرار سلامته وأمانه. محادثتهما محدودة وأمنة وغير شخصية. فإن كلاهما يميل إلى (التخفي وعدم الكشف عن الذات). أما عن العطلة المثالية لهذين الشخصين فهي تنطوي على الكثير من الوقت الشخصي في عُزلة، مع الحد الأدنى من التفاعل والتواصل. كل منهما له كتابه الشخصي، منغمس في عالمه الخاص به. هذا النوع من العلاقة هو نوع معقد، لأن في حالتها يصطدم كلاً من الرغبة في السلام والاستقلال مع التوق للدخول في علاقة. لأن كلاهما كائنات اجتماعية مخلوقة على صورة الله، لذلك يتوق كل منهما لأي شكل من أشكال الاتصال، مهما كان صغر حجمه وعلى الرغم من أن كلاهما يرغب في الشعور بالأمان، إلا أن رغبتهم بينهما، مما يجعل العلاقة فارغة ومخيبة للأمال.

في كل سيناريو من هذه السيناريوهات، يوجد مأزق ما في العلاقة. فنجد في العلاقة المخيبة للأمال، أن كلاً من طرفا العلاقة يتحرك بعيداً عن الآخر. أما في العلاقة المنغمسة، نرى أن تحرك كل من طرفي العلاقة يكون نحو الآخر بصورة شديدة بحيث يستحيل إثباع توقعات كل منهما. وفي العلاقة الانعزالية، تحول حركة كل منهما في اتجاه الشعور بالأمان دون حدوث أي علاقة حقيقية بينهما.

بينما نجد أن العلاقات في حد ذاتها ليست خطيرة، إلا أن توقعاتنا منها يُمكن أن تكون خطيرة.

هل وجدت نفسك في أي من هذه الأنماط أو النماذج؟ على الرغم من أن كل علاقة هي فريدة من نوعها ولا تشبه أي علاقة أخرى، إلا أنك قد ترى في أحد هذه الأنماط الثلاثة بعض الصفات التي تميز علاقاتك. كما يمكنك أيضاً، أن تفكر في علاقات الآخرين من حولك فقد ينطبق عليها واحد أو أكثر من هذه الأنماط. إن ما يثير اهتمامنا بشأن الأنماط الثلاثة هو أن كل منها يتحدث عن علاقة غير متزنة لأن كل شخص يحاول أن يزيد أو يقلل من حجم العلاقة ودورها. فالأشخاص المنعزلين يستنتجون من خبراتهم في العلاقات، أن العلاقات صعبة جداً، وهي غير ضرورية للحياة ولا تستحق العناء. فلسان حاله يقول («أنا لا أريد أن أكون مجرد مجموعة من العلاقات»). من ناحية أخرى، يقتنع الأشخاص المنغمسون في العلاقات بأن العلاقات هي كل شيء ويقولون عن أنفسهم («لا يمكن أن أعيش بدون علاقات»). وتمتد هذه الاستنتاجات الخاصة بالعلاقات لتصل إلى جذور القلب وتشكل توقعاتهم في العلاقات. تبدأ المشكلة عادة عندما تسوء العلاقات. لذلك على الرغم من أننا نرى أن العلاقات في حد ذاتها ليست خطيرة، إلا أننا نكتشف كل يوم أن توقعاتنا منها يمكن أن تكون خطيرة.

لهذا السبب نجد أنه من المهم أن نطرح أسئلة حول ماذا يريد الله من وجود العلاقات في حياتنا. نحن بحاجة إلى أن نسأل، «ما هو هدف الله من وجود العلاقات في حياتي؟ وكشخص مخلوق على صورة الله، كيف ينبغي أن تبدو علاقتي؟»

## إلهنا الذي يهتم بالجماعة

سألت جميع كتب العلاقات نفس الأسئلة التي سألتها حتى الآن. لكن لسوء الحظ، فإن معظمهم بدأ يجب على هذه الأسئلة من منظور بناء العلاقات الأفقية. لكن إذا كان صحيحًا أننا مخلوقون على صورة الله، فإن أول شيء يتعين علينا القيام به عندما نتحدث عن العلاقات هو أن نطرح أسئلة راسية بشأن العلاقة مع الله. عندما ننظر إلى الله سنفهم الكثير عن الهدف من العلاقات لا عن طريق فحص البشر وعمل اختبارات عليهم. يبدأ Miroslav Volf من الله ويتوصل أخيرًا إلى استنتاج حول جوهر الإنسان.

«لأن إله المسيحية ليس إلهًا يعاني من الوحدة، ولكنه إله له شركة مع الثالوث، لذلك فالإيمان به يقود الإنسان إلى شركة مقدسة معه.

كما إنه لا يمكن للفرد، أن يتمتع بالتواصل المغلق مع الله المثلث الاقانيم - ليشكلوا «رباعية»، هذا لأن الإله المسيحي ليس إلهًا يبحث عن العبادة الفردية.

فالشركة مع هذا الإله تقود بدورها إلى شركة  
مع الآخرين الذين يؤمنون بنفس الإله.

وبالتالي، يضع فعل إيمان واحد، الشخص، في علاقة  
جديدة، مع كل من الله والآخرين الذين يتواصلون  
مع الله.»<sup>١</sup>

هل يبدو لك هذا الكلام بعيد عن موضوعنا وغير عملي؟ قد تتساءل  
ما علاقة عقيدة الثالوث بعلاقتي بزوجتي أو بزميل العمل؟ إن سبب  
النفور، من دخول الله واللاهوت في أي مناقشة حول العلاقات  
الإنسانية، هو لأننا عادة لا نفهم اللاهوت. فنحن نرى اللاهوت  
على إنه دراسة منهجية للفكر المسيحي الذي ليس له علاقة تُذكر  
بحياتنا اليومية. ولكن، علم اللاهوت هو قصة حقيقية تتحدث  
عن علاقة الله بنا وعلاقتنا نحن اللذين نحيا في عالم مكسور  
مع بعضها البعض. من منطلق هذا التعريف،، سواء كنت «تفكر»  
بطريقة لاهوتية أم لا، فأنت «تحيا» اللاهوت كل يوم في قراراتك  
التي تصنعها والكلمات التي تنطق بها، في مشاعرك وفي اتجاهات  
قلبك. فكل هذه ما هي إلا استجابات تنبع من منظورك الخاص  
عن طبيعة الله وطبيعة نفسك وعلاقتك وطبيعة العالم من حولك.  
إن «وجهات النظر» هذه، هي علم اللاهوت، لأنها تعلمنا وتشكل  
الطريقة التي نعيش بها حياتنا. سؤالنا ليس ما إذا كنت لاهوتي أم لا،  
ولكن سؤالنا هو أي لاهوتي أنت!

1 Miroslav Volf, *After Our Likeness: The Church as the Image of the Trinity* (Grand Rapids: Eerdmans, 1998), 173.

يجمع كل شخص منا، مجموعة من «الحقائق» عن الحياة، تثبت صحة ما يؤمن به. تعمل هذه الحقائق كعدسة يفسر بها الحياة والعلاقات. الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد الموثوق به لهذه الحقائق المفسرة للحياة. إن حقيقة وجود الله هي الحقيقة الأساسية. فلا يمكننا أن نتحدث عن طبيعة العلاقات الإنسانية بدون أن نفكر أو نتحدث عن طبيعة الله، لأننا خلقنا على صورة الله. يقدم لنا الكتاب المقدس قصة إله هو مثل الأقاليم. هذا والأساس الذي نبني عليه فهمنا لمعنى ما يقوله الكتاب عن كوننا بشر لكننا مخلوقين على صورة الله. يبين لنا إنجيل يوحنا ١٧ : ٢٠-٢٦ الطريقة التي يربط بها الكتاب المقدس بين طبيعة الله وطبيعتنا كما يبين أهداف الله لنا. إن هذا الجزء، هو أكثر جزء مؤثر في الكتاب المقدس، لأنه يوضح صلاة يسوع لأتباعه في وقت تتميم خطته بموته على الصليب.

«وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلَاءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلِمَتِهِمْ، لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَيَّ وَاحِدًا، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي. أَيُّهَا الْآبُ أُرِيدُ أَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِيَ حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ

إِنْشَاءِ الْعَالَمِ. أَيُّهَا الْآبُ الْبَارُّ، إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ، أَمَّا أَنَا  
فَعَرَفْتُكَ، وَهُوَلَاءَ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. وَعَرَفْتُهُمْ  
اسْمَكَ وَسَأَعْرِفُهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ،  
وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ».

عندما صلَّى يسوع، بينما كان ينظر إلى فترة خدمته للناس  
وكل ما كان ينوي أن يتممه، وبينما كان ينظر إلى المستقبل ويتطلع  
إلى الصليب وكل ما سينتج عنه، انصب كل تركيزه على المجتمع!  
من بين كل الأشياء التي كان يمكن أن يصلِّي لها يسوع  
في هذه اللحظة، اختار يسوع أن يُصلِّي من أجل وحدة شعبه. لنتأمل  
في الافتراضات التي كانت أساس صلاة المسيح وإطار العلاقات.

١- الله هو المجتمع الوحيد في العالم كله الذي  
يعمل كما ينبغي.

عندما كان يتواصل يسوع مع الآب كان كل تفكيره منصباً  
على العلاقة الأبدية الموجودة بين الآب والابن والروح القدس. يتوق  
يسوع إلى أن يختبر كل شعبه نفس المستوى من العلاقة في علاقته  
بالرب وبالآخرين. إن ما قاله المسيح، يردد ويعلن، الحقائق الموجودة  
في سجل سفر التكوين الخاص بخلق البشر. كما قال  
Anthony A. Hoekema، «إن أول ما يصدمننا عند قراءة  
تكوين ١: ٢٦ هو أن الفعل الرئيسي موجود في صيغة الجمع:

«وَقَالَ اللَّهُ: «نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَىٰ صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا»<sup>2</sup> لقد قدّم لنا هذا العدد لمحة عن المجتمع الإلهي المثلث الأقانيم الآب والابن والروح القدس وهو يصمم المجتمع البشري ويصنعه على صورة الله المثلث الأقانيم. توضح صلاة يسوع في يوحنا ١٧ تصميم الله الموجود في سفر التكوين ١: ٢٦ عن طريق وصفة للوحدانية العميقة الموجودة بين الأقانيم الثلاثة والتي يريدها الله لنا وأهدافها. يعطينا يوحنا فهمًا وتميزًا لتصميم المسيح للكنيسة ولدورها. الله وحده يعلم كيفية مساعدتنا في التعامل مع صراعاتنا مع المجتمع هذا لأنه هو في ذاته مجتمع.

٢- الثالوث هو أكثر نموذج يناسب المجتمع البشري.

عندما يتحدث يسوع عن قصد الله للمجتمع البشري، فإن النمط الوحيد والنموذج الوحيد المناسب ليقدم لنا به مثالاً هو مجتمع الآب والابن والروح القدس. إن معنى ما يقوله يسوع في صلاته هو «أيها الآب، إن المثال الوحيد الذي قمنا بتصميمه لشعبنا ليكون نموذج للمجتمع هو مجتمعنا الذي نحيا فيه في علاقة ألفة وشراكة معًا.» عندما لا تفسر علاقاتنا في مسارها الصحيح، يمكننا أن ننظر إلى هذا النموذج.

هل يفاجئك أن الله يقدم نفسه كنموذج يحتذى حذوه المجتمع البشري؟ نعم يمكن أن تكون هذه الحقيقة، حقيقة صادمة، هذا لأننا

<sup>2</sup> Anthony A. Hoekema, *Created in God's Image* (Grand Rapids: Eerdmans, 1986), 12. While there are other aspects to what it means for humanity to be in God's image, the emphasis in this passage is on God as a divine community creating a human community.

نميل إلى التفكير في الله كفرد. في حين أن الله واحد، يقول الكتاب المقدس أيضًا أنه موجود في ثلاثة أقانيم.

إن تعليم الكتاب المقدس عن الثالوث،  
هو تعليم عملي جدًا عن العلاقات.

إن تعليم الكتاب المقدس عن الثالوث، هو تعليم عملي جدًا عن العلاقات، لأن الله نفسه هو نموذج المجتمع المحبّ والمتعاون والمتحد، حيث التنوع مصدر قوة وليس سبب عبء. إن كان الله يشكّلنا لنشابهه، فلننتشج لأنه سوف يعطينا النعمة لنعيش مثلما يريد لنا، في مجتمع مع بعضنا البعض.

٣- إن المخلوقين على صورة الله هم مخلوقين من أجل عمل مجتمع.

إن صلاة المسيح تعكس ما جاء في كلمة الله في سفر التكوين ٢: ١٨ عندما نظر الله على خليقته المجيدة قبل السقوط: «وَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهُ: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ...» ففكرة المجتمع البشري لم تكن خطة المسيح فقط لتلاميذه؛ بل كانت أيضًا خطة الله لجميع الناس من البداية. فعلى الرغم من أننا شعب ممتلئ بالعيوب يدخل في علاقات مشوهة، إلا أننا مخلوقين لنكون كائنات اجتماعية. فالمجتمع ليس مجرد واجب، بل هو جانب من جوانب إنسانيتنا.

٤- غرض الرب من مجتمع الإنسان ذو شقين:  
نمو الشخصية والشهادة إلى العالم.

صلى المسيح لتلاميذه أن ينموا ويعكسوا مجده للعالم المحيط الذي يراقبهم. إن الخلل في أنماط العلاقات الثلاث الموضحة سابقاً هو أن كل فرد فيها حركته رغبته الشخصية بدلاً من مقاصد الله. بينما نعيش معاً في مجتمع واحد، يجب علينا دائماً أن نضع جدول الأعمال، الخاص بمجد الله، في أول قائمة اهتماماتنا. يجب أن لا تتشكل علاقاتنا بحسب ما نريد، ولكن بحسب ما ينوي الله لنا ولحياتنا.

٥- إن المركزية الذاتية التي تسببها الخطية  
تفصلنا عن الله والآخرين

لو كان بإمكاننا تكوين مثل هذا النوع من المجتمع بمفردنا، فما كان يسوع ليصلي لنا ويتحرك نحو الصليب. في يوحنا ١٧: ١٧، صلى يسوع لتلاميذه أن ينموا. إن نقطة البداية عند المسيح هي نفسها عند الرسول بولس في كورنثوس الثانية ٥: ١٤- ١٥ وهو أن الخطية تأخذنا إلى داخل أنفسنا، بعيداً عن نعمة الله وعن الآخرين: «لأنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَخَصَّرُنَا. إِذْ نَحْنُ نَحْسِبُ هَذَا: أَنَّهُ إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لِأَجْلِ الْجَمِيعِ، فَالْجَمِيعُ إِذَا مَاتُوا. وَهُوَ مَاتَ لِأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعْيشَ الْأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدَ لَا لِأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لِأَجْلِهِمْ وَقَامَ.» لقد كشفت لي الليلة التي تخيلت فيها أنني أعزب،

عن أنانية صادمة موجودة داخلي. لقد أردت أن تكون الحياة مريحة ويسهل توقع أحداثها وسهلة. لقد أردت ذلك، لأنني اعتقدت أن ذلك سيكون أفضل لي.

## ٦- ينشأ المجتمع الإنساني الحقيقي فقط من الشركة مع الله.

تعتبر لغة يسوع في هذه النقطة، لغة صادمة. فهو يرحب بنا إلى هذا المجتمع الإلهي مع الأب والابن والروح القدس حتى نختبر معنى المجتمع مع بعضنا البعض. في تلك الليلة عندما كنت منتظرًا الإشارة لأذهب إلى بيتي، لم تكن مشكلتي الحقيقية هي أنني لم أكن أحب عائلتي كما ينبغي. مشكلتي الحقيقية هي أنني لم أحب الرب كما ينبغي. وهذا ما أضعف محبتي لعائلتي. لم يكن رعيي الحقيقي هو اصطدامي بكثرة مسؤولياتي، ولكن هذا الصدام كشف لي عن عدم ثقة في الله. لا يمكننا أن نبني مجتمعًا مع بعضنا البعض حتى نوجد في المجتمع الأصلي وفي شركة حقيقية مع الله. سنجد بالأسفل صورة لدائرتين تجسد علاقيتين، متحدتين في المركز، على عكس العالم الذي يرسم العلاقتين في دائرتين منفصلتين. إن دائرة المجتمع الإنساني لا يمكن أن تزدهر إلا داخل دائرة أكبر منها، وهي دائرة الشركة مع الله. صلّى يسوع لنا لكي نعرف أن محبة الله الأب لنا هي نفس مقدار محبته ليسوع! (يوحنا ١٧: ٢٣). يا له من ترحيب داخل مجتمع الشركة الإلهي!



فكر فيما قلنا كما هو موضح في الشكل ٣-٢.

٧- إن صلاة المسيح أكدت على الالتزام الموجود بين الأب، والابن، والروح القدس قبل بدء الخليقة.

لم يوجِد يسوع بصلاته فكرة جديدة للعلاقات الإنسانية أو للعلاقات داخل الكنيسة. بل إن صلاته عكست ما صممه الله منذ الأزل. لقد فقدت حماستي ورجائي كأب وكزوج لأنني فقدت رؤيتي لتصميم الله الأزلي للزواج. المخلوقين على صورة الله سيعكسون هذا الشبه وهذا المجد فقط عندما يحيوا في مجتمع ملتزم. عندما نظر يسوع إلى الصليب وإلى الهزيمة النهائية للخطية، كان يعلم جيداً أن موته وقيامته لن تعقد المصالحة بين الإنسان الخاطيء والله فقط، ولكن أيضا

بين الخطاة بعضهم مع بعض. لقد صنع موت يسوع وقيامته مجتمعاً جديداً تماماً، سنفهمه بالكامل في الأبدية. (راجع أفسس ٢: ١١-٢٢).

٨- الله يسكن في مجتمع مع شعبه حتى يعرف شعبه كيف ينشئون مجتمعاً مع بعضهم البعض.

يسوع كان يعلم جيداً، أثناء صلاته، أن الشعور بالذنب من الخطية يفصلنا عن الله وعن الآخرين. ولهذا السبب اختار أن يذهب إلى الصليب. لكنه كان يعرف أيضاً أن وجود الخطية المستمر سيجعل من الحياة داخل المجتمع فكرة مستحيلة، هذا إن لم يتم تعضيدنا بطريقة مستمرة ليستمر المجتمع. ما يجعل صلاة يسوع في يوحنا ١٧: ٢٢ صلاة مميزة هو أن المجد الذي يتحدث عنه يسوع هو مجد الروح القدس، الذي سمح ليسوع أن يخدم في وسط عالم ساقط. وقال يسوع أنه أعطى هذا الروح المجيد نفسه لنا، لأنه بدون الروح القدس لن نفعل شيئاً.

في تلك الليلة في سيارتي، لم أقم بقياس إمكانياتي وقدراتي بالشكل الصحيح. إن قدرتي على النجاح في ما دعاني الله لأتممه لم يكن مؤسساً على سجل نجاحاتي أو على حجم مسؤولياتي. بل إن قدراتي كانت مربوطة بالنعمة المعطاة لي في المسيح. لقد أعطاني يسوع كل ما يلزمي للعيش مع عائلتي وتتميم مشيئته. لقد واجه يسوع ما لا يمكن تصوره حتى أمتلك أنا به القدرة لأحيا في علاقات من المحبة.

هل ترى ما يجري هنا في صلاة يسوع؟ بينما كان يسوع يصلّي للآب من أجل خلق مجتمع إنساني جديد، كان يتوقع ما سوف يحدث لعلاقته الخاصة مع الآب وقت موته على الصليب وحمله خطايا البشرية. في متى ٢٧: ٤٦ «صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِيلي، إيلي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» وهذه الصرخة هي صرخة كسر التواصل بين أعضاء الثالوث، فقد انفصل يسوع عن الآب (قضائياً). لقد انقطعت علاقة الحب الأبدية الكاملة بين الآب والابن والروح القدس لتسمح لنا باستعادة علاقتنا نحن بالله وبالمصالحة مع الآخرين.

## إن الوجود على صورة الله، هو مجتمع في حد ذاته (مجتمع المخلوقين على صورة الله)

ماذا تلاحظ، عندما تنظر إلى المراحل لمختلفة من حياة شخص ما؟ ستلاحظ أننا كبشر نعتمد على أمهاتنا من لحظة حملها بنا ووجودنا كأجنة. وبمجرد ولادتنا، نظل بحاجة إلى رعاية أسرتنا لنا للبقاء على قيد الحياة. حتى بينما ننمو أكثر في الاكتفاء الذاتي والاعتماد على ذواتنا، نظل نبحث عن رفقة البشر. وكمراهقين نبحث عن قبول أقراننا لنا ونبدأ في تجربة الدخول في علاقات أعمق طويلة الأمد وأكثر التزامًا. كبالغين نعيش في مجموعة متنوعة من المجتمعات المتداخلة: الموجودة داخل الأسرة، والكنيسة، ومع الجيران،

وفي العمل. كلما تقدمنا في السن، ننظر إلى حياتنا ونتذكر شبكة علاقاتنا. إن أعز ذكرياتنا وأعمق آلامنا توجد في العلاقات وتنطوي على العلاقات. وأخيراً، تبقى أكثر اللحظات حزناً في حياتنا هي عندما يسرق الموت عزيز علينا.

ماذا نتعلم من حياة الأفراد؟ على الرغم من حقيقة أننا أفراد مصابون بالإنانية ونحيا في عالم ساقط، إلا أن حياتنا لا تزال تعكس صورة الله. الله مجتمع، ونحن كخليقته نعكس هذه القيمة. علاوة على ذلك، فإله أوجدنا داخل مجتمع ووضع بداخلنا الرغبة في التواجد في مجتمع. نهاية الأمر، لا يمكننا أبداً الهروب من طبيعتنا الأساسية ومن الصورة التي خلقنا الله عليها. هذه الصفة الخاصة بالشركة وإقامة العلاقات هي مركز هويتنا، وهي التي تقودنا إلى فعل أعظم الأعمال الخيرية أو ارتكاب أفظع الشرور الإنسانية. وقد تجلّى ذلك في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ عندما حدث أكبر فعل إرهابي وأكثر الأفعال البطولية في آن واحد. لقد أدت كراهية مجتمع ما لمجتمع آخر إلى الموت والدمار، ولكن حب آخرون لمجتمعهم أخرج أعمال مدهشة من الشجاعة والعطف والتحنن والتضحية بالنفس.

ما الذي تخبرنا به كل هذه البيانات الكتابية والاختبارية؟ تخبرنا بأننا لا يمكننا أن نتحدث عن البشر اللذين خلقوا على صورة الله بدون أن نتحدث عن العلاقات. ومع ذلك، غالباً ما يكون هذا الأمر هو أول ما نغفل الحديث عنه. فقط عندما يعيش البشر في مجتمع، يتمكنون من أن يشابهوا الله ويعكسون صورة الله لهذا المجتمع.

فقط عندما يعيش البشر في مجتمع، يتمكنون من أن يشابهوا الله ويعكسوا صورته.

## هل تنكر إنسانيتك؟

هل تعتبر العلاقات أمر اختياري؟ إن ما يعلمه لنا الكتاب المقدس وما توضحه حياتنا اليومية يقول: «قطعاً لا» لو كانت هويتي كإنسان مرتبطة بوجودي في مجتمع، إذا يُعتبر إنكاري وتجنبي وهروبي أو سوء استخدامي أو استغلالي أو تدميري للمجتمع هو إنكار لإنسانيتي. فنحن ننكر إنسانيتنا في كل مرة: نتجنب فيها شخص ما، ونغضب من أطفالنا، ونختار فيها العزلة عن مواجهة الأمانا وعندما نستغل إنسان آخر أو نترك مجال داخلنا للتعصب. يقول الكتاب المقدس في يعقوب ٣ : ٩، «بِهِ نُبَارِكُ اللَّهَ الْآبَ، وَبِهِ نُلْعَنُ النَّاسَ الَّذِينَ قَدْ تَكَوَّنُوا عَلَى شِبْهِ اللَّهِ.» عندما تلعن إنساناً آخر فأنت بذلك تدمر الهدف الذي خلقتما كليهما لإتمامه. ولأن الله هو من صمم المجتمع. فبالتالي ستجد نفسك في النهاية، تلعن الله الذي خلق هذا الإنسان، مما يعني أنك لا تنفي فقط إنسانية الآخر، وإنما تنفي إنسانيتك أيضاً.

في المقابل، في كل مرة تتحرك نحو شخص ما برحمة وتحنن، تؤكد على إنسانيتك. كما أنك تفعل هذا في كل مرة تهتم بأمر شخص

ما بقدر ما تهتم بأمورك وفي كل مرة تسعى إليه وتمنح الغفران، أو تصنع سلامًا. كل مرة تؤكد فيها على إنسانية شخص آخر، فأنت تكرم الخالق الذي خلقكما كلاكما. نحن جميعًا نتحول بين إنكار وتأكيد إنسانيتنا بسبب وجود كلاً من الخطية والنعمة. فتجد نفسك في لحظة ما تهدئ طفلك وفي اللحظة التي تليها تمارس خطية النميمة على الهاتف! وعندما تنوي أن تقدم خدمة ما لشخص ما، تتشاجر مع شريك حياتك حول أفضل طريقة لتقدير خدمتك وأعمالك الصالحة!

قال John Calvin، «لا يمكن أن نقتلع الأخطاء من قلوب البشر، إلى بعد أن نغرس بداخلهم معرفة الله الحقيقية.»<sup>3</sup> إذا كان هناك أي مشاكل في علاقاتك، فالحل يبدأ من الله. عادة، ما نبدأ بما نريد. ولكن إذا بدأت بنفسك وبرغباتك واحتياجاتك تضع نفسك في صدام مع شخص آخر اختار أن يفعل الشيء نفسه. هذا الاختيار سيحكم على العلاقة بالموت. فقط عندما نبدأ مع الله - الذي هو أكبر منا - نستطيع أن نهرب من نتائج أنانيتنا المدمرة. تحقق العلاقات أقصى إشباع لنا، هو عندما ندخل فيها ليس فقط لنرضي أنفسنا أو حتى الشخص الآخر، ولكن لنرضي الله. تكون دائرة المجتمع البشري صحية فقط عندما تكون موجودة داخل دائرة أكبر وهي دائرة الشركة مع الله.

3 John Calvin, *The Institutes of the Christian Religion*, Vol.1 (Philadelphia: Westminster Press, 1960), 73.

## الفصل الرابع: الخطية

«وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الْإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرٍ أَفْكَارٍ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شَرٌّ كُلَّ يَوْمٍ. فَحَزَنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الْإِنْسَانُ فِي الْأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ.» تكوين ٦: ٥-٦

ظل كل من كريستين وشاين أصدقاء منذ المدرسة الابتدائية. وفي المدرسة الثانوية بدأ شيء أكبر من الصداقة في النمو. وعلى الرغم من أن كل منهما دخل كلية مختلفة، إلا أنهما ظلا متقاربين وكانت علاقتهما وثيقة وكانا يقضيان على الأقل ثلاث عطلات نهاية الأسبوع في الشهر معًا.

لم يمض وقت طويل قبل أن يبدأ بينهما الحديث عن الزواج. شعرا أنهما محظوظان لأن كل منهما سيتزوج من صديق الطفولة! مرت سنوات الدراسة الجامعية بسرعة وبعد فترة وجيزة من التخرج تزوجا. تطلع كل منهما إلى قضاء بقية حياتهما معًا.

حصل كل من شاين وكريستين على وظيفة جيدة واشترى منزلاً جميلاً في الحي الذي كانا يحبّانه. كانت أيامهما مشغولة، لكن كانا يقضيان أمسيات رائعة معًا. كانا ينتظران فترة ظهيرة يوم السبت ليتناولوا وجبة خفيفة في المقهى البوهيمي بجوار بيتهما. كان الأمر يبدو وكأنه حلم وتحول إلى حقيقة، حتى بدأت كريستين تشعر

أنها مريضة. وسمعت الأخبار المروعة من طبيبها الذي أخبرها بأنها حامل. قالت كريستين إنها حاولت أن تكون حذرة جدًا! وأن هذا الحمل لم يكن جزءًا من الخطة. والآن كيف ستخبر شاين؟

كانت كريستين مرعوبة من مقابلة شاين ومن الإجابة على السؤال الذي كانت متأكدة من أنه سيسأله. تمنّت لو يفهم الأمر، ويأخذها لو تحمس، ولكنها كانت تعرف جيدًا أن هذا لن يحدث. كانت هذه المحادثة بمثابة نقطة تحول في علاقتهما. استاء شاين جدًا من أن كريستين «لم تكن أكثر حذرًا». انسحقت نفس كريستين لأنها رأت أن شاين كان يلقي باللوم عليها من جهة حملها وكان يتعامل مع الطفل وكأنه مرض. وفوق كل هذا كان كل من كريستين و شاين في حاجة ماسة إلى دخلها، ولكن في ظل حالتها الصحية الراهنة، لو استمرت على تلك الحال، لن تكون قادرة على العمل لفترة طويلة. لقد شعر شاين بالإحباط، بينما ظلت كريستين مريضة، وكانت مواردهما المادية تزداد سوءًا كل يوم.

يفترض الكتاب المقدس أن العلاقات  
ستظل مضطربة وفي حالة سيئة  
وستتطلب الكثير من العمل عليها  
في هذه الأرض.

سرعان ما بدأت مشاكلهما وصراعاتهما في إفساد العلاقة بينهما. أصبح شاين فظاً وفاقداً للرجاء. لقد نشأ شاين بشكل جيد، في أسرة مستقرة ماليًا. لذلك غضب لأنها وضعا أنفسهما في مأزق. أما كريستين فقد تألمت كثيرًا لأن أقرب صديق لها أصبح الآن أسوأ عدو لها. وتساءل كلاهما كيف وصل زواجهما إلى هذه الحالة من الفوضى.

## في وسط الفوضى

أفضل علاقة - بغض النظر مع من - هي الآن في حالة من الفوضى! توقف وفكر في أكثر علاقاتك إشباعًا. (إذا كنت تواجه صعوبة، إذاً نحن أثبتنا وجهة نظرنا). اسأل نفسك هذه الأسئلة البسيطة حول هذه العلاقة :

هل شعرت في هذه العلاقة أنه يُساء فهمك؟

هل سبق لك أن تألمت بسبب ما قاله الشخص الآخر؟

هل شعرت وكأن الآخر لم يسمعك؟

هل تشعر بالخيانة في هذه العلاقة؟

هل كان عليك أن تتعامل مع سوء فهم موجود بينكما؟

هل اختلفتما في قرار ما؟

هل لديك أو لدى الشخص الآخر أي ضغينة أو حسد؟

هل اختبرت الشعور بالوحدة حتى عندما كانت الأمور

تسير على ما يرام؟  
 هل سبق أن خذلك الطرف الآخر؟  
 هل شككت في محبة الشخص الآخر لك؟  
 هل شك الشخص الآخر في التزامك في العلاقة؟  
 هل كافحت من أجل حل صراع ما موجود بينكما؟  
 هل تمنيت لو لم تعطِ أو تخدم؟  
 هل شعرت بالاستغلال؟  
 هل سبق أن فكرت، لو كنت فقط أعلم به قبلاً!

هل تكشف لك هذه الأسئلة عن الصراعات والإغراءات الموجودة في أفضل علاقاتك؟ في حالتنا، تعتبر أفضل علاقاتنا هي تلك التي نقيمها مع زوجاتنا (هذا ما يفترض أن يكون، ولكن ليس دائماً). تزوج كلانا (الكاتبان) منذ عدة سنوات، ونحن نعتبر أن زواج كل منا قوي وممتلئ بالمحبة. فكل منا متزوج من امرأة نحن نحترمها جداً، كما نعتبر أن زواج كل منا استفاد من حكمة الله ونعمته. وعلى الرغم من ذلك، فإن كل منا من الممكن أن يجيب عن كل الأسئلة السابقة بـ «نعم»، كما أننا على يقين من أن زوجاتنا ستقول نفس الشيء.

ليس من الصعب أن نفهم سؤال يعقوب في يعقوب ٤ : ١  
 «مِنْ أَيْنَ الْحُرُوبُ وَالْخُصُومَاتُ بَيْنَكُمْ؟ أَلَيْسَتْ مِنْ هُنَا: مِنْ لَدَاتِكُمْ  
 الْمَحَارِبَةِ فِي أَعْضَائِكُمْ؟» ستساعدكم خبرتكم في العلاقات على فهم

لماذا ذكر الكتاب المقدس الكثير من النصائح والوصايا التي تدعونا إلى الصبر، والكرم، والغفران، والرحمة، والتحنن، واللطف، والتواضع. هذا لأن الكتاب المقدس يفترض أن العلاقات في هذه الأرض ستظل مضطربة وفي حالة سيئة وتتطلب الكثير من العمل. لو أن هذا الكلام ينطبق على أفضل علاقاتنا فكم بالحري العلاقات الأكثر صعوبة!

## داخلنا وخارجنا، مقلوب رأسا على عقب

من المغري أن ننظر إلى مشاكل علاقاتنا ونتوصل إلى أن المشكلة خارج أنفسنا (الأخر). هذا صحيح: الشخص الآخر هو بطبيعته ضعيف وخاطئ! لكن للأسف، نحن أيضاً خطاة وضعاف. يذكّرنا ما جاء في يعقوب ٤ : ١ (وكذلك الكتاب المقدس كله) بأن مشكلتنا الحقيقية هي في داخلنا. لكننا جميعنا اتخذنا قراراً بأن نقلب الأمور رأساً على عقب. فقد صار كل ما نريده لأنفسنا ومن الآخرين أكثر أهمية بالنسبة لنا من الله نفسه. لقد جعلنا من أنفسنا الأساس والله يأتي بعدنا. إلا أن الكتاب المقدس يدعو هذا الأمر خطية، لأننا بهذا نرفض حكم الله الشرعي على حياتنا ونقرر أن نحكم أنفسنا وحياتنا بنفسنا. عندما نفعل هذا، تتحرك رغباتنا الأنانية وتتحكم في علاقاتنا، مما يؤدي إلى مشاكل وصراعات وخيبة أمل في علاقاتنا مع الآخرين.

يصف الرسول بولس أكبر مشاكله باعتبارها مشكلة داخلية في رومية ٧ : ٢١-٢٥ :

«إِذَا أَجِدُ النَّامُوسَ لِي حِينَمَا أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى  
 أَنْ الشَّرَّ حَاضِرٌ عِنْدِي. فَأَيُّ أَسْرٍ بِنَامُوسِ اللَّهِ بِحَسَبِ  
 الْإِنْسَانِ الْبَاطِنِ. وَلَكِنِّي أَرَى نَامُوسًا آخَرَ فِي أَعْضَائِي  
 يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي، وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيئَةِ  
 الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي. وَيَحْيِي أَنَا الْإِنْسَانُ الشَّقِيُّ!  
 مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا الْمَوْتِ؟ أَشْكُرُ اللَّهَ بِيَسُوعَ  
 الْمَسِيحِ رَبَّنَا! إِذَا أَنَا نَفْسِي بِذِهْنِي أَحْدِمُ نَامُوسَ اللَّهِ،  
 وَلَكِنُ بِالْجَسَدِ نَامُوسَ الْخَطِيئَةِ.»

يستخدم بولس أربعة شروط مفيدة لوصف تجربته:

١. كلمة قانون: هو مصطلح يعنى مبدأ لا مفر منه يعمل في حياة بولس. هذا المبدأ يشبه مثلاً مبدأ الجاذبية: فأنت لا يمكنك أن تختار ألا تتبعه أو تتأثر به. لن تتمكن من الفرار من خطيتك الشخصية التي تؤثر على علاقاتك، حتى تتحرر من سلطان وجود الخطية.

٢. يوضح مصطلح الحرب الذي استخدمه بولس الرسول: المعركة المستمرة الدائرة داخله. هذا الصراع الداخلي، القائم بين رغبته في أن يفعل ما هو صواب وبين قوة وسلطان الخطية، لا يزال قائماً.

٣. يصف مصطلح يسبيني: خبرة حياة الخاطئ الذي افتداه الرب يسوع. هل سبق لك أن رغبت في أن تفعل الصواب، لكنك على الرغم من ذلك جُذبت نحو الخطية؟ هل سبق أن قلت لنفسك، لا أصدق أنني

فعلت هذا الأمر مرة أخرى! هذا هو ما يقصده بولس بكلمة يسبيني.  
فالسجين والمسبي هو شخص فقد حرّيته.

٤. **كلمة إنقاذ:** هي كلمة درامية عادة ما نغفلها عند دراستنا  
وقراءتنا لهذا الجزء، وإن كانت من المفترض بها أن تلمع بشدة  
في ضوء الكلمات الثلاث السابقة. عندما تطلب الإنقاذ، هذا يعني  
أنه تعدّر عليك مساعدة نفسك وتحتاج إلى مساعدة خارجية.

تعني هذه الكلمات الأربع أن مشكلتنا الأكبر موجودة داخلنا  
ولا يمكننا أن نتعامل معها بمفردنا. يعتبر تقييم بولس للصراع  
مع الخطية تقييمًا حكيمًا، لأنه يسترعي انتباهنا إلى تأثير الخطية  
على علاقاتنا. تؤثر الخطية على حياتنا بستة طرق أساسية.

---

بما أن العلاقات تدور حول الاهتمام بالآخر  
ووضعه في المركز، فإن أنانية الخطية  
وتمركزها حول الذات تؤدي حتمًا  
إلى تخريب تصميم الله للعلاقات.

---

## ١- التمرکز حول الذات

عندما ترفض الله، تخلق في داخلك فراغًا لا يمكن أن يبقى دون  
ملء. ستقودك الخطية بشكل غريزي لملء هذا الفراغ بنفسك.  
عندما ساءت الأمور مع شاين وكريستين، فإنهما على الفور بدأ

في أخذ وضع الأنانية وتساءل كل منهما «ما هو الأفضل بالنسبة لي؟» بدلا من النظر إلى وضعهما من منظور «ما الذي يفعله الله فينا ومن خلالنا؟». حيث أن العلاقات تدور حول الاهتمام بالآخر ووضعه في المركز، فإن أنانية الخطية وتمركزها حول الذات تؤدي حتماً إلى تخريب تصميم الله للعلاقات. وحيث أن طرفي العلاقة يعانيان من نفس المشكلة، فإنه من السهل أن نرى الصراعات المحتملة والمرتقب حدوثها. وسيكون لسان حال كل منهما يقول («ظننت أنني أهمك» والآخر يرد عليه قائلاً «كنت فقط أحاول أن أحمي حقوقي.»)

## ٢- الحكم الذاتي

عندما تستبدل حكم الله الحكيم والمُحبّ على حياتك بحكمك الذاتي لها، يصبح الآخرون محور اهتمامك. وتتوقع بالتالي أن ينفذوا كل ما تطلبه منهم وأن يحنوا بإجلال لكل مطالبك وإكباراً لسيطرتك. كيف كانت ردة فعل كل من كريستين وشاين تجاه بعضهما البعض عندما مرّا بمشكلة في علاقتهما؟ لقد أمسك كل منهما بزمام السيطرة على حياته الشخصية. حاول شاين أن يسيطر على كريستين بانتقاده الدائم ومطالبته لها؛ كما أن كريستين حاولت السيطرة على شاين بعزلتها وصمتها. ولكن لأن العلاقات يفترض بها أن تكون بين فردين كل منهما خاضع لله، يؤدي سعي الطرفين إلى الحكم الذاتي، وإلى تدمير العلاقة. («إذا كنت حقاً تحبني، ستفعل كل ما يسعدني.»)

عندما لا تكون قداسة الله هي معيارك  
الشخصي لتقييم ما هو جيد وصحيح  
وحقيقي سوف تجعل من نفسك دائماً المعيار.

### ٣- الاكتفاء الذاتي

عندما ترفض الله، فأنت بذلك تؤمن بالوهم المسمم بل السام الذي يوهمك بأنك بذلك لا تعتمد على أحد. في حالة كريستين وشاين، لم تكن المشكلة فقط في الظروف غير المتوقعة التي واجهها. نعم إن ظروفهما كانت صعبة، ولكن الله لم يتركهما وحدهما. لقد أعطى لكل منهما ذاته والآخر ليعينه. ولكن باختيارهما الابتعاد عن بعضهما البعض، فهما بذلك يبتعدان وينفصلان عن واحدة من وسائل الله الرئيسية لتسديد احتياجاتهم. إذا كنت لا ترى أنك تعتمد على الله، فبالتالي لن تختار بتواضع أن تعتمد على الآخرين. فإنه دائماً يكون من الأفضل بناء العلاقات على اعتماد إلهي متبادل بين الطرفين. إننا نفقد طريقة الله الافتدائية من العطاء والأخذ التي يستخدمها لإظهار محبته لنا عندما يسودنا الفكر الاستقلالي. («لو احتجت مساعدتك، سأطلبها. أنا أحب صداقتنا، ولكني لا أحب مساعدتك»).

### ٤- البر الذاتي

عندما لا تكون قداسة الله هي معيارك الشخصي لتقييم ما هو جيد وصحيح وحقيقي سوف تجعل من نفسك دائماً المعيار. هذا هو ما

حدث لكريستين وشاين. فقد اعتقد كل منهما أنه أكثر صلاحًا من الآخر. كل منهما يُدرك جيدًا خطية الآخر، ويسعى جاهدًا ليجعل الآخر يراها. وفي الوقت نفسه، لم ينظر أي منهما داخل قلبه، ليتحمل مسؤولية ضعفاته وخطاياها الشخصية ولطلب المعونة التي لا يستطيع سوى يسوع وحده أن يقدمها. وسيؤدي هذا النهج حتمًا إلى تكوين منظور متضخم عن نفسك، وبالتالي تكوين منظور شديد النقد عن الآخرين. تنمو العلاقات الإلهية الصالحة بصورة أفضل بين شخصين متواضعين يعترفان بضعفاتها وخطاياها وحاجتها للنعمة. فإن الشخص صاحب البر الذاتي، الذي ينفي حاجته للآخرين، لن يكون أبدًا قناة لتوصيل النعمة للآخرين. («هل هذه هي الطريقة التي تعاملني بها، بعد كل ما فعلته لك؟!»)

## ٥- الرضا الذاتي

عندما تقنع نفسك بأن الرضا والشبع يُمكن أن تجدهما بعيدًا عن الله، يمكنك أن تتحرك في اتجاه من اتجاهين مختلفين. إن كلاً من كريستين وشاين مذنبين. لقد استبدلت كريستين المجتمع الذي صممه الله لها مع شاين بمجتمع (صديقاتها). أما شاين فوضع كل طاقته وآماله في عمله. فلم يقرر أي منهما أن يستثمر في العلاقة التي أحبها في السابق. لاحظ ديناميكية العلاقات هنا. إذا وجدت راحتك وشبعك في أشياء مادية، فأنت إما أنك ستفقد اهتمامك بالعلاقات أو ستستخدمها للحصول على ما تريد. أما إذا وجدت شبعك في الناس، فسوف تستخدم العلاقات من أجل سعادتك الشخصية.

وسيكون لسان حالك («هذا ليس ما كنت أتوقعه من هذه العلاقة. لو كنت أعرف أن هذا ما سيحدث، لما بدأت هذه العلاقة».)

---

عندما نستبدل محبة الله بمحبة الذات،  
سنرى الناس إما عقبات تعوق تحقيق أهدافنا  
أو وسائل تُسرّع من إتمامها.

---

## ٦- العصامية- تعليم نفسك بنفسك

عندما تجعل من نفسك المصدر الذي تعتمد عليه لتحصل على الحقيقة والحكمة، فأنت تتخلّى بذلك عن الروح المتضعة، التي تقبل التعليم اللازمة لإقامة علاقات جيدة. ستجعل من نفسك، معلّم نفسك، في علاقاتك وستعطي الآخرين الانطباع بأنك لا تحتاج أن تتعلم منهم سوى القليل، إن وجد. («لا أريد منك أن تخبرني بما عليّ أن أفعل!») ما يصدمننا في قصة كريستين وشاين هو سرعة توقفهم عن الاستماع لبعضهم البعض.

يلخص الشكل ٤-١ آثار هذه الأنواع من الخطايا على الفرد وعلى علاقاته. لو رأيت نفسك في الكثير من هذه الفئات، فهذا أمر غير طبيعي. تشجع بهذه الحقيقة: على الرغم من صعوبة تصديق هذا التشخيص، إلا أنه يمكن أن يؤدي إلى تغيير حقيقي بقدر ما ترى نفسك بحاجة إلى نعمة الله.

لأن الخطية تدفعنا إلى داخل أنفسنا، سنجد كريستين وشاين موجودان بداخلنا جميعًا. عندما نستبدل محبة الله بمحبة الذات، سنرى الناس إما عقبات تعوق تحقيق أهدافنا أو وسائل تُسرّع من إتمامها. إن الاهتمام بالآثم بالنفس، يقلب أعظم وصيتين، رأسًا على عقب: فبدلاً من محبة الله واستخدام مواهبنا لخدمة الآخرين، نتحول إلى محبة المواهب ونستخدم الناس لنحصل عليها. فعلى سبيل المثال، الآباء الذين يحبون أن تكون سمعتهم جيدة، يستخدمون أبناءهم كأدوات للحصول عليها. الأزواج الذين يريدون إقامة علاقة مع زوجاتهم، يتلاعبون بزوجاتهم ليحصلوا على ما يريدون. الناس الذين يحبون النجاح يرون الآخرين إما وسيلة للنجاح أو تهديدًا لجدول أعمالهم. الناس الذين يتوقون للراحة، يتحمسون دائماً للعلاقات السهلة وينزعجون من الصعب منها. الذين يحبون السيطرة يشعرون بالتهديد عندما يكون الآخرون أقوىاء وينجذبون للضعفاء. الناس الذين يحبون المادة يتجنبون العلاقات التي تعوق سعيهم.

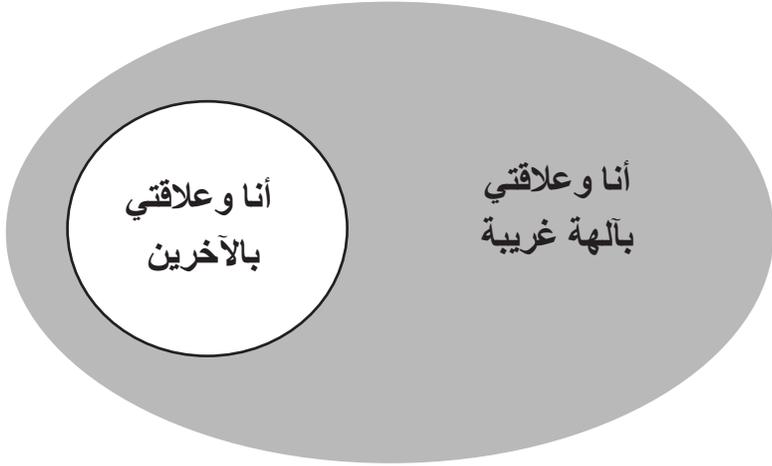
هل ترى ما يحدث عندما يحكم قلبك شيء آخر غير الله الحي؟ لا مجال للرف والدوران حول الحق العميق الموجود في يعقوب ٤ : ١. فعندما تصبح رغباتك أكثر أهمية من الله، تعاني علاقاتك. حتى لو جعلت علاقاتك في مرتبة أعلى من الله، ستعاني علاقاتك أيضاً! هذا ما تفعله الخطية. إنها تعمينا عن احتياجنا واعتمادنا على الله، تأخذنا إلى داخل أنفسنا، وتجعلنا إما نخاف الآخرين أو نستغلهم.

المشاعر وردة الفعل تجاه الأحاديث الجانبية	ما الذي يشعر به الآخرون	ما يخافه الفرد والكابوس الذي يؤرقه	التكلفة المناسبة	ما يرغب به الشخص وما يحتاج إليه	
يشعر بالقلق، والاحتياج للناس.	يشعر الآخرون بالاستغلال والتقليل من شأنهم، والاختناق في العلاقة.	يخاف الرفض، عدم معرفته أو التأكيد على ما يفعل	يمكنه أن يضحي بسيطته على الأمور وباستقلاليتها.	يرغب دائمًا بلفت انتباه الآخرين، وقبولهم له.	<b>التمركز حول الذات</b>
يشعر بالغضب.	يشعر الآخرون بإكراههم على فعل الأمور بطريقة ما، وبالتلاعب.	أن يُرى مخطئًا، أو أن يعتمد على أحد.	سوف يضحي بالألفة في العلاقات والاتحاد بالآخر.	يحب أن يكون على حق، ويحب السيطرة.	<b>الحكم الذاتي</b>
يشعر بالبرود والبعد.	يشعر الآخرون بالتجاهل، وعدم التقدير.	الاعتماد والاحتياج للآخرين.	سوف يضحي بالعلاقة الحميمية، وبالمجتمع المتعاون بصورة متبادلة.	يحب الاستقلال، وقضاء وقت بمفرده.	<b>الاكتفاء الذاتي</b>

يشعر بالعدوانية، وبالرغبة في الجدل.	يشعر الأخرون بالإدانة أو تحدي الشخص لهم وبالرفض.	أن يكون مخطئاً أو مذنباً أو مداناً.	سوف يضحى بالعلاقات التي تتحده أو تواجهه.	يحب أن يكون هو الصحيح في عيون من حوله.	البر الذاتي
يشعر بالسيطرة، والمطالبة، والاستياء.	يشعر الأخرون بأنهم أشياء وأدوات وليس رفقاء.	أن يتدخل الأخرون ويمنعون متعته الشخصية.	سوف يضحى بالمجتمع إذا كان لا يربحه.	يبحث دائماً عن المتعة (هو من يحدد متعته).	الرضا الذاتي
يشعر بالعند، والاستبداد.	يشعر الأخرون بأنهم مجرد أدوات للدعم وبعدم الاحترام.	أن يخبره أحد بما عليه أن يفكر أو يقول أو يفعل.	سوف يضحى بالنمو معك إذا كنت لا توافقه الرأي.	ينصب منصباً لآرائه الخاصة.	العصامية- تعليم نفسك بنفسك

## الشكل ٤ : ١

لقد ذكرنا في الفصل الثاني، أن دائرة العلاقات الإنسانية خُلقت لتكون داخل دائرة أوسع من الشركة مع الله. نفهم من سياق هذا الكلام، أن ولاءنا لله هو الذي يشكل كل العلاقات، وبالتالي يجعلها تنمو وتزدهر. بينما تضع الخطية الإنسان والمجتمع في إطار من الولاء لآلهة أخرى مثل الراحة، والتحكم، وامتلاك الأشياء، والسلطة، والنجاح، وقبول الآخرين. وهذا يغيّر جذرياً جدول الأعمال الذي نوجده للآخرين. ففي سياق هذا الكلام، تكون عاطفتنا للآخرين ليست غاية في حد ذاتها، بل وسيلة لتحقيق غاية أخرى: وهي الحصول على ما أريد.



الشكل ٤-٢

## ماذا عن الأشياء السيئة التي يفعلها الناس لي؟

هذا سؤال منطقي. فهو ليس عادلاً فقط بل أيضاً جيد وحكيم. حتى الآن، قد يعطي ما قلناه انطباعاً بأن علاقاتنا تتأذى فقط بخطايانا. ولكن الكتاب المقدس هو كتاب واقعي جداً. فهو يأخذ في الاعتبار أنك أنت أيضاً أخطأ أحدهم تجاهك. مثل شاين، أحياناً تكون أنت المعتدي وتحتاج للتعامل مع خطيتك. ومثل كريستين، أحياناً تكون أنت الضحية. وهناك أوقات تكون أنت فيها المعتدي والمجني عليه معاً! يحتاج المعتدي أن يواجه خطيته، دون أدنى شك، ومع ذلك فإن الشخص المجني عليه لابد أن يكون مسؤولاً عن ردات أفعاله تجاه من أخطأ إليه.

الكتاب المقدس مليء بالأمثلة التي تتعامل بصدق مع الإيذاء، منذ حادث قتل هابيل في سفر التكوين الأصحاح ٤ وحتى زمن اضطهاد الكنيسة في سفر الرؤيا. يوجد عدد لا يحصى من قصص أناس اخطأوا في حق الآخرين. كما أن العهد الجديد ممتلئ بالتعليم الذي يدعونا إلى الصبر والتسامح والرحمة وتجنب الانتقام والغضب، وأيضًا أن نغفر لبعضنا البعض وأن نحب أعداءنا. يذكر الكتاب المقدس هذه الأمور لأن الله يعلم أننا سوف نُخطأ في حقنا في كثير من الأحيان. فسنظل دائمًا على الأرض، خطاة يتعاملون مع غيرهم من الخطاة.

لذلك، ينبغي علينا أن نظل مسؤولين عن ردادات أفعالنا، حتى عندما يخطئ أحدهم في حقنا. فهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكننا بها إلغاء أو التحكم في تأثير الخطية المدمر على العلاقة. يقدم لنا ميخا ٦: ٨ بعض التوجيهات بخصوص ردادات أفعالنا تجاه خطايا الآخرين: «قَدْ أَخْبَرَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا هُوَ صَالِحٌ، وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ، إِلَّا أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ، وَتَسْأَلَكَ مُتَوَاضِعًا مَعَ إِلَهِكَ.» لماذا يهتم الله بتقديم هذه التوجيهات لشعبه، إذا لم يكن لديه افتراض مسبق بأن الآخرين سوف يخطئون تجاهنا؟ فنحن جميعًا نميل إلى تكبير المشاكل! وفيما يلي بعض الطرق النموذجية التي نضخم بها المشاكل:

أردد ما فعلته لنفسي بمرارة، قائلاً: «لا أصدق أنها فعلت هذا بي!»

أذكر ما فعله الآخر من خطايا إلى شخص آخر بالنميمة؛  
«أريد أن أقول لك ما فعلت فلانة بي!»

أتحدث إلى الله عن خطاياك، وأسع للانتقام؛ «يا رب،  
متى تنتقم من هذا الشخص الذي يؤذيني؟»

أتحدث معك عن ما فعلت بي في غضب؛ «كيف تجرؤ  
على فعل هذا الشيء معي؟»

عندما يتعلق الأمر بالخطايا التي يرتكبها الآخرون ضدنا، فنحن نميل إلى التحدث عنها بطرق مدمرة. إن هذا أمر خاطئ، والمشكلة هي أن هذا الفعل يشجعنا على الاعتقاد بأن مشكلتنا الكبرى موجودة خارج أنفسنا. ولكن الكتاب المقدس يذكرنا بأننا حتى عندما يخطئ الآخرون تجاهنا، في النهاية، أمام الله، تكون أكبر مشاكلنا هي ميل قلوبنا نحو الخطية. حتى عندما تتأذى قلوبنا بشدة من خطايا الآخرين، سيظل دورنا هو حراسة قلوبنا حتى لا نسقط في هوة الدمار الناتج عن الخطية. إن ارتكاب أحدهم الخطية ضدنا يجذبنا لنخطئ. لذا تبقى حاجتنا للمسيح كبيرة في وقت تألمنا من خطأ الآخرين تجاهنا كما هو الحال عندما نخطئ. إن مناداة الرب لنا لنصبر ونتواضع ونتسامح ونتعامل بوداعة ليست دعوة إلى السلبية. فالرب يدعونا للرد على تعديت الآخرين، ولكن بالطريقة التي يصفها هو لنا. إن حمل الضغائن والأحقاد، والمرارة، والصلاة للرب من أجل الانتقام، والنميمة ليست الأساليب التي نُكرم بها الله. عندما نُحمّل الجاني

«مسئوليته» عن أفعاله، بدون روح التواضع، والصبر، والرحمة، ينتهي بك الأمر إلى تشويه العدالة التي تسعى أنت إليها.

كل علاقة جيدة هي هدية من نعمة الله.  
أما بالنسبة لنا، لن يخرج منّا شيء جيد.

## هناك نعمة لهذا الصراع !

من الصعب عليك أن تقرّ هذا الفصل دون أن ترتعب من الفوضى الموجودة داخل العلاقات؟ ربما تقول لنفسك «ابحثوا لي عن جزيرة فأنا أريد أن أحيا وحيداً!» ولكن ما الذي يمنع كريستين وشاين من الذهاب إلى هذه الجزيرة؟ ما الذي يعطيها الرجاء في التحرك نحو بعضهما البعض بصبر. المحبة؟ لقد قلنا أن بعض أسوأ وأفضل خبرات الحياة تحدث في العلاقات. لقد تحدثنا مطولاً حول سبب حدوث بعض الأمور السيئة جداً في إطار العلاقات. ولكن لماذا نجد أن أفضل خبراتنا تقع هي أيضاً في العلاقات؟ هل تساءلت يوماً لماذا لديك علاقات جيدة وصالحة؟

كل علاقة جيدة هي هدية من نعمة الله. أما بالنسبة لنا، لن يخرج منّا شيء جيد! إن نعمة الله هي التي تجعل أمّ تتصارع مع أنانيتها ترعى أطفالها رعاية صادقة. وهذا هو السبب الذي يجعل الزوج المهتم بذاته يخدم زوجته عندما تمرض. هل سبق لك أن تساءلت كيف يمكن لخير المسيحيين أن يكونا علاقات جيدة إلى حد معقول؟

ذلك لأن نفس الإله الذي ينكرونه يُعلن لهم نعمته وبركته بالرغم من جهلهم.

فكّر في الذي يقدمه الرب لنا لمساعدتنا على عمل علاقات في هذا العالم الساقط. لقد أعطانا كلمته، الغنية بمبادئ الحكمة. وأعطانا روحه، الذي يبكّتنا عندما نخطئ، يشددنا لطلب الغفران ويمكّننا من إظهار التحنن والرحمة لأولئك الذين أخطئوا في حقنا. كما باركنا بجسد من المؤمنين، حيث نستقبل جميعاً التصحيح والتشجيع المستمر.

كثيراً ما نغفل أمران قدمهما الرب لمعونتنا وهما فريضتي المعمودية والعشاء الرباني. فكل منهما يجسّد كل نعم الله وبركاته لحياتنا في فعل واحد. فكلاهما يعطيان لنا صورة ملموسة عن اعتمادنا على النعمة، فضلاً عن اعتماد كل منا على الآخر لننمو في النعمة. المعمودية هي علامة نُعلن بها أننا دخلنا في علاقة مع الله وانضمنا إلى جسد المسيح. أما العشاء الرباني فهو يوحدّ جسد المسيح كله حول مائدة واحدة. إنها صورة لتجمع العائلة والاشتراك في وجبة الطعام. هذه الأشياء هي أكثر من مجرد رموز، بل هي في الواقع وسائط من النعمة. يمنحنا الله بهذه الطرق النعمة عندما نشارك فيها بإيمان. نخطئ عندما نفكر في النعمة على إنها النجاة من المشاكل؛ بل هي في الواقع، القدرة على المثابرة في خضم تلك المشاكل. نحن نرغب في «نعمة» الإغاثة في حين أن الله يعطينا نعمة التمكين الحقيقية.

نخطئ عندما نقيس قدراتنا على التعامل مع صعوبة ما أو مشكلة ما، بحسب حجمها ومدتها. ينبغي أن نقيس إمكانياتنا على التعامل مع المشاكل وفقاً لحجم الإمداد والمعونة الإلهية ووعده الله بوجوده الأبدي معنا. حتى في أعرق صعوبات حياتنا، لن نبقى أبداً دون موارد إلهية لتدعيمنا. لم نترك أبداً وحدنا. تعتبر هذه الطريقة في التفكير في العلاقات، أكثر الطرق جذرية وعمق. كل مشاكلنا تتعلق بالخطية، وكل إمكانياتنا هي في المسيح. هدفنا في هذا الكتاب هو التمسك بهاتان الحقيقتان. فبينما نعرف أن الخطية هي حقيقة دائمة الوجود، فإنها لا تقارن بحقيقة وجود يسوع المسيح! نأمل أن تصبح أكثر واقعية (وأقل خوفاً) بشأن مشاكل العلاقات، بينما تسعى نحو فهم عن النعمة التي يعطيها الله لحل هذا الصراع، يملأك بالرجاء.

وفي النهاية نقول أن كلاً من شاين وكريستين وجدا نعمة لحل صراعهما عندما قررا طلب المساعدة، على الرغم من صعوبة الأمر في البداية. بدا الأمر في البداية وكأنه يستحيل أن يستمتع كل منهما إلى حديث الآخر عن آلامه. من المحبط أن نرى مدى سرعة ابتعادهم عن بعض ومدى البعد وعدم التواصل الذي وصلا إليه. بينما واجه كل منهما هذه الحقائق الصعبة، رأيا شيئاً جديداً. فلقد رأيا أن إلهما ليس بعيداً هناك، ولكنه موجود معهما داخل المشكلة والصعوبة. وعندما بدأ في الثقة في إلهما، وجدا الشجاعة على استعادة الثقة بينهما من جديد. ولأنهما شهدا نعمة ومعونة الله، استمرا في التحرك نحو بعضهما البعض، عالمين أن مساعدته متاحة لهما كلما احتاجا إليها.

# الفصل الخامس: جداول أعمالنا

«لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبَغِّضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الْآخَرَ، أَوْ يُلَازِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الْآخَرَ. لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدُمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ.» متى ٦: ٢٤

بينما تقرأ العبارات التالية، ابحث عن ما وراء هذه الكلمات من جدول أعمال خاص بقائلها:

«أنا سعيد لأننا لا نتجادل مثلما كنا نفعل.»

«أنا فقط أحب أن أكون معك.»

«أنا أستمتع بالوقت الذي أقضيه مع عائلتي.»

«أنا ممتن جدا لوجود أصدقائي في حياتي.»

«كنت تتعامل معي برقة وصلاح.»

«من الرائع أن أعرف أنني وجدت أخيراً شخصاً أستطيع أن أثق فيه حقاً.»

«أرواحنا متشابهة جداً.»

«من الرائع أن شخصياتنا مكتملة لبعضها.»

«لقد كان الأمر ممتعاً؛ لنكررها ثانية.»

«إن علاقتنا الجنسية رائعة ومُشبعة.»

«قبل أن أقابلك، كنت وحيداً جداً»  
 «من الرائع أننا نعرف بعضنا البعض منذ فترة طويلة.»  
 «قضينا الكثير من الأوقات اللطيفة معاً.»  
 «كان لنا مشاكلنا، لكننا كنا دائماً قادرين على التعامل معها.»

كلما ازدادت العلاقة إشباعاً لك، كلما قل وعيك باحتياجاتك واهتماماتك الشخصية. إن أكثر الأمراض تدميراً هي تلك الأمراض التي لا تكتشف بسهولة، أو لا تظهر جليّة.

قبل الآن، لم يكن باستطاعتنا أن نقول هذه الأشياء عن العلاقات؟ كل الجمل السابقة جيدة. ولكن ما هو جدول الأعمال الخفي الموجود في كل من هذه الجمل؟ إنها كلها تدور حول ما يحصل عليه الشخص من هذه العلاقة. بالنسبة لنا كبشر أنانيين، هذا الجدول العملي الخاص بتحقيق السعادة الشخصية، مغري جداً. دائماً ما تجذبنا الخطية نحو المصلحة الذاتية. فمن الممكن حتى في أكثر لحظات حياتنا مَحَبَّةً للغير أن نتركنا رغباتنا التي تتساءل حول ما سنحصل عليه في المقابل.

قدم أحد المشاهير الأثرياء تبرعاً مادياً كبيراً لهدف سام. وخلال مقابلة معه سأله مضيف البرنامج: «ما الذي دفعك لتقديم هذا التبرع؟» بدت عطيته للوهلة الأولى عملاً سخياً مليء باللطف. لكن إجابة

هذا الشخص المشهور كانت لها اتجاه آخر، إذ أنه قال «عندما أستيقظ في الصباح وأنظر إلى نفسي في المرآة، أستطيع أن أقول لنفسي أنني شخص صالح وعندما أذهب لأنام في الليل، أستطيع أن أشعر بالرضا عن نفسي.» لا شك في أن التبرع في حد ذاته يفيد الآخرين مهما كان دافع هذا الشخص المشهور، ولكن القصد من الكلام هو أن ما يبدو جيداً على السطح، قد لا نجده جيداً بعد الفحص الدقيق.

إن ما يقوله الكتاب المقدس عن العلاقات فريد من نوعه. وفيما يلي الموضوعين الأساسيين الذي يتحدث فيهما الكتاب المقدس عن العلاقات:

١- قوة الاهتمام بالمصلحة الشخصية لا تزال موجودة في حياة المؤمن

في حين أنه قد تم كسر سيطرة الخطية من على حياتنا، إلا أن الخطية الكامنة والموجودة بداخلنا، لا تزال تمثل معركة حقيقية لنا. هذا يعني أنك لن تهرب من سلطة الاهتمام بالمصلحة الشخصية في حياتك، طالما أنت حي ترزق. سوف تظل واقع، حتى في أفضل علاقاتك. في الواقع، كلما ازدادت العلاقة إشباعاً لك، كلما قل وعيك باحتياجاتك واهتماماتك الشخصية. إن أكثر الأمراض تدميراً هي تلك الأمراض التي لا تكتشف بسهولة، أو لا تظهر جليّة. وهذا الكلام ينطبق أيضاً على الاضطرابات الروحية.

## ٢- الله لديه جدول أعمال لعلاقتنا أكبر بكثير مما نقوم به

السؤال الافتراضي الذي يتوجب علينا أن نسأله حول كل مجال من مجالات الحياة هو، «ما هو قصد الله وتصميمه لحياتنا؟ ما سبب خلقه لهذا المجال وهذا الشيء؟» عندما نسأل مثل هذه الأسئلة عن العلاقات، سنرى كيف أن جدول أعمال الرب لحياتنا مختلف تمامًا عن جدولنا نحن. فنحن عادة ما نكتفي بتعريفنا الشخصي للسعادة الشخصية، بينما غرض الرب لحياتنا هو، ألا نقصر في أي شيء في مشابھتنا لصورة المسيح! سواء أدركنا ذلك أم لا، نحن جميعًا نحلم لعلاقتنا، ونعمل دائمًا على تحقيق هذه الأحلام. ولكن ما مدى اقتراب حُلمك من قصد الله لحياتك؟

في هذا الفصل سنعقد مقارنة بين حُلمك ورؤية الله لعلاقتك. نحن جميعًا نعيش في مكان ما بين الاثنين. أفضل ما يمكنك أن تفعله هو أن يزداد وعيك وإدراكك لتعرف أيهما يحكم حياتك. لنساعدك على القيام بذلك، سنقدم لك نموذج تقييم كتابي لمساعدتك في تقييم علاقتك.

## خارطة طريق لجدول أعمال أكبر

إن خريطة الطريق التي نحتاجها سنجدها في رسالة أفسس ٤. بينما نقرأ هذا الأصحاح، اسأل نفسك عن ما يقوله عن (١) المعركة التي تدور داخلنا مع المصلحة الذاتية و (٢) جدول الأعمال الإلهي

لعلاقتنا. وسوف يعمل هذا المقطع كشبكة تستخدمها لتصطاد بها مشاكل العلاقات التي نناقشها في هذا الكتاب.

كما عليك أن تفكر في كل من ليزا وكيرت وكريستين وشاين أثناء قراءتك لهذا الجزء. كما عليك أن تفكر في نفسك. لماذا غضب؟ لماذا نفقد الصبر؟ لماذا نفشل في أن نكون شفوقين وودعاء؟ لماذا نحمل ضغينة أو نتصرف بانتقام؟ لماذا نحن نرفض أن نتعاون مع الآخرين؟ لماذا نقول أشياء لبعضنا البعض لا ينبغي أن نتلفظ بها أبدًا؟ لماذا نبتعد عن من حولنا بقرف واشمئزاز منهم؟ لماذا نكذب على شخص ما أو نتلاعب به؟ لماذا نتنافس أو نحسد؟ لماذا نبذل مجهود لنفرح من أجل بركة الآخر؟ نحن نفعل كل من هذه الأشياء لسبب واحد: كل هذا لأننا نريد أن تكون طريقتنا هي الفعالة، وأن تنجح بالطريقة التي نختارها، وفي الوقت الذي نعتقد انه الأفضل لنا. نحن نحب ذواتنا ولدينا خطة رائعة لحياتنا! لدينا حلم. المشكلة هي أن هذا الحلم ليس رؤية الرب لحياتنا.

لا يمكنك أن تؤمن بالكتاب المقدس دون أن تأخذ علاقاتك بمحمل الجد.

## دعوة إلى الوحدانية

فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ، أَنَا الْأَسِيرُ فِي الرَّبِّ: أَنْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ  
لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا. بِكُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطُولٍ

أَنَاءَ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ. مُجْتَهِدِينَ  
 أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلَامِ. جَسَدٌ وَاحِدٌ،  
 وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضًا فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ.  
 رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيْمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، إِلَهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ  
 لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ.  
 (أفسس ٤: ١-٦)

انتقلت أسرة جوش وسارة المكونة من ستة أفراد إلى منطقة جديدة تماماً قبل شهرين. كان يحكم يومهم التفكير في فرصة الترقية الجديدة، ومنزل أكبر، والتمتع بمناخ أطف. لم يفكرا إلا قليلاً في التأثير الروحي لهذه الخطوة على حياة الأسرة. فقد بحثا بصورة سريعة عن أقرب كنيسة محلية على الإنترنت، ولكن فقط بعد أن اتخذوا قرار الانتقال بالفعل. على الرغم من أن الانتقال من مكان إلى مكان أو الترقية في العمل ليس خطأً في حد ذاته، إلا أن جوش وسارة كانا يتحركان بدافع الحصول على أسلوب حياة مريح، وليس بدافع تنميط مشيئة الله. أثناء اتخاذهم القرار، لم يفكرا إلا قليلاً في أهمية التواصل مع مجموعة من المؤمنين حيث يمكنهما أن يستثمرا في حياة الآخرين وكذلك يستثمر الآخرون في حياتهم، إلا أن قرارهم تجاهل ما خلقهما الله ليكونا عليه، وكيف صممهما ليعيشا داخل مجتمع.

بعد مناقشة مطولة عن نعمة الله، طبّق بولس الرسول هذه النعمة على علاقائنا في أفسس ٤. ففي العدد ١ يحثنا بولس الرسول أن نسلك «كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ (نَا) بِهَا.» لقد استقبلت النعمة

ولابد أن تعكس حياتك هذه النعمة! فبولس يقول أن النعمة لا بد وأن تظهر بصورة خاصة في علاقاتنا داخل جسد المسيح. وبعبارة أخرى، لا يمكنك أن تؤمن بالكتاب المقدس دون أن تأخذ علاقاتك بمحمل الجد. لكننا نميل إلى تقديم تنازلات تؤثر سلبيًا على علاقاتنا دون أن نرى هذا التناقض، فالتنازل ليس بالضرورة بناء في العلاقات. انظر إلى ما يؤمن به بولس بشأن ما تفعله نعمة الله في علاقاتنا. وبينما تقرأ القائمة التالية، اسأل نفسك إذا كانت هذه هي الطريقة التي تفكر بها في علاقاتك. قد يكون من المفيد أن تستخدم هذه القائمة للتفكير في علاقة واحدة معينة.

### احْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ

يقول بولس أن علاقاتنا مع المؤمنين ليست أمرًا مُسلَّمًا به. علينا أن نحافظ على هذه العلاقات لا أن نحاول إيجادها. إذا كنت مؤمنًا، فأنت في علاقة مع مؤمنين آخرين بصورة تلقائية. وبالتالي أنت في اتحاد كامل مع الآخرين لأنك متحد بالمسيح. وبسبب سكنى الروح القدس في حياتك، فأنت بالفعل لك علاقة عميقة بالله وبالجسد أعطتها لك النعمة. لذلك، تعتبر هذه العلاقات عطية من الله عليك أن تتعامل معها برعاية وعناية شديدة. فأنت إما وكيل جيد أو وكيل غير أمين على هذه العطايا. لو منعت علاقاتك مع المؤمنين الآخرين بأي شكل من الأشكال من أن تتم، فأنت بذلك تقلل من شأن العلاقات. لو انخرطت في خطية النميمة، أو دخلت في شجار غير

بنّاء، تؤذي بذلك عطية الله لك. ولكن إذا اخترت أن تغفر وتخدم فأنت بذلك ترعى هذه العطايا.

مُجْتَهِدِينَ (ابذلوا كل جهد ممكن)

لا يتعامل بولس الرسول ببساطة بشأن العمل الشاق الذي تتطلبه العلاقات. فهو علم جيداً أن العلاقات حتى بين المؤمنين الروحيين، لن تكون سهلة. هل سبق لك أن لاحظت كيف تتحول العلاقات فجأة، إلى علاقات بغيضة، وغير مرضية، ومملة عندما تتطلب منك أن تعمل عليها؟ كم من الزيجات عانت لأنه ولا الزوج ولا الزوجة كان لهما أخلاقيات كتابية في علاقتهما؟ يقول بولس أننا نجد نفرح ونشبع بالعلاقات عندما نتعب فيها. ولكن معظمنا يبأس عندما يكتشف أن ما يعود عليه من ربح لا يستحق تعب الاستثمار في العلاقات. للأسف، نحن كثيراً ما نحاسب أنفسنا واضعين مصالحنا في المركز بدلاً من دعوة الله.

امْتَلُوا بِكُلِّ تَوَاضِعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطُولِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ.

يرشدنا بولس الرسول إلى الصفات الشخصية، التي هي عكس تمامًا تلك التي تحرك كثير من علاقاتنا. ومن المهم أن نلاحظ أن هذه الصفات، هي صفات في الشخصية قبل أن تكون أفعالاً نفعلها للآخرين. فالتواضع يُمكننا من أن نرى خطيتنا الشخصية قبل أن نركز على خطايا وضعف الآخرين. هل تضع الآخرين أولاً؟

الشخص الوديع ليس ضعيفاً، ولكنه يستخدم قوته لتمكين الآخرين وللمساعدة، دون إيقاع أي ضرر لهؤلاء اللذين يحاول مساعدتهم. هل يشعر من حولك بأن لديهم الكثير من الإصابات والكدمات بسبب علاقتهم معك؟ الشخص الصبور وطويل الأناة هو الشخص الذي يضع احتياجات الآخرين في مرتبة أعلى من، أو في نفس مرتبة احتياجاته الشخصية. فهو لا يدخل العلاقة ومعهم جدول أعماله الخاص الذي يركز فيه على نفسه وعلى احتياجاته. أما الشخص المحتمل هو الذي يفعل كل هذا حتى تحت الضغط. وبعبارة أخرى، نجد أن الشخص طويل الأناة والمحمّل، هو متواضع ولطيف مع من حوله، حتى عندما يتم إثارته، أو حتى عندما يجد أن العلاقة التي استثمر فيها، تحولت إلى علاقة بغیضة مرة. هل تحد محبتك للناس حدود تحركها احتياجاتك ومصالحك الخاصة؟ هل يشعر الآخرون أنهم يحتاجون إلى رد جميل أنت قدمته لهم ليجعلوك سعيداً بعلاقتك معهم؟

هذه الصفات تخلق مناخاً من النعمة في العلاقات. عادة، ما يحكم علاقاتنا كيان مكون من عدة قوانين، ثم إذا حدث تعدي لهذه القوانين، هناك عقاب معين. فأنا شخص أدخل العلاقة ولدي مجموعة من القواعد التي يجب عليك أنت الالتزام بها. وأنا أتابع مدى خضوعك واتباعك لهذه القواعد. إذا لم تقم بذلك، يكون لدي الحق في أن أمارس عليك أحد أشكال العقاب. وهذا تناقض صارخ لما جاء في الإنجيل، كما أنه يمنع مجد ونعمة الله بالحق من الظهور في علاقتك.

وهذا عكس تمامًا ما يقوله بولس الرسول، والذي يجب أن يُمارَس بين أولئك الذين نالوا النعمة.

هناك روح واحد، وربّ واحد، وأب واحد

لقد بنى بولس وَحَدَّثنا على أساس وَحَدَانِيَةِ الثالوث، لذلك ليس في قدرتنا أن ندخل علاقات مريحة بِنَاءة. لكننا ننال مثل هذه العلاقات لأن الآب والابن والروح القدس سمحوا لنا بذلك. يمكننا أن نعطي نعمة لأننا قد نلنا نعمة. إذ أن يسوع تواضع والآب بوعادة وصبر دبر لنا الخلاص والروح القدس يحتملنا ويمكننا معنا حتى في أوقات مواجهة خطايانا التي تؤذيه، مَبْكَئًا وموبخًا لنا ومصححًا حياتنا، ولكن بلا إدانة. لقد انفصل الآب عن الابن وعن الروح القدس، حتى نستطيع نحن أن نتحد معهم ومع بعضنا البعض.

يعتبر هذا النوع من النزاهة في العلاقات، دعوة عليا. الله الذي يطلب منا هذه النزاهة يوفر لنا كل ما نحتاجه لتحقيقها. ماذا لو كان لدى كل من جوش وسارة هذا المنظور وفكرا بهذا المنطلق في موضوع احتمالية انتقالهم إلى مكان آخر؟ في هذه الحالة، سيضعان في تفكيرهم أن البحث عن جسد من المؤمنين أولوية، بدلًا من الأولويات الأخرى التي فكرا بها.

يختار الله أن يحيطننا بأشخاص يختلفون عنا لأنه يعلم أن هذا سوف يحفز تمييز مشيئته.

## تقدير التنوع

وَلَكِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنَّا أُعْطِيَتِ النِّعْمَةُ حَسَبَ قِيَاسِ هِبَةِ الْمَسِيحِ. لِذَلِكَ يَقُولُ: «إِذْ صَعَدَ إِلَى الْعَلَاءِ سَبَى سَبِيًّا وَأَعْطَى النَّاسَ عَطَايَا». وَأَمَّا أَنَّهُ «صَعَدَ»، فَمَا هُوَ إِلَّا إِنَّهُ نَزَلَ أَيْضًا أَوْلَىٰ إِلَىٰ أَفْسَامِ الْأَرْضِ السُّفْلَىٰ. الَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعَدَ أَيْضًا فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلَأَ الْكُلَّ. وَهُوَ أَعْطَى الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلًا، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ، وَالْبَعْضَ رِعَاةَ وَمُعَلِّمِينَ، لِأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقَدِيسِينَ لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ، إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الْإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللَّهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلءِ الْمَسِيحِ. كَيْ لَا نَكُونَ فِي مَا بَعْدَ أَطْفَالًا مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحٍ تَعْلِيمٍ، بِحِيلَةِ النَّاسِ، بِمَكْرِ إِلَى مَكِيدَةِ الضَّلَالِ. بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنُمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ، الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ مُرَكَّبًا مَعًا، وَمُقْتَرِنًا بِمُوَازَرَةِ كُلِّ مَفْصِلٍ، حَسَبَ عَمَلٍ، عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ، يُحْصَلُ نُمُو الْجَسَدِ لِبُنْيَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ.

(أفسس ٤: ٧-١٦)

لأن العلاقات مبنية على أساس الثالث، لذلك تسمح لنا وحدتنا بأن نحتمل بتنوعنا واختلافنا داخل جسد المسيح. هناك إله واحد، ولكنه مثلث الأقانيم. يستخدم الله تنوعنا واختلافنا لتتيمم هدفه - الذي هو نمونا في النعمة. التنوع لا يشكل عقبة، ولكنه وسيلة مهمة جدًا لتتيمم هذه الغاية.

وَلَكِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّمَّا أُعْطِيَتْ النِّعْمَةُ حَسَبَ قِيَاسِ هِبَةِ الْمَسِيحِ.

لاحظ كل الخلافات الموجودة بيننا. فكل منا موهبته المختلفة عن الآخر، كما أن لكل منا قدراته المختلفة للخدمة في جسد المسيح، كما أننا نقع في مستويات مختلفة من النضج الروحي. كل هذه الاختلافات موجودة بتعيين سابق، سيادي، من الله. وهذا لأن، الله إخطار أن يحيطنا بأشخاص يختلفون عنا لأنه يعلم أن هذا سوف يحفز تتيمم مشيئته. ولكن كم من المرات نرى فيها أن التنوع عائقا أمام العلاقات الجيدة وأمام تتيمم مقاصد الله؟

لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ

نستطيع أن نفهم قصد الله خلال الأعداد من ١٢-١٦. إذ أن بولس الرسول يقول مرارًا وتكرارًا، أن علاقاتنا قيِّمة لأن الله له قصد منها. كلما حاولنا أن نصنع أهدافا من علاقاتنا، نفقد الصبر ونصاب بالإحباط ونشعر بالاستغلال. وبما أننا جميعا خطاة، سوف نحبط دائمًا أهداف بعضنا البعض. تكشف لنا هذه الديناميكية عن السبب الذي من أجله

وضعنا الله في علاقات. هدفنا هو الحصول على ما نريد، ولكن هدف الله هو أن يعطينا ما نحتاجه بالفعل. يريدنا الله أن ننمو، ويريد أن يبيننا، وأن نتوقف عن التصرف كأطفال. يريد أن تحكم قلوبنا الأهداف التي حكمت قلب المسيح.

نحن ندخل العلاقات من أجل متعتنا الشخصية، تحقيق ذاتنا واستمتاعنا. فنحن نريد أن ندفع القليل وننال في المقابل عوائد عالية نحن من نحددها.

لهذا السبب بعينه، نجد أن قيمة العلاقات الحقيقية، هي عكس تمامًا قيمة العلاقات من وجهة نظرنا. فنحن نعتقد أن الأمور لن تكون على ما يرام إلا إذا كانت علاقاتنا مع الآخرين تسير بشكل جيد. ولكن الله يقول، أنه يتم مشيئته حتى عندما لا تسير الأمور على ما يرام في العلاقات! على سبيل المثال، لو اعتزلت الرياضة عند أول بادرة من التعب من ممارستها، تفقد بذلك فرصة الحصول على القوام المناسب. فإن الأوقات التي نستمر فيها في ممارسة الرياضة بعد التعب الشديد، هي أكثر الأوقات فائدة وإثمارًا لاستعادة لياقتنا البدنية. وهذا المثل ينطبق على العلاقات. لقد صمم الله علاقاتنا، لتكون الأداة التي يستخدمها في كل من، تشخيص أمراضنا وعلاجها. فعندما نحبط ونكون على أتم استعداد للاستسلام، يكون هذا هو وقت عمل الله، ليكشف لنا عن الأوقات التي اهتمنا فيها بجداول أعمالنا الخاص الذي

يتسم بالأنانية (هذا هو التشخيص)، ثم يستخدم هذا الوعي الجديد لمساعدتنا على النمو في الأمر الذي نعاني منه (هذا هو العلاج). وهذا ما يتحدث عنه الباقي من هذا الكتاب.

نحن ندخل العلاقات من أجل متعتنا الشخصية، تحقيق ذاتنا واستمتاعنا. فنحن نريد أن ندفع القليل وننال في المقابل عوائد عالية نحن من نحددها. ولكن الله يريد منا أن ندفع أكثر في العلاقات، ليحصل هو على عائد عالي هو من يحدد شكله. وعلى الرغم من أننا كثيرًا ما نختلف مع الله، إلا أن خطته لحياتنا هي الأفضل. فتحت كل صراعاتنا مع الآخرين، يكمن صراع أعمق بين هذين الجدولين: جدول أعمالنا وجدول أعمال الله. عندما قرر جوش وسارة أن ينتقلا إلى مكان جديد، لم يهتمتا بهذه الأشياء. لقد استخفا بأهمية وجود جسد، لدرجة أنهما تحايلا على طرق الله الأساسية، التي يستخدمها لجعلنا مشابهين لصورة المسيح. فإن ما بدا لهما أنه اختيار بريء ومنطقي لتقدمهما الوظيفي، أصبح في الحقيقة عائقًا أمام نموها في النعمة.

## صراعاتنا وجدول أعمال الله

فَأَقُولُ هَذَا وَأَشْنَهُدُ فِي الرَّبِّ: أَنْ لَا تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدَ كَمَا  
يَسْأَلُكَ سَائِرُ الْأُمَّمِ أَيْضًا يَبْطُلُ ذَهْنِهِمْ، إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ،  
وَمَتَجَنَّبُونَ عَنِ حَيَاةِ اللَّهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ  
غِلَظَةِ قُلُوبِهِمْ. الَّذِينَ إِذْ هُمْ قَدْ فَقَدُوا الْحِسَّ اسْتَمُوا  
نُفُوسَهُمْ لِلدَّعَاةِ لِيَعْمَلُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ فِي الطَّمَعِ.

وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَمْ تَتَعَلَّمُوا الْمَسِيحَ هَكَذَا، إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمُوهُ  
وَعَلَّمْتُمْ فِيهِ كَمَا هُوَ حَقٌّ فِي يَسُوعَ، أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ  
التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الْإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدِ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ  
الغُرُورِ، وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ، وَتَلْبَسُوا الْإِنْسَانَ  
الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللَّهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ.

لِذَلِكَ اطْرَحُوا عَنْكُمْ الْكُذِبَ، وَتَكَلَّمُوا بِالصِّدْقِ كُلِّ وَاحِدٍ  
مَعَ قَرِيبِهِ، لِأَنَّنا بَعْضُنَا أَعْضَاءُ الْبَعْضِ. اِغْضَبُوا  
وَلَا تُخْطِئُوا. لَا تَغْرِبِ الشَّمْسُ عَلَى عَيْظِكُمْ، وَلَا تَعْطُوا  
إِبْلِيسَ مَكَانًا. لَا يَسْرِقِ السَّارِقُ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ  
يَتَعَبُ عَامِلًا الصَّالِحَ بِيَدَيْهِ، لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ  
اِحْتِيَاجٌ.

لَا تَخْرُجْ كَلِمَةً رَدِيَّةً مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحًا  
لِلْبَنِيَانِ، حَسَبِ الْحَاجَةِ، كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلْسَامِعِينَ.  
وَلَا تُحْزِنُوا رُوحَ اللَّهِ الْقُدُّوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الْفِدَاءِ.  
لِيُرْفَعَ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلِّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَعَظَبٍ وَصِيَاحٍ  
وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ خُبْثٍ. وَكُونُوا لَطْفَاءَ بَعْضِكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ،  
شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللَّهُ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ.  
(أفسس ٤: ١٧-٣٢)

وأخيرًا، يوضح بولس الرسول ما ستكون عليه العلاقات عندما  
تسودنا أهداف الله. كما إنه حدد سبعة ميول للقلب الخاطئ تضر  
العلاقات، وتخرب مقاصد الله، وتتطلب الاستمرار في مواجهتها.

اسأل نفسك إذا كان أي منهم واضح في علاقاتك في المنزل، وفي العمل، وفي الكنيسة، ومع عائلتك الكبيرة أو في مجتمعك.

• الميل نحو الانغماس داخل الذات (الأعداد من ١٩ إلى ٢٤) يكون الدافع فيها من وراء سلوكي في العلاقة هو تحقيق ما أريد، وليس تحقيق مقاصد الله.

• الميل نحو الخداع (العدد ٢٥). فيها يقول الفرد: سوف أتلاعب بالحقيقة لأحصل على ما أريد من هذه العلاقة.

• الميل نحو الغضب (الأعداد ٢٦، ٢٧). فيها يقول الشخص: أريد السيطرة على العلاقة عن طريق التنفيس عن غضبي أو استخدام معرفتي بأشياء فعلتها ضدك لأتحكم فيك.

• الميل نحو الأنانية (العدد ٢٨). أريد أن أحافظ على ما معي، بدلاً من تقديمه لخدمتك.

• الميل نحو التواصل غير البناء (الأعداد ٢٩، ٣٠). بدلاً من أن استخدم كلماتي لأجعلك تشعر شعورًا جيدًا، وبدلاً من أن أضعك في مكانة أعلى تكرمك، أتكلم بطريقة تجعلني أبدو أفضل منك لأتأكد من أن الأنظار متوجهة عليّ.

• الميل نحو الانقسام (العدد ٣١). أميل دائماً أن أراك عدوي. بدلا من رفيق يتصارع معي من أجل بناء العلاقة.

• الميل نحو عدم الغفران (العدد ٣٢) أريد أن أجعل الآخرين يدفعون ثمن أخطائهم في حقي.

كلنا نُغوى في العلاقات ليكون لدينا هذه الميول. لسنا معصومين من الخطأ لكوننا مؤمنين. فقد كتب بولس الرسول هذه الرسالة إلى المؤمنين لأنه يعرف جيداً أن هذه الميول ستكون فيما بعد مناطق صراع. الجزء المدهش هو أن هذا الجزء الكتابي يعدنا بوجود نعمة للتعامل مع كل صراع نمر به. أكثر الأوقات التي نرى فيها الدليل على نعمة الله الخاصة لنا كأفراد، هي تلك التي ندرك فيها أن العلاقات تتطلب عملاً شاقاً. عندها نرغب في الدخول في العلاقات بدلاً من محاولة تجنبها، لأننا في العلاقات نجد الله حاضر ويعمل. فنتحرك تجاه الآخرين بدلاً من التحرك بعيداً عنهم، ونبدأ في اختبار ما يلي:

أن خطة الله لنا أحكم بكثير من خطتنا لأنفسنا  
(الأعداد من ١٩ - ٢٤)

قوة الصدق المغيرة للحياة (العدد ٢٥)

فوائد الوداعة والصبر والحب الشافية  
(الأعداد ٢٦ ، ٢٧)

فرحة خدمة احتياجات شخص آخر (العدد ٢٨)  
 قيمة التواصل المحب والنافع (الأعداد ٢٩، ٣٠)  
 جمال الاتحاد العملي في العلاقة (العدد ٣١)  
 الحرية التي نشعر بها عند ممارسة الغفران (العدد ٣٢)

ما هي الرؤية التي يرسمها الكتاب المقدس للعلاقات؟ وفقا لما جاء في أفسس ٤، هو الفرح الأعظم الذي نختبره عندما تنمو علاقة ما في تربة من أعماق الصراعات. الصراعات ليست عقبات، ولكنها أدوات في يد الله. كل صراع وجهاد هو فرصة لنخبر نعمة الله بأنفسنا ولنقدمها إلى شخص آخر. فكّر في علاقاتك. ما هي أكثر العلاقات أهمية بالنسبة لك؟ أليست تلك العلاقات التي استمرت لسنين طويلة، مررت فيها بالكثير من الصعوبات الموجهة والأليمة؟ وإذا نظرت إلى شخصيتك التي نمت، ستجد أن بعضًا من أعماق التطورات التي حدثت في شخصيتك هي تلك التي نشأت من الضغط الشديد والكثير من التجارب.

بينما تنتهي من قراءة هذا الفصل، يجب أن تكون صادقًا مع نفسك. عليك أن تجيب على هذا السؤال، ماذا تريد من علاقاتك؟ ما الذي تريد من الله أن يحققه في تلك العلاقات؟ هل تريد لعلاقاتك الراحة وموافقة الآخرين وقبولهم الدائم لك والسهولة والسعادة والمتعة والمرح؟ أم أنك مستعد أن تتمسك بهدف الله الكتابي للعلاقات الموجود

في أفسس ٤؟ إن قداستك الشخصية على المحك فهي تعتمد على إجابتك لهذا السؤال.

في كل يوم من حياتك تختار واحدة من هاتين الخطتين، مدفوعاً بإحدى هذين الجدولين: خطتك وجدول أعمالك أو خطة الله وجدول أعماله لحياتك. فإن الخطة التي تختار أن تتبعها ستشكل رداً أفعالك تجاه كل ما يواجهك في كل علاقة من علاقات حياتك.

بقية هذا الكتاب يتطلب الكثير من العمل الشاق، ولكن هذا الجهد الذي ستبذله هو أفضل جهد يمكن أن تبذله في حياتك. إذا سعت نحو النمو في هذه الأمور، ستحصل الكثير من البركات في حياتك. فسوف تتحسن حياتك وعلاقاتك في نواح كثيرة، ولكن البعض منها سوف يزداد تعقيداً وتشويشاً. وبسبب هذا، سوف تحتاج نعمة الله بصورة أكبر. وهذا هو الجزء المثير في الموضوع!



# الفصل السادس: العبادة

بِهِ نُبَارِكُ اللَّهَ الْآبَ، وَبِهِ نَلْعَنُ النَّاسَ الَّذِينَ قَدْ تَكَوَّنُوا عَلَى شِبْهِ اللَّهِ.  
مِنَ الْفَمِ الْوَاحِدِ تَخْرُجُ بَرَكَهٌ وَلَعْنَةٌ! لَا يَصْلُحُ يَا إِخْوَتِي أَنْ تَكُونِ  
هَذِهِ الْأُمُورُ هَكَذَا! أَلَعَلَّ يَنْبُوغًا يُنْبِعُ مِنْ نَفْسِ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ الْعَذْبَ  
وَالْمُرَّ؟ هَلْ تَقْدِرُ يَا إِخْوَتِي تَيْنَةً أَنْ تَصْنَعَ زَيْثُونًا، أَوْ كَرْمَةً تَيْنًا؟  
وَلَا كَذَلِكَ يَنْبُوغٌ يَصْنَعُ مَاءً مَالِحًا وَعَذْبًا! يعقوب ٣: ٩-١٢

لم تستطع جينا أن نتمالك أعصابها، فقد كانت مهووسة برأي  
كيلسي فيها.

لقد أصاب اهتمام ليزا الشديد بأناقة المنزل جنون جوردن.

كانت تمارا المتزوجة حديثاً، مدفوعة بالنجاح في وظيفتها الجديدة،  
ولم تهتم بزواجها.

يعلم أندري جيداً، أنه يقضي الكثير من الوقت في الإشارة إلى عدم  
نضج جوانا زوجته، لكنه لا يستطيع أن يمنع نفسه عن هذا الفعل.

---

يحاول كل منا أن يقوم بدور الروح القدس  
في حياة شخص آخر، محاولاً إجراء  
التغييرات الروحية، التي لا يستطيع  
أحد سوى الرب، أن يجريها.

---

يثير براندون غضب ليندسي لأنه يظل طيلة النهار يلعب على جيتاره بينما ليس لديه وقتاً ليقراً كتاباً.

توني ليس لديه أي مانع من محبة سيليا للناس وحبها لضيافة الناس، لكن ما يزعجه هو أنها لا تعطي لعلاقتهم سوى القليل من الوقت ليقضياه معاً كزوجين.

ترك كل من جيسون وشيث العمل معاً، لأنهما توصلا إلى أنهما مختلفان جداً عن بعضهما.

إن ما يؤرق جون، هو أن ميلاني رغم أن حياتها الروحية تبدو جميلة، إلا أنها لا تملك الإدراك اللاهوتي الصحيح.

الأمر يتعلق بالكثير من الأشياء الصغيرة المجتمعة معاً مثل: أنبوب معجون الأسنان المسحوق على الأرض، بكرة ورق التواليت التي لا نجدها أبداً في مكانها، الزبدة التي أجدتها في المطبخ خارج الثلاجة، الجريدة التي أجدتها كل مساء مفككة. كل هذه الاختلافات بين ألفي وجين أصبحت مؤثرة جداً لها.

تينا جلست مع كريس في الكنيسة، تفكر في أنها لم تكن تتصور أبداً، أنها بعد زواجها سوف تذهب إلى الكنيسة كل يوم أحد.

كان دواين مقتنعاً بأنه تزوج أكثر فتاة عشوائية على وجه الأرض.

كانت آن فرحة وشاكرة لصداقتها بجريس، لكنها كانت مقتنعة بأنهما لن يكونا أبداً على نفس المستوى الروحي.

## صراع كل شخص وقصة حياة كل إنسان

هل تشعر بأنك مررت بأي من هذه الصراعات؟ فكر في الناس اللذين تتعامل معهم يوميًا. متى تشعر أن علاقاتك صعبة؟ هل شعرت يومًا أن الشخص الذي تحبه جدًا يكاد أن يصيبك بالجنون؟ هل هناك شخص في حياتك تود أن تعيد تركيبه وضبطه من جديد؟ هل هناك أوقاتًا تشعر فيها بالانفصال الروحي عن شخص ما تعرفه وتحبه؟ هل شعرت في وقت ما أن رأي شخص ما فيك مهم جدًا؟ هل تجد نفسك تحارب وتتصارع مع أشياء ليست لها أهمية كبيرة؟ هل سبق لك أن صدمت من ردة فعل شخص ما في موقف معين؟ هل سبق لك أن فضلت أن تعيش وحيدًا عن أن تشق طريقك داخل حقل الغام العلاقات؟

الصراع في العلاقات هو قصة حياة كل منا. لم يدخل أي منا في أي علاقة خالية تمامًا من الصراعات. لقد أُحبط الكثير منا، بسبب المجهود الذي تتطلبه العلاقات، لبنائها ونجاحها. كما أن معظمنا كان يحلم ويتمنى أن تصبح العلاقات سهلة بطريقة سحرية. لقد تمنى معظمنا أن يمتلك القدرة على تغيير شخص آخر والكثير منا حاول فعلاً أن يشكّل حياة الآخرين ليشبهوهم. لقد سمح العديد منا لنفسه، بأن يفعل أفعال وأن يكتسب عادات غير منطقية ويناضل من أجل تفضيلات شخصية، كما لو كانت معتقداته وتفضيلاته، قيم أخلاقية مطلقة. كما حاول كل منا أن يأخذ دور ومكان الروح القدس في حياة شخص آخر، محاولاً إجراء تغييرات روحية في حياته، لا يستطيع أحد سوى الرب أن يجريها.

لقد تحدثنا قليلاً حول أسباب صعوبة علاقتنا واحتياجها للكثير من الوقت لبنائها. ولكن ما هي الأساسات التي نبني عليها العلاقات الصحية التي تكرم الرب؟ ما هي الأفكار اليومية، والرغبات، والعادات التي يمكننا أن نكتسبها ونكونها لتجعل العلاقات صحيحة وجيدة؟ لماذا نتصارع مع شخص ما بطريقة، ومع آخر بطريقة أخرى؟

سوف نبدأ في النظر في هذه المسائل في هذا الفصل. من المعروف أن العلاقات الجيدة لا تسقط من السماء. تُبنى العلاقات الجيدة على أساسات متينة. بدون هذه الأساسات، لن تتمكن كل مجهودات العالم من صنع العلاقات التي يريدنا الله في حياتك.

## حجران أساس

لم يرى كل من متي وروب أن علم اللاهوت له أي علاقة بمشاكلهم في العمل معاً. لقد كانت تجربة مشروعهم الذي اشتركوا معاً في إنشائه، يوماً ما، تجربة مثيرة، ولكنها الآن محفوفة بالصراعات. لقد عانى كل منهما في صنع قرارات تخص العمل، ومرا بأوقات عصبية عندما كانا يتناقشان في الأمور التي من شأنها أن تؤدي إلى قرارات. كان يميل كلاً من متي وروب إلى الحساسية المفرطة تجاه الاختلافات الموجودة بينهما؛ فقد شعر كل منهما وكأنه في معركة لا تنتهي من أجل السيطرة على المشروع الخاص بكليهما. كانا يعتقدان أن كل ما يحتاجان إليه هو، الحصول على دليل خاص

بـ «طريقة» إنشاء علاقات بين الشركاء، والذي من شأنه مساعدتهم على التعامل كل منهما مع الآخر. كما كانا يعتقدان أنهما إذا وجدا مثل هذا الدليل، سيتمكنان من إصلاح مشكلتهما. ولكن احتياجهما الحقيقي، كان أكثر من ذلك بكثير.

ظهر احتياجهما الحقيقي يومًا ما، أثناء حضورهما لاجتماعهما الأسبوعي لدراسة الكتاب المقدس. إذ تعلّما مفهومين كتابيين أساسيين، لم يساعدهما فقط على تشخيص سبب مشكلتهما، ولكنهما أيضًا أظهرتا لهما المخرج. يتتبع هذا الفصل رحلتها إلى المصالحة.

تُبنى العلاقات الجيدة دائمًا على حجري الأساس، الهوية والعبادة. فعلى الرغم من أنه قد يبدو لنا أن هذان الأساسان، بعيدان عن صراعاتنا اليومية، إلا أنه، لو لم نبن مجتمعاتنا على هذان الأساسان، لن يتمكن أي شيء من حماية علاقاتنا من المشاكل والصعوبات التي تواجهها. عادة ما نعتقد، مخطئين، أن؛ علاقاتنا صعبة لأنها تشبه الأطفال في نموها، فهي تحتاج إلى بعض المهارات والكثير من الخبرة، التي تعلّمنا كيف نقيم علاقات وكيف ننمّيها. قد يكون هذا الاعتقاد صحيحًا بصورة جزئية، ولكن المشكلة الأكبر هي الأساس الذي نبنى عليه علاقاتنا وليس الطريقة التي تنمو بها. لا بد أن يتم استرداد وشفاء وإعادة بناء علاقاتنا، على أساس صلب جديد، لتشابه الصورة الأصلية التي خلقها الله لتكون عليها.

هذا الأساس ليس هو ما نفعله أو نقوله. فإن الأساس يبدأ من القلب، مصدر كل الأفكار والدوافع التي تشكّل أفعالنا وأقوالنا. قلبك موجود

دائمًا معك، وهو الذي يشكّل بعمق، تعاملاتك مع الآخرين. لو كان الأساس الموجود داخل قلبنا، صلب ومبني على الحق الكتابي وعلى تصميم الله الأصلي للعلاقات وعلى أهدافه لحياتنا، سوف نتمكن من أن نبني علاقات صحية تُكرم الله، على الرغم من أننا بشر عاديون نحيا في عالم مكسور. على عكس ما يحدث حولنا، فإن الأساسات الخاطئة، تنشئ مجتمعا مصاب.

حجري الأساس هما هويتنا وعبادتنا. لا نقصد بكلمة الهوية، الاسم وتاريخ الميلاد والمهنة، والرقم القومي. بل نتحدث عن كيف تعرف نفسك؟ - مواهبك، وصفاتك، وخبراتك في الحياة، وإنجازاتك، وأهدافك، ومعتقداتك، وأهم علاقاتك وأحلامك- كل ما تستخدمه من كلمات لتقول لمن حولك «هذا أنا.» وبالمثل، فعندما نتحدث عن العبادة، لا نقصد أن نسأل عن شكل خدمة صباح يوم الأحد في كنيستك. ولكن ما نقصده بكلمة عبادتك هو أنك بما أنك إنسان، فهناك دائما شيء ما أو أمر ما تحيا لأجله؛ عادة ما يكون: رغبة ما، وهدف تحيا لتحقيقه، وكنز في داخلك، والغرض من حياتك، وقيمة ما تحرك حياتك أو اشتياق ورغبة شديدة تسيطر على قلبك. الكتاب المقدس يذكرنا بأن الله يريد - ويستحق - أن يكون هو المركز الذي يحرك كل هذه الأشياء.

عندما أعيش انطلاقًا من فهم تعليم الكتاب المقدس عن من أنا (هويتي) وأرتاح في معرفتي بمن هو الله (عبادتي)، سوف أتمكن من بناء علاقة صحية معك. هذه المفاهيم ليست مجرد مفاهيم لاهوتية

فنحن نتحدث عن ما يسر قلوبنا وما تنسم به قلوبنا من صفات عميقة. هذه الأساسات التي تتعلق بالهوية والعبادة تعتبر جزءًا لا مفر منه من طبيعتنا كبشر. إن ما تؤمن وتقوم به في أي من هذين الأمرين سوف يشكّل الطريقة التي تعيش بها مع الناس التي وضعها الله في حياتك. لهذا السبب يمكننا القول بأننا جميعًا نعيش حياة لاهوتية، وهذا معناه أن الأشياء التي نؤمن بها عن الله وعن أنفسنا هي أساس كل قراراتنا التي نصنعها وكافة الأفعال التي نفعلها وجميع الكلمات التي نتكلّم بها. إن الفكر اللاهوتي الذي نحياه ونمارسه، أهم بكثير في تأثيره على حياتنا اليومية، من ذلك الفكر اللاهوتي البعيد عنا الذي نزع أننا نؤمن به.

## تذكر من أنت

من المستحيل ألا يهتم إنسان أيًا كان، بهويته. فقد خلقنا الله مخلوقات عقلانية، نصنع اختياراتنا بناء على الطريقة التي نفسّر بها الحياة. واحدة من أهم الطرق التي نحاول أن نجعل بها للحياة معنى، هي تحديد هويتنا، أي أن نقول لأنفسنا من نحن. كلنا لدينا هذا التعريف في داخلنا «أنا \_\_\_\_\_ ، لذلك أستطيع \_\_\_\_\_». لقد وضع الله هذا السعي نحو تحديد الهوية داخلنا كبشر، ليجذبنا به ويردنا إليه كخالقنا، حتى نتمكن من أن نجد معنى وهدف لحياتنا فيه، تكميمًا لخطته الإلهية الأساسية لحياتنا.

فإن ما أسميه هويتي، يؤثر دائماً على طريقة استجابتي للآخرين. على سبيل المثال، إذا قلت لنفسي أنني أذكي منك، فسيصعب عليّ أن استمع لنصائحك. إذا قلت لنفسي أنني استحق احترامك، فسأراقبك لأرى إذا كنت تعطيني ما أعتقد أنني أستحقه من الاحترام أم لا. على غرار هذه الأمثلة، سنجد أن فهمنا لذواتنا وإدراكنا لهويتنا يشكل طريقة تفكيرنا بشأن حياتنا وعلاقاتنا. هذا ما حدث لمتى وروب، ولكنهما لم يفهما الأمر في البداية.

حيث هويتك، يوجد كل ما له علاقة بطريقة استجابتك، نحو ما تتطلبه العلاقات مع الآخرين من جهد مبذول.

وضع روب هويته في النجاح والإنجاز، لكنه كان يشعر باستمرار وكأن متى يقف في طريق تحقيقه لهذا النجاح، بينما وضع متى هويته في قبول الآخرين له واحترامهم لشخصيته، لذلك حوّل كل خلاف بينه وبين روب إلى مشكلة شخصية. يمكنك الآن أن ترى كيف تُعقد مسألة الهوية وتحديدنا لهويتنا، العلاقات.

جزء كبير من الكتاب المقدّس هو عبارة عن قصص حول الهوية. فالكتاب يكشف عن ردات أفعالنا الخاطئة التي نقوم بها عندما ننسى هويتنا الحقيقية، فضلاً عن ردات الفعل الإلهية التي تأتي عندما ندرك

حقيقة من نحن. صدق كل من آدم وحواء كلام الحية، وانجذبا إلى أكاذيبها، وأكلا من الشجرة المحرمة لأنهما نسيا هويتها الحقيقية - التي أعطاهما لهما الرب! كان آدم وحواء، خاضعان للرب، إذ لم يكونا استقلاليان في صناعة قراراتهما. كانا من مخلوقات الله، المخلوقين ليحيوا داخل الحدود التي وضعها الله لهم.

و يواصل الكتاب المقدس سرد القصة، فنجد أن نتائج نسيان هويتنا تتكرر مرارًا وتكرارًا. فمثلاً سارة وإبراهيم تأمرا ليتمما وعد الله لهما بطريقتهما الخاصة بدلاً من الثقة بالله. إذا كنت تحتضن هويتك كابن الله، وبالتالي وارث لوعوده، يمكنك أن ترتاح بينما تنتظر منه الوفاء بها في الوقت المناسب الذي يخضع لحكمته الإلهية. فقد نسى بني إسرائيل هويتهم كأبناء الله العظيم القدير، ملك وحاكم الكون، فبدأوا في خشية الأمم المحيطة بدلاً من خشية الرب إلههم، وتزوجوا من بناتهم، وعبدوا آلهتهم. كما نسي الملك شاول هويته الحقيقية باعتباره ملك حقيقي على الأرض يمثل الملك السماوي الحقيقي الوحيد، عندما أبقى على غنائم الحرب المقدسة، التي دخلها باسم الرب، لنفسه، بدلاً من سماع صوت الرب بتحريمها. ونسى التلاميذ أنهم وكلاء عمل مملكة المسيح، لذلك اختبأوا في خوف عندما كان المسيح يواجه الموت. وبطرس أيضاً نسى هويته كرَسُول الإنجيل لجميع الأمم، واستسلم لضغوط المسيحيين من اليهود وكان يجاملهم برفض إخوتهم من المسيحيين الأمميين.

ومع ذلك، هناك أيضًا أمثلة كثيرة عن الكثيرين اللذين تذكروا هويتهم. فقد قاد موسى بني إسرائيل عبر البحر الأحمر، عابرين فيه بصورة معجزية، صارت فيها المياه كالجدران على جانبي البحر، وذلك لأنه تذكر من هو، كقائد شعب الله المختار من الله وتأييده قوة الله. كما أن داود الصغير تحرك بجرأة نحو جليات العملاق الشرير. شدرخ وميشخ وعبد نغو، رفضوا عبادة تمثال نبوخذ نصر الذهبي، على الرغم من أنهم كانوا مهددين بالاحتراق حتى الموت في الآتون. لقد تذكروا هويتهم الحقيقية ولم يخافوا من تهديدات الملك بولس وسيلا ظلا يسبحان الرب في السجن في فيلبّي. لن تفعل هذا إلا إذا كنت تدرك تمامًا أن حريتك ورفاهيتك هي من يد الرب الإله المحب والأب الصالح الكلي القدرة. الكثير من الدراما والقصص التي حدثت مع شعب الله تتحدث عن الهوية.

ما علاقة هذا الكلام بالعلاقات؟ كل العلاقة! رغم إن هذه الأمثلة لا تتحدث في أساسها عن العلاقات، إلا إنها تتحدث في نقطة مهمة جدًا. وهي أن ما تقوله لنفسك عن نفسك له تأثير قوي جدًا على الطريقة التي تتعامل بها مع القضايا الكبيرة والصغيرة في الحياة اليومية. وبنفس الطريقة، حيث هويتك، يوجد كل ماله علاقة بطريقة استجابتك، نحو ما تتطلبه العلاقات مع الآخرين من جهد مبذول. فأننا إما أن نحصل على هويتي رأسيًا، من إدراكي وبقيني بمن هو الله الذي أعبدته وبالذي قدمه لي في المسيح، أو أسعى للحصول عليها أفقيًا، وأستوحيها من ظروفِي، ومن علاقاتِي، ومن نجاحاتي.

حاول روب الحصول على هويته من نجاحه في مجال الأعمال الحرة ومن نجاح مشروعه الخاص، وهذا شكّل طريقة فهمه لكل ما يفعله متى. وفي الوقت نفسه، كان متى يستمد هويته من موافقة روب عليه وتقديره له، مما أثر على الطريقة التي كان يستمع بها لكل ما يقوله روب. صار روب مع الوقت متهيجًا، لأنه كان يأخذ اعتراض متى على أي من خططه الخاصة بالمشروع، بمحمل شخصي. بينما شعر متى وكأنه لن يتمكن أبدًا مهما فعل أن يكسب الاحترام روب.

---

إذا كنت أسعى للحصول على هويتي منك،  
فأنا سوف أراقبك عن كثب وأستمع إليك  
باهتمام وأحتاج إليك بشكل أساسي جدًا.

---

عندما نعيش من منطلق معرفتنا بحقيقة من نحن في المسيح، سنحيا حياة مؤسسة على كل ما قدمه المسيح لنا. وهذا سيقينا من السعي الدائم للحصول على هذه الأشياء من الناس أو من مواقف من حولنا. هذا هو سبب وجود الكثير من التعريفات الخاصة بالهوية في العهد الجديد. (وهنا على سبيل المثال لا الحصر: أفسس ١-٣؛ كولوسي ١: ٢١-٢٣؛ العبرانيين ١٠: ١٩-٢٥؛ بطرس الأولى ٢: ٩-١٢؛ يوحنا الأولى ٣: ١-٣) نحن نصاب بالكثير من خيبة الأمل ووجع القلب نتيجة لمحاولاتنا المستمرة للحصول على شيء من العلاقات، بينما نحن حصلنا عليه بالفعل في المسيح.

وجدت خلال ما يقرب من ثلاثين عامًا من تقديم المشورة، تحدثت فيها مع عدد لا يحصى من سيدات يعانين من زيجات صعبة، أن معظم السيدات يقلن: «كل ما أردته هو أن يجعلني زوجي سعيدة» أول فكرة ترد على ذهني دائمًا بمجرد أن أسمع هذه الجملة هي، إذن، لقد تم طبخ زوجك بالفعل، فماذا ستفعلين الآن؟

لم يُخلق إنسان على وجه الأرض ليكون مصدر سعادة شخصية أو مصدر شيع ورضى لشخص آخر. كما إننا لن نجد بالتأكيد، شخص خاطئ، بمقدوره أن يسعى لتنميط هذه الرغبة، طيلة حياته، في علاقة زواج شاملة! فلا يمكن لشريك حياتك أو أصدقائك أو أطفالك أن يكونوا مصادر هويتك. عندما تسعى لتحديد من أنت من خلال علاقاتك، فأنت بهذا تطلب من خاطئٍ مثلك أن يكون مخلصك الشخصي، ليعطيك راحة النفس الداخلية التي لن يستطيع أحد سوى الله أن يقدمها لك. فقط عندما أسعى لكي أحصل على هويتي من المكان المناسب (من علاقتي مع الله) أتمكن من أن أضع علاقتي بالآخرين في مكانها المناسب. عندما أتعامل معك من منطلق معرفتي بأني ابن الله الذي مُنح نعمته، أتمكن من خدمتك ومحبتك بالطريقة الصحيحة. فأنا من خلال المسيح وعمله، أحصل على الرجاء والشجاعة اللذان يكفيانني لأتحمل العمل الشاق الذي تتطلبه العلاقات بين البشر الخاطئة. أنت أيضًا يمكنك أن تفعل نفس الشيء معي!

ومع ذلك، إذا كنت أسعى للحصول على هويتي منك، فأنا سوف أراقبك عن كثب وأستمع إليك باهتمام وأحتاج إليك بشكل أساسي جدًا.

وسوف أصنع المستحيل في أصعب وأفضل لحظات حياتك وكل ما بينهما من لحظات عادية، من أجل أن أحصل على هويتي. ولأنني أراقبك عن قرب سوف أدرك تمامًا كل ضعفاتك وكل سقطاتك. وسوف أصبح لاذع في نقدي وشديد الإحباط وفائد الرجاء وميؤوس مني وغضوب. ولكنني لن أغضب منك لأنك إنسان خاطئ، ولكن لأنك فشلت في أن تقدم لي الشيء الوحيد الذي أسعى للحصول عليه منك: هويتي. ولكن لن تقدم لنا العلاقات أبدًا، كياننا الحقيقي الذي يخرج فقط من معرفتنا من نحن. فبدلاً من الحصول على هويتنا المفقودة، سنجد أنفسنا داخل مجموعة من العلاقات المدمرة، متروكين، ومطروحين، ومتألمين، وممتأئين بالغضب. فقد وصل كل من متى وروب إلى هذه الحالة. لقد وصلا إلى المرحلة التي لعنا فيها أوقات الذهاب إلى العمل أو التحدث مع الآخر. شعر كلاهما بأنه مصاب ومأذي من أشياء بسيطة، أخذوها على محمل شخصي، رغم إنها ليست في حقيقتها أمور شخصية مثلما صدق كل منهما. لماذا؟ لأن كل منهما كان يحاول أن يجد هويته في أشياء لم تُخلق لتُقدم الهوية.

---

عندما نفشل في عبادة الله كخالق في علاقاتنا،  
 نحاول الصعود إلى عرشه وفعل  
 كل ما في وسعنا لإعادة تشكيل الآخرين  
 ليصيروا شبهنا.

---

أشعر بالحرية أن أختار أن أخدم وأحب الآخر، عندما أتذكر أن المسيح أعطاني كل ما أحتاجه، حتى أصير ذلك الإنسان الذي صممه هو لأكونه. عندما أعرف من أنا، أشعر بالحرية في أن أتواضع وأن أكون لطيفاً مع الآخرين أن أصبر وأصمد وأحب بينما أتحرك في فوضى العلاقات المحتمومة. هل تجد في داخلك أي دليل يثبت أنك تبحث داخل علاقاتك عن أشياء، حصلت عليها بالفعل في المسيح؟

## تذكر من هو الله

العبادة هي مسألة أخرى، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بهويتنا وحقيقة من نحن كبشر. لا تدع كلمة عبادة تحصرك في اتجاه معين. فنحن لا نتحدث عن اجتماع ديني رسمي يقام داخل كنيسة. العبادة هي في البداية، هوية، قبل أن تصبح نشاطاً. أي أن هويتنا، أنت وأنا، هي أننا عابدين، ولهذا السبب نحن نعبد. فإن قلوبنا لا بد وأن يحكمها شيء ما، والذي يحكم قلبك سيحكم أيضاً سلوكك. كما كتب بوب ديلان عن هذا الأمر بوضوح، قائلاً «لا بد وأن تخدم (تعبد) سيد ما»

في متى ٦، يشرح لنا المسيح أن الشيء الذي نعبد، يحكم حياتنا. ويستخدم كلمة رائعة ليشرح لنا هذا الأمر: «الكنز» كلمة الكنز تعني، شيء غالي له قيمة معينة تقديرية. وهذا هو سبب المثل القائل، «أن قمامة شخص ما يمكن أن تكون كنز شخص آخر» في متى ٦: ١٩-٢٤، يذكرنا المسيح بأننا جميعاً نعيش وفي داخل قلوبنا أمور نعتبرها كنوز. «لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك»

أَيْضًا.» فكنزك يحكم قلبك. فلو تابعت أفعالك سترى ذلك بوضوح في حياتك. فعندما تحصل على الشيء الذي تعتقد أنه قيم ستشعر بالسعادة، ولكن لو لم تحصل عليه، ستشعر بالحزن والإحباط. وأخيرًا، يعلمنا يسوع أنه «لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْعِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الْآخَرَ، أَوْ يُلَازِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الْآخَرَ. لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدُمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ..» فإن ما يسيطر على قلوبنا يسيطر على سلوكنا. إذا كان لشيء ما قيمة ما بالنسبة لنا، سوف نسعى للحصول عليه من خلال مواقف الحياة اليومية ومن خلال العلاقات.

يؤثر هذا المبدأ على العلاقات بطرق عدة، لأنني لن أتمكن من أن أحبك كما أنت، إلا فقط عندما أعبد الله بالطريقة الصحيحة. الحب الحقيقي واحترام الآخرين نجدهما في عبادتنا لله. هل تصارع لترى ما يربط الاثنين؟ فيما يلي ثلاثة روابط بين العبادة والعلاقات.

١- لكي أحبك كما ينبغي، يجب أن أعبد الله كخالق.

يجب أن أنظر إليك بعيني داود في مزمو ١٣٩ :

«لَأَنَّ اللَّهَ أَفْتَنَانِي بِالْكَامِلِ. نَسَجَنِي فِي بَطْنِ أُمِّي.

أَحْمَدُ الرَّبِّ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدِ امْتَرْتُ عَجَبًا. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُهُ، وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذَلِكَ يَقِينًا.

لَمْ تَخْتَفِ عَنِ الرَّبِّ عِظَامِكَ حِينَمَا صُنِعْتَ فِي الْخَفَاءِ،  
وَرُقِفْتَ فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ.

رَأَتْ عَيْنَاهُ أَعْضَائِكَ» (مزمور ١٣٩: ١٣ - ١١٦)

يا لها من كلمات جميلة، مذهلة ومهمة! إذا كنت لا أرى عمل الله القدير الخالق الملائن حكمة عندما أنظر إليك، فستتأثر طريقة تواصلتي معك. الله يريد مني أن أتذكر أن يديه شكّلت وكونت كل جزء منك. لم يفقد أبداً انتباهه أثناء صنعك، ولم ينزل عن المثال الذي وضعه لصنعك، لم يخطئ في صنعه، كما أنه لم تحدث أي أحداث فجائية. لقد شكّل الخالق شكل ذقنك، وحجم جسمك وبنيتك، رسم حدود شخصيتك، ومنحك هبات فكرية خاصة بك، وأعطاك قدرات وإمكانيات طبيعية، حدد لون شعرك وجلدك ونبرة صوتك وطريقة مشيتك والملايين من الأشياء الأخرى التي تحدد شكل شخصيتك وتجعلك أنت، بصورة شديدة الحكمة. أنت المخلوق، موجود على الأرض بسبب خطة الله الجميلة.

على الرغم من أن معظمنا متأكد تماماً من أن الله هو خالق كل الأشياء، إلا إنه من السهل جداً أن نعبد يوم الأحد كخالق، بينما نلحن عمله وخلقته خلال الأسبوع. فنحن نفعل هذا عندما لا نرضى عن الطريقة التي صنع بها الرب الناس الذين نتعامل معهم كل يوم. عندما نفشل في عبادة الله كخالق في علاقاتنا، نحاول الصعود إلى عرشه وفعل كل ما في وسعنا لإعادة تشكيل الآخرين ليصيروا شبهنا. وهذا يؤدي دائماً إلى الإحباط والفشل.

هل ترغيبين سرّاً، في أن تكون البنية الجسدية للشخص، الذي أنتِ  
 معجبة به، أكثر جاذبية؟ هل تشعر بالإحباط لأن صديقتك ليست بنفس  
 مقدار ثقافتك؟ هل فعلت كل ما في وسعك لتجعل هذا الشخص التقليدي  
 المنمّق أكثر بساطة في العلاقات؟ هل ترغب أن تتعلّم زوجتك  
 الخجولة أن تكون هي من يبيت داخل الجماعة روح الحياة والحيوية؟  
 هل تحاول أن تحول هذا الشخص المنظم جدّاً، إلى شخص أكثر  
 عفوية؟ وبذلت قصارى جهدك لتحويل هذا المثقف إلى رياضي مثلك؟  
 هل تشعر بالإحباط لأن شخصاً تحبه وتهتم لأمره لا يفكر أبداً  
 في التفاصيل، أو يمكنه أن يعيش في فوضى، أو هو منبسط أكثر  
 من اللازم، أو هو سخيف أكثر من اللازم جدّاً لتحبه؟ هل يزعجك  
 أن زوجك أصبح أصلع أو أن زوجتك أصبح شعرها لونه رمادي  
 قبل الأوان؟ هل تصاب بالإحباط بسبب اختلافك الشديد عن شخص  
 غالي عليك؟

---

ما هي العلاقة؟ هي نقطة لقاء بين قصتي  
 شخصين مختلفين. المشكلة  
 هي أن في هذا التقاطع يحدث الكثير  
 من إراقة الدماء.

---

كن صادقاً: هل حاولت أبداً أن تعيد تشكيل وخلق شخص ما بحسب  
 مقاييسك؟ لقد فعل كل من روب ومتى نفس الشيء، وقعا في هذا الفخ،  
 دون أن يدركا الأمر. كان روب شخص رؤيوي لذلك حاول أن يحول

شريكة متى المهتم بالتفصيل إلى شخص حاله مثله. كما أن متى كان شخص يهتم بالإدارة والتفاصيل هي جزء لا يتجزأ من عمله لذلك كان يحاول أن يجعل روب يشبهه (وبالطبع، كل هذا من أجل مصلحة الشركة!). يسهل التنبؤ بالأمر: فإذا لم أؤكد على مجد الله في الطريقة التي صنعك بها (بما في ذلك الطرق التي تختلف فيها عني)، فسوف أحبط في علاقتي معك وأفقد الرجاء فيك كشخص وأشعر بالرغبة في أن أغير منك وأعيد تشكيلك. عادة ما تقرأ شاوننا لمايك. كانت قراءتها تدفع به للجنون! بينما هي مقتنعة تمامًا أنها إذا قرأت له بما فيه الكفاية، فسوف يحب القراءة ويصبح الشخص الذي طالما حلمت به وتمنت أن يكونه، أي سيصبح قارئًا. فقد أدى عدم استعدادها لعبادة الله كخالق مايك إلى كل أنواع الصراع في العلاقة بينهما.

إذا كنت أرغب في أن أقدرك على ما أنت عليه وأستفيد من اختلافنا، فلا بد أن أنظر إليك لأرى حكمة الخالق في إبداعك.

٢- لكي أحببك كما ينبغي، يجب أن أعبد الله  
كمن له كل السيادة.

اقرأ معي ما قاله بولس الرسول في أعمال الرسل ١٧:

وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ  
عَلَى كُلِّ وَجْهِ الْأَرْضِ، وَحَتَمَ بِالْأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ وَبِحُدُودِ  
مَسْكَنِهِمْ، يَجِبُ أَنْ يَعِيشَ.  
(أعمال ١٧: ٢٦)

نعلم جميعاً أن حياتنا لم تسر وفقاً لخططنا. وكلنا يعلم أننا لم نكتب قصص حياتنا. فإن بولس الرسول كتب هذا الجزء لأن حياتنا كتبها آخر. لقد حدد الله بصورة خاصة تفاصيل حياة كل منا. لذلك تختلف حياتي عن حياتك. لقد حدد الله مكان ولادة كل منا، ومن هم آبائنا وأمهاتنا، والثقافة التي سننشأ فيها. عندما أنظر إليك أحتاج أن أرى يد الله وهي تكتب قصتك بإحكام شديد. شكّل الله كيانك لتصبح الشخص الذي أنت عليه، وأيضاً صمم طريقة رداك تجاه الحياة، بيده وباختياراته السيادية وكتب لك رداك تجاه قصة حياتك. لقد اختار لك أن تحيا وسط مجموعة عرقية معينة لها تقاليد وثقافتها الخاصة. كما أنه وضع نظام يشكّل طريقة حياتك عن طريق بعض الضوابط الجغرافية. فهو من حدد لك أن تعيش في أسرة معينة، بكل ما فيها من قيم وقواعد، منطوقة أو غير منطوقة، تؤثر على حياتك بشدة. بل وما هو أكثر من ذلك، إذ أن الربّ حدد نوعية العلاقات التي ستدخل فيها خارج نطاق الأسرة والتي سيكون لها تأثير قوي على كل ما تفعله. فما هي العلاقة؟ هي نقطة لقاء بين قصتي شخصين مختلفين. المشكلة هي أن في هذا التقاطع يحدث الكثير من إراقة الدماء.

إذا فشلت في أن أكرم سيادة الله في كل التأثيرات التي وضعها في حياتك وطريقة تفاعلك معها، فأنا بذلك أحاول أن آخذ مكان الله وأن أشكّلك لتصير مشابهاً لي. سأميل للاعتقاد بأن طريقتي أفضل من طريقتك، ثقافتي أفضل من ثقافتك، وأن عاداتي وطباعي أكثر

ملاءمة من عاداتك وطباعك. سوف تتسبب دائماً في إحباطي بسبب ما تفعله بل وسأكون أكثر إحباطاً لأن كل محاولاتي لتشكيلك باءت بالفشل. تمنى روب، على سبيل المثال، أن ينشأ متى في أسرة يهتم أفرادها بالصورة الكبيرة. بينما متى كان يرغب في أن روب لم ينشأ في وسط أسرة من الهيبيز (الهمجيين) اللذين لا يهتمون بتفاصيل الحياة!

تتبع معظم المشاكل في التواصل، وهزالتها وعدم غناها، الصراعات الموجودة، والإحباط المستمر في علاقاتنا من رداً أفعالنا تجاه الاختلافات الموجودة بيننا وبين الآخر. فمثلاً، يقدر بعضنا قيمة المجتمع، بينما البعض الآخر يقدر الخصوصية. البعض يقدر المال، بينما يرى آخرون أن المال وجد ليتم إنفاقه. يعتاد البعض على التجمع على العشاء معاً، والبعض الآخر يعتقد أن أكلة سريعة تكفي. فنحن نختلف ببساطة لأن الرب قرر كتابة قصة مختلفة لحياة كل منا. ووضعنا بالقرب من بعضنا البعض، لأن هذا هو المكان المناسب تماماً، الذي نحتاجه، لكي ننمو ونتم مقاصد الله المحبة على الأرض. هل تشعر بالإحباط من شخص ما في حياتك؟ هل تحاول إعادة تشكيل هذا الشخص ليناسب تفضيلاتك الشخصية؟

٣- لكي أحبك كما ينبغي، يجب أن أعبد الله كمخلص

إن عبادة الله كمخلص تعني أن أعترف بأنني إنسان خاطئ يحيا في علاقة مع خطاة آخرين. أعلم جيداً أنك لا زلت في علاقة مع الله

وفي وسط مجال عمله الفدائي لحياتك- مثلي. فالرب لا يزال يبكتك، ويعلمك، ويغيّر قلبك. وهو يختار بأمانة أفضل توقيتات وفضل طرق لتشكيلك. لم يتسن لأي منا أن يدخل في علاقة مع شخص كامل. إن عمل الله الفدائي المغيّر لحياتنا مستمر في حياة جميعنا. عندما أنسى هذا الأمر، وأتحول إلى شخص متدين، وغير صبور، وناقذ، وأسمح لنفسي بإصدار أحكام على الناس. وبالتالي يتم غوايتي لأخذ دور الله وأحاول أن أغيّرك بطرق لن يستطيع أحد سوى الله أن يستخدمها. وجد كل من روب ومتى أنه من الصعب جداً أن يعمل مع شخص غير مثالي، وفي حاجة إلى عمل بعض التغييرات التي يلزم أن يجريها الله. فمتى على سبيل المثال، لم يحب أن يستمر في العمل مع شخص لا يعرف كيف يتعامل مع شريكه في التجارة باحترام. ولكن الله أراد وجودهما معاً لمساعدتهما على النمو.

عندما أفضل في أن أعبد الله كمُخلص، أكون مستهيناً جداً ومستبيحاً لذنبي وشديد التركيز على خطيتك. غالباً ما تتضرر علاقاتنا، عندما نحاول أن نكفّر عن خطايانا الخاصة، بينما ندين الشخص الآخر على خطاياهم. عندما يخطيء شخص ما في حقك، ستتأثر من نقاط ضعف هذا الشخص وفشله في السلوك بكمال. عندها يجب عليك أن تسمح لله أن يستخدمك كأداة في يديه الاقتدائية، بدلاً من أن تسعى إلى تغيير الشخص الآخر بنفسك. الله وحده هو الذي يستطيع أن يغيّر الأشخاص. هل تحاول أن تقوم بتصحيح ما في حياة شخص ما لا يستطيع أحد سوى المُخلص أن يجريه؟

## بيت القصيد

العلاقات الجيدة تنبع من الهوية والعبادة. استطيع أن أستجيب إلى كل ما تفعل بصبر ولطف ورجاء وحب شجاع، فقط عندما أتذكر من أنا وعندما أعبد الله. عندما بدأ كل من متي وروب في معرفة هوياتهم بشكل صحيح وفي الثقة في قدرة وفيما يستطيع وحده أن يفعل، بدأت علاقتها في التحرك بطريقة إيجابية. فتوقف روب عن أخذ الأمور بمحمل شخصي عندما يختلف معه متي في التخطيط لتجارتهما. بينما قلل متي من ضيقه وتأثره عندما لا يتواصل روب معه بطريقة تُكُنُّ احتراماً له. الله كان يعمل في حياة كلاً منهما، وبسبب التغييرات التي حدثت في قلوبهما، تمكنا من العمل والتخطيط معاً بشكل أفضل. استمرا بعد ذلك في التعامل مع نفس المشاكل التي كانت تؤرقهما، ولكنهما الآن يمكنهما أن يحلاها بطرق أقل عدائية وأكثر إنتاجية.

## الفصل السابع: تكلم

«فَإِذَا كُنْتُمْ تَنْهَشُونَ وَتَأْكُلُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَانظُرُوا لِنَلَّا تَفْنُوا  
بَعْضُكُمْ بَعْضًا.» غلاطية ٥: ١٥

جثا على ركبتيه ووضع ذراعه حول ابنته الصغيرة، قائلاً كلمات مريحة رقيقة. فقد مزق الكلب ذراع دميته المفضلة. وظل يقول لها كم هو يحبها وأن ماما تستطيع بسهولة خياطة الدمية مرة أخرى. فمسحت دموعها وعادت للهوها واستعادت ابتسامتها.

بينما هم جالسون في مكتبي، بدا الغضب واضحاً بينهما. وقضيا وقتاً طويلاً دون أن يتمكن أي منهما من أن يقول كلمة واحدة مهذبة للآخر. كل ما قالاه في هذا الوقت تغلب عليه سمة السخرية وتغذيه المرارة. لقد استخدمنا كلماتهما كرصاص البندقية بعد أن وجه كل منهما لسانه نحو هدف جيد جداً (الآخر). لقد أذاني ما سمعته من الألفاظ القميئة التي كانت تقال بسهولة. وصدمتُ لأن الأمر لم يكن أبداً بهذا السوء. فقد كان هناك أوقات، يقول فيها كل منهما للآخر، أكثر الكلمات محبة وبث للطمأنينة وتشجيع، وقت كانت فيه متعتهما أن يبارك كل منهما الآخر بالكلمات. لكن تلك الأيام اختفت. هذه الجلسة هي الحرب بعينها والبنادق كانت تندفع برصاصها الذي أشعل النيران في المكان.

بينما ضحك الجميع على القصة التي كان يحكيها جيم عن زوجته، كنت أرى نظرة مليئة بالألم على وجهها. لقد سمعته في السابق وهو يفعل نفس الشيء. إذ أن جيم بطبيعته يحب القصص والحكايات كما أنه يحب تسليية الناس، لكنه لم يحكي أبدًا قصص مضحكة عن نفسه. كانت ليز دائمًا هي موضوع سخريته، وكان من الواضح أنها لم تحب هذا الدور. لكن جيم كان مهتمًا بضخ الحياة والمتعة وسط الجماعة، بصورة أكبر من اهتمامه بالألم الذي كان يسببه لزوجته. وكان مشغولاً بصورة لا إرادية بـ «متعته» اللحظية.

كانت صداقتهما مذهلة. إذ أنهما كان بمقدورهما أن يخبرا بعضهما البعض بأصعب الأشياء، أشياء يصعب قولها أو سماعها، لكنهما استطاعا أن يقولوا هذه الأشياء بحبة. فقد بدا وكأنهما تجنبا تمامًا التملق والنقد غير البناء الذي لا يخدم سوى أنانية قائله. لم يساويا على الحق، عندما يقولانه لبعضهما البعض، ليبدو جميلًا قدر الإمكان. لقد انبهرت باحترامهما الهائل لبعضهم البعض، وبتدفق الحوار بينهما، ومدى استعداد كل منهما للاستماع إلى الآخر بسهولة.

بدا وكأنه يبحث عن كل باب للاختلاف والنقد أو السخرية. فهو إما صامت أو يتكلم بكلمات كلّها حدّة وإيذاء. وعلى الرغم من أنه لا يزال في سن المراهقة، إلا أن غضبه تحول إلى كلمات نارية مشتعلة أحرقت كل ما وجدته في طريقها. كان يعلم جيدًا أن الكلمات يمكنها أن تؤذي، ولذلك استخدم هذه الإمكانية لصالحه. جادل في كل نقطة وأشار على كل نقطة ضعف وسخر من الجميع

وهدد كمية من التهديدات أكثر بكثير من كل شيء صالح عمله في حياته. تجنّب كل من والديه وأشقائه الحديث معه. فقد كان الحديث معه مرهقًا وجارحًا جدًّا.

كان مساء صيفي حار جدًّا في جبال ولاية بنسلفانيا. جلس مع ثمانية أطفال صغار يلعبون وبدأ في الحديث معهم عن أسرار نعمة الله ومعه في يده كتابه المقدّس. كانت كلماته مختارة بعناية وشديدة الوضوح، فهو يعرف جيدًا أن ما سيقوله في تلك الليلة لديه القدرة على تغيير حياتهم إلى الأبد. لم يفقد صبره عندما كانوا يتمللمون، كما إنه لم ينحرف عن مساره وعن تحقيق هدفه. رنت كلماته بسُلطان، ولكن ليس لأنه كان يصيح أو يعظ. كان لكلماته سلطان النعمة المغيرة للحياة؛ وبدأ أنه فهم أن الأمر قد تم، عندها توقف. لقد كنت واحدًا من هؤلاء الأولاد الثمانية وتغيّرت حياتي إلى الأبد من الكلمات التي نطق بها في تلك الليلة.

أنت تخبر الناس في كل يوم،  
بما تعتقد عنهم، وبما تريد منهم،  
وبما تحب أن تستمتع به معهم.

## ماذا عن الكلمات؟

كلما تحدثت عن الكلام، أشعر بالإحباط. كل الكلمات التي نستخدمها لوصف التواصل بين البشر تبدو نفعية جدا. «لقد تحدثنا في هذا

«الأمر» «لقد وعدتها» «لقد وعظني مرة أخرى» «لا يمكن أن نتواصل أبدًا.» «كانت هذه مناقشة طويلة» «قضينا وقتًا طويلاً في المشاركة مع بعضنا البعض» «لا يوجد بيننا أي حوار متبادل في علاقتنا.» لا تبدو لنا الكلمات أنها تحمل الكثير. فكلماتنا التي نستخدمها تبدو عادية جدًا. ربما لأننا نعتقد أن التواصل أمر عادي، أو ربما لأن الحوار كثيرًا ما يحدث في أوقات ولحظات غير منطقية من الحياة اليومية، لذلك يسهل التقليل من أهميتها. عندما يكون ما تقوله مغيرًا للحياة، سوف تتحول اللحظات إلى لحظات نادرة ذات قيمة عالية. إن ما يحدد مسار حياة شخص ما، هي تلك الطرق التي يستجيب بها للحظات القليلة المغيرة للحياة. إن الشخصية التي تنميها وتبنيها، بناء على ما يحدث في الآلاف من اللحظات القليلة القيمة، هي تلك الشخصية التي تحملها معك في اللحظات الكبيرة الهامة.

إن تواصلك اليومي، يؤثر على شكل وجودة واتجاه علاقاتك. ويعطي كلماتك كل يوم لعلاقاتك نغمتها الخاصة. فأنت تخبر الناس كل يوم بما تعتقد عنهم، وبما تريد منهم وبما تحب أن تستمتع به معهم. ولكنك لا تفعل هذا في لحظات عظيمة من الخطابة، بل تفعل هذا في حديث جانبي سريع يحدث مثلًا في غرفة نومك بينما تستعد للذهاب إلى العمل أو في أكثر اللحظات ضغطًا عندما تجري لتقفز داخل سيارتك أو في المطبخ بينما تأخذ لك سندويتشًا صغيرًا أو بينما تأخذ القليل من الحلوى وتحبسي بعض القهوة في الحانة القريبة من منزلك أو هو حوار أسري جانبي في غرفة العائلة أثناء إجراء عملية تجارية تههم الجميع.

---

لأن أحاديثنا تعيش في وسط عالم عادي،  
لذلك يسهل علينا أن ننسى أهميتها الحقيقية.

---

لأن حديثنا العميق والقليل موجود وسط عالم عادي، لذلك يسهل علينا أن ننسى أهميته الحقيقية. من السهل جدًا أن ننسى تأثير كلماتنا على كل علاقة ندخلها. فنحن لم نرى أبدًا علاقة جيدة بدون تواصل جيد، كما إننا لن نجد علاقة سيئة إلا وسنفهم أن المشكلة حدثت في نقطة ما بسبب شيء ما قيل. إن قدرتنا على التعبير عن أنفسنا بصورة لفظية ليست أمرًا عاديًا، فهي في صميم تكويننا كبشر، وهي بالضبط كما خلقنا الله لنكون عليه، وكما فدانا المسيح لنحياه.

ندعوك في هذا الفصل، إلى الاستماع إلى كلماتك وتقييم الطريقة التي تشكّل بها كلماتك علاقاتك، بل وأكثر من ذلك، فنحن ندعوك إلى أن تنظر إلى كلامك من خلال عدسة الكتاب المقدّس، إذ أن الكتاب المقدّس يملك الكثير ليقوله عن عالم الكلام. الكتاب المقدّس لا يعتبر هذا المجال من الحياة عادي أو غير مهم، بل هو يقول العكس تمامًا عن الكلام. فإنه يعطي للكلمات قيمة استثنائية، هي بالفعل تستحقها. يدعوك هذا الفصل أن تنظر إلى المساعدة المغيرة للحياة، التي يمكن أن تحصل عليها في شخص ووعود الربّ يسوع المسيح في صراعك مع كلامك.

## منظور الله لكلماتنا

ماذا يقول الكتاب المقدس عن الكلمات؟ ربما تفكر وتجبب، لا أعرف، لكن كل ما أعرفه هو أنني لا أريد أن استمع إلى تسجيل فيه كل ما قلته في الشهر الماضي. سيكون هذا محررًا جدًا! أو تجيبني قائلاً، ما أعرفه هو أنه في الزواج يبدو الأمر وكأننا لا نتحدث قط، وعندما نحاول أن نتكلم، فإن الأمور تسوء وبسرعة، أو ربما تقول، لا أعرف ماذا أقول لصديقتي عندما تفتح قلبها وتخرج كل ما فيه من ألم؛ فأنا دائماً أشعر في هذا الوقت أنني أبحث عن الكلمات دون جدوى، أو ربما، أنا لست راض عن طريقة كلامي مع أطفالي، أو أنا أحاول دائماً أن أقول الشيء الصحيح، ولكن دائماً ينتهي بي الأمر إلى تدمير كل شيء.

الخبر السار هو أن الكتاب المقدس يتحدث بصورة عملية عن كل من هذه التجارب. فالكتاب المقدس يساعدك على تحديد مكانك في الحوار، ويساعدك أيضاً على معرفة الكيفية التي يمكن بها أن تذهب بالحوار إلى حيث تريد أن تكون. فيما يلي سنلقي نظرة على الكلمات، سلطانها، كيفية إدارتها، من خلال عدسة الكتاب المقدس.

## كلماتنا لها قوة

هناك أمثال مدهشة يترجمها لنا Eugene Peterson قائلاً: «من الكلام ما قتل، ومن الكلام ما يعطي حياة؛ فالكلمات إما سم أو فاكهة – أنت من تحدد ذلك»<sup>1</sup> هذا يوضح بقوة قدرة الكلمات العجيبة على البناء أو الهدم، وأيضاً ينبهنا إلى حقيقة أن الكلمات لها اتجاه. فالكلمات إما تذهب في اتجاه الحياة أو نحو الموت. إن أكثر شيء مدمر يمكن أن تفعله الكلمات هو أنها قد تنتج موتاً، وبالتالي فإن المثل القائل «من الكلام ما قتل» له مغزى واضح، وهو تلخيص كل الكلمات التي تخرج بغضب، كل الكلمات الجارحة، كلمات السباب والقدف، الكلمات التي تحمل أنانية ومرارة وشقاق وجميع أشكال الحديث المهينة، إلى كلمة واحدة، أنها تنتج موتاً. بينما تجمع عبارة «من الكلام ما يعطي حياة» كل الكلمات المشجعة، والمطمئنة، والسلمية، والمريحة، والبنّاءة، وكل كلمات الامتنان، وكلمات الوحدة وكل أشكال التواصل الممتلئ بالمحبة، معاً في كلمة واحدة، كلمة حياة. لأن كلماتنا لها قوة ولها اتجاه، فهي دائماً تنتج حصاداً. هذا الحصاد، إما يكون محصول من الحياة المكون من راحة وتشجيع وأمل وبصيرة ووحدة وفرح، أو محصول من الموت من الخوف والإحباط والباطل والفساد والشقاق والحزن. يمكن أن تفتح الكلمات الباب، لشخص ما لينفتح على أسرار الكون. كما يمكن أن تسحق الكلمات روح شخص آخر، وتثيره، تغضبه، أو قد تحفز الكلمات على الحب. الكلمات لها قوة.

1 Eugene Peterson, The Message (Colorado Springs, CO: NavPress, 2002), Proverbs 18:21.

---

لأن كلماتنا لها قوي ولها اتجاه، فإنها دائماً تنتج حصاً.

---

## كلماتنا للرب

يتضح في سفر التكوين الأصحاح ١ بوضوح شديد أن أول كلمات قيلت في التاريخ هي كلمات الله نفسه. اللغة ليست اختراع إنساني، اخترعها ليخدم بها مصالحه الشخصية. إذا كان الله هو أول من تكلم، إذاً اللغة هي من صنعه. هذا يعني أن الله الخالق هو من أعطى لنا القدرة على التكلّم وأنها موجودة في حياتنا لمجده. كل ما سنقوله هو ملك لله وينبغي أن نستخدمه لتحقيق أغراضه. الكلمات، باختصار، لها دعوة سامية ومقدّسة. الكلمات تميزك عن بقية الخلق وتجعلك تشبه الله أكثر من مشابتهك للحيوانات. إن هبة التكلّم تدعونا لنحيا ونتكلّم بطريقة تركز على الله. أحد أكبر أخطائنا في التواصل، هو أننا نعتبر أن الكلمات ملكية خاصة، من حقنا أن نستخدمها كما يحلو لنا. هذا ما فعله المراهق في المثال السابق، إذ أنه كان يسخر علناً من صديقه. هذا هو ما فعله الزوج، عندما كان ينتقد زوجته على العشاء. هذا هو ما يفعله الأصدقاء، عندما يمارسون النميمة على أصدقائهم في التليفونات. هذا هو ما يفعله الآباء الناقدون المطالبون. يسرق كل هؤلاء، مجد الله، إذ أنهم يتعاملون مع الكلمات على أنها خليقتهم الخاصة.

إن عالم الكلام، عالم مليء بالمتاعب

لم يتحدث أحد عن هذا الموضوع مثلما فعل يعقوب: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَعْتُرُّ فِي الْكَلَامِ فَذَاكَ رَجُلٌ كَامِلٌ، قَادِرٌ أَنْ يُلْجِمَ كُلَّ الْجَسِدِ أَيْضًا.» (يعقوب ٣ : ٢ ب). من يستطيع أن يقول بصراحة، أن كل ما قاله في حياته من كلمات كانت حسنة النية وقيلت بالشكل المناسب؟ من منا لم يؤدي في حياته شخصًا ما بكلماته أو لم يستخدم الكلمات لأغراضه الخاصة الأنانية؟ من منا لم يستخدم كلماته كسلاح من الغضب بدلًا من أن تكون أداة للسلام؟ لا تدّعي أنك بعيد عن مثل هذه الأخطاء. كن صادقًا، عليك أن تعترف بأن علاقاتك تأثرت بكلماتك، سواء كانت مؤذية أو بناءة. يدعونا يعقوب إلى الاعتراف بأن كلماتنا قوية ومؤثرة جدًا، كما أنها تعمل كمؤشر يشير لنا على احتياجاتنا الدائم لنعمة المسيح. يقول يعقوب أننا إذا كنا في هذا المجال بلا خطأ، فنحن إذاً كاملين في كل شيء. إذاً استمع لكلماتك، ألا تجد أنها تكشف لك عن عمق احتياجاتك إلى نعمة الله الغافرة؟ نحن نوصم علاقاتنا بكلماتنا الطائشة والشريرة، كما أننا مذنبون بتحويل هذه العطية إلى سلاح. نحن بحاجة إلى المغفرة والمساعدة.

مشاكل الكلمات هي مشاكل في القلب

قال المسيح، «الْإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الصَّالِحِ يُخْرِجُ الصَّالِحَ، وَالْإِنْسَانُ الشَّرِيرُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الشَّرِيرِ يُخْرِجُ الشَّرَّ.»

**فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ فَمُه.**» (لوقا ٦ : ٤٥). إن مشكلتنا مع الكلمات ليست في المقام الأول مسألة كم من المفردات أو مهارة ما، أو اختيار التوقيت. هل سبق لك أن قلت «عفوًا، لم أقصد أن أقول ذلك!» غالبًا الأدق أن تقول حينها «أنا آسف فأنا قلت ما قصدته!» لأن هذا الكلام ما كان سيخرج من فمك، إلا إذا كانت هناك فكرة ما أو اتجاه قلب وموقف ما من الشخص أو رغبات أو مشاعر تجاهه أو أغراض أخرى في قلبك، تجاه الشخص. إن كلمات المسيح لا تقول، أن المشكلة هي أن الناس، يتلفظون بأشياء لا يمكن أن تقال، ويجب عليهم أن يضعوا أرجلهم في أفواههم ليتحكموا في كلماتهم، لكنه يطلب منا أن نمتلك المسارات الداخلية بين رغبات قلوبنا وأفكارنا وأفواهنا وكلماتنا. المشكلة الحقيقية في تواصلنا تكمن في تحديد الذي نريد أن نقوله، ولماذا نريد أن نقول هذا الكلام، وكل هذا لا علاقة له بمهاراتك اللغوية. فإن يسوع يقول لنا أن الإجابة عن ماذا نريد أن نقول ولماذا نقوله موجودة في القلب، فإن القلب هو الذي يشكّل الدوافع. لذلك، إذا كنا نأمل في تغيير الطريقة التي نتحدث بها مع بعضنا البعض، يجب أن نغيّر قلوبنا أولاً.

## التزام جذري بدعوة المسيح

الله لديه جدول أعمال لعلاقاتنا. لهذا السبب، لا ترتبط عملية بناء علاقات صحيحة بما نريد أن نحصل من هذه العلاقات، ولكنها تتعلق بكون العلاقات في حد ذاتها، جزء من خطة الله لحياتنا. لقد تحدث

الرسول بولس عن هذا الأمر بقوة في كورنثوس الثانية ٥ : ٢٠ :  
**«إِذَا نَسَعَى كَسْفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللَّهَ يَعْظُبُنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ:  
 تَصَالِحُوا مَعَ اللَّهِ.»** السفير لا يفعل سوى شيئاً واحداً فقط – يمثّل  
 دولته/مملكته. وظيفته هي أن يمثّل بحضوره الملك الغائب. كل كلمة  
 يقولها مدفوعة بإرادة الملك نفسه ولصالح الملك. وهذا هو بالضبط  
 ما يدعونا الله للقيام به. فإن أقوالنا لا بد أن تكون مدفوعة بما يسعى الله  
 لتحقيقه فينا وفي حياة الشخص الآخر.

ما الذي يسعى الله لتحقيقه؟ يقول بولس كلمة واحدة عن هذا الأمر:  
 المصالحة. إن قصد الله هو أننا **«كَيْ يَعْيشَ الْأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ  
 لَا لِأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لِأَجْلِهِمْ وَقَامَ.»** (كورنثوس الثانية ٥ : ١٥).  
 الله يعمل في كل موقف وداخل كل علاقة لاستعادة قلوبنا البعيدة عنه.  
 فهو يريد أن يجعلنا أشخاصاً تهتم بصورة أكبر بما يريد الله منها أكثر  
 مما نريد نحن لأنفسنا. وهو لن يتوانى حتى نتحرر من عبوديتنا  
 لخططنا التي وضعناها لأنفسنا لتحقيق سعادتنا الشخصية. ويدعونا  
 لنتكلم بطريقة تضع جدول المصالحة في اعتبارها.

نفقد رؤية دعوتنا الأساسية، المصالحة، بطرق عديدة: عندما نختر  
 أن نتملق أصدقائنا لأننا نريد منهم أن يحبونا. عندما لا نقول الحق  
 كاملاً لنتجنب صراع مع شخص ما. عندما نصرخ في وجه أطفالنا  
 بسبب غرفهم غير المرتبة. عندما يكون كل اهتمامنا منصباً  
 على كسب جدال وحوار ما لصالحنا. عندما نغمس في القيل والقال.

عندما نشير إلى أخطاء الآخرين أكثر من طلبنا لغفران خطايانا.  
عندما نستخدم الكلمات لإيذاء شخص ما بدلاً من استخدامها لمساعدته.  
عندما نبتعد عن حقيقتنا قدر الإمكان ونجعل حواراتنا واحاديثنا عامة.  
عندما نجعل من مركز اهتمام الآخرين بكلماتنا.

بيت القصيد: يسعى كلامك دائماً إلى تحقيق أهداف مملكة ما. فأنت إما أنك تتكلم كملك صغير يسعى لتتميم مشيئته الخاصة في علاقاته، أو تسعى إلى أن تكون سفيراً، تتمم جزءاً من مقاصد وأهداف الملك الذي أنت تمثله. لا نهاية لمعركة الكلمات الدائرة بين ملكان صغيران يسعيان كل منهما لتحقيق أغراضه الخاصة. لن تنتهي صراعاتنا في العلاقات، عندما تعكس كلماتنا رغبات قلوبنا الأنانية بدلاً من أن تعكس عمل المصالحة الإلهي. نقع في الكثير من المشاكل، عندما نستخدم الكلمات لتتميم إرادتنا بدلاً من أن نخضع نواتنا لإرادة الله. إذا كنا نريد المساعدة، علينا أن نبدأ من القلب.

لهذا السبب يقول يعقوب أن كلماتنا تبين بوضوح احتياجنا لنعمة الله. كخطاة، نريد أن نحصل على ما نريد في الوقت الذي نريده وعادة ما نرى الآخرين عقبات في طريق تحقيقنا لهذا الهدف. فنحن نتعامل مع الكلمات كما لو كانت ملكنا، فنحن نستخدمها للحصول على ما نريد. عندما نواجه حقيقة أنانيتنا واهتماماتنا الشخصية، نفهم بصورة أكبر الحق الكتابي، أن تغيير القلب وحده هو الذي بمقدوره أن ينتج تغييراً في كلماتنا.

## تحدث كسفير

ما معنى أن أتواصل مع الناس كسفير؟ هل معناه أن تقتبس باستمرار من الكلمة في حديثك مع الآخرين، وأن تشير على خطايا الآخرين تبكيئاً لهم؟ هل يعني ألا أتحدث أبداً عن ما أحب مثل الرياضة أو الطقس؟ وماذا عن حاجتي اليومية لمناقشة تفاصيل يومي وترتيب أولوياتي ومسؤولياتي وحل مشاكلي ووضع خطط مع ناس أعمل معهم على إنجاز أمور معينة؟ الرسول بولس في أفسس ٤: ٢٩ - ٣٠ يساعدا على فهم معنى سفير:

لَا تَخْرُجْ كَلِمَةً رَدِيَّةً مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحًا  
لِلْبُنْيَانِ، حَسَبَ الْحَاجَةِ، كَمَا يُعْطَى نِعْمَةً (يفيد) لِلسَّامِعِينَ.  
وَلَا تُخْزِنُوا رُوحَ اللَّهِ الْفُؤُوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الْفِدَاءِ.

يعتبر هذا الجزء الكتابي، نموذج عملي رائع عن تواصلنا كسفراء. فإن التكلّم كسفراء لا يعني أبداً أن أستخدم آيات الكتاب المقدّس في كلامي، ولكن الأمر يتعلّق بالتحدّث من منطلق جدول الأعمال الكتابي. إذا كنت تريد أن تعكس كلماتك ما يريده الله ليس ما تريده أنت، عليك أن تفكر في ثلاثة أمور:

١- فكّر في الشخص («بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحًا  
لِلْبُنْيَانِ»)

التواصل الصحي يهتم بالآخر. ستفقد الكلمات معناها وقيمتها، عندما تشكّل اهتماماتي كلماتي، بدلاً من أن تشكل اهتمامات الآخرين

كلماتي. فإن بولس الرسول يقول أنني لا بد أن أقول فقط ما يبني حياتك. وبما أن الله يهتم جدًّا بأن يجعلك تشبه صورته، فلا بد أن أتحدث بطريقة تبنيك. الأمر لا يتعلّق فقط بما أقوله، بل أيضًا بالطريقة التي أنطق كلماتي بها. فأنا الآن أملك جدول أعمال افتدائي لكل شيء. نحن بالطبع نريد أن تتحول كل كلماتنا إلى كلمات افتدائية ببناء، بداية من أكثر التفاصيل الدنيوية بساطة وصولًا إلى أكبر القرارات الحياتية ضخامة. أنا لا أريد أن يكون كلامي عقبة أمام عمل الله. فإن عمل السفير دائمًا محوره الآخر.

## ٢- فِكر في المشكلة («حَسَبَ الْحَاجَةِ»)

السفير يسأل دائمًا، «ما هي المشكلة في هذه الحظة؟» «لذلك عليّ كسفير أن أفكر فيما تمر به من معاناة وفيما تتصارع معه وفي احتياجاتك، قبل أن أتكلّم. هل تحتاج إلى التشجيع أم الراحة، الرجاء أم مساعدتك في تحديد اتجاه حياتك، هل تحتاج إلى الحكمة أم الشجاعة، هل تحتاج إلى التوبيخ أم الغفران، هل تحتاج إلى التحذير، والصبر، والتعليم، والتصحيح، والشكر، والبصيرة أم تحتاج إلى مساعدة في تحديد مسؤولياتك؟ لا بد أن أشكّل كلماتي بحسب احتياجاتك. فإن كلمات السفير دائمًا تتعامل مع احتياج الشخص الحقيقي.

٣- فکّر في الطريقة التي ستستخدمها  
 («كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً (يفيد) لِلْسَّامِعِينَ»)

معنى هذا الكلام هو أن أركز على أفضل وسيلة أقول بها ما يجب أن يقال. فإن التواصل الخاص بالسفرء لا يعتمد فقط على محتوى الكلام، بل يعتمد أيضًا على الطريقة التي نوصل الرسالة الكلامية بها. غالبًا ما نختار أن نقول الكلام الصحيح بالطريقة الخاطئة أو في الوقت غير المناسب. ولكن لا بد أن يستفيد الشخص من طريقة توصيل الرسالة، بقدر استفادته من مضمون الكلمات. فإن مواجهة مراهقة قبل ذهابها المدرسة بخمس دقائق، لن يساعدها حتى لو كان مضمون المواجهة مفيدًا وصحيحًا. وتوبيخ صديق غالٍ عن خطأ ما ارتكبه في حقلك، أمام الآخرين، لن يفيد في شيء. حتى الاعتذار لزوجك عن إيلاملك له وطلب الغفران بينما هو يحاول النوم، لن يفيد في شيء. يسعى السفير دائمًا إلى أن يقول الأمر المناسب بالطريقة المناسبة.

ينهي بولس الرسول كلامه، في نمودجه العملي لتوجيه كلماتنا، بشيء مثير للاهتمام: «وَلَا تُحْزِنُوا رُوحَ اللَّهِ الْفُدُوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الْفِدَاءِ.» عندما نتحدث سويًا كملوك صغار ليحصل كل منا على ما نريد بطريقته الخاصة، تكون كلماتنا غير مفيدة وغير ملائمة. فنحن لا نُحزن فقط الآخرين بكلماتنا، بل نُحزن الرب. مثل هذا النوع من الكلام يعوق تمامًا ما يريد الله أن يفعله في ومن خلال علاقاتنا.

لذلك ينبغي علينا جميعاً أن نتذكر أن علاقاتنا صممت لتكون حجرات لمقابلات افتدائية من أجل خلاص الآخر، وليست لتكون ملاجئ لتحقيق السعادة البشرية. نحتاج إلى النعمة لتخلصنا من قيود ذواتنا حتى نتحرر كلماتنا ويستخدمها الله، لكي تعطي نعمة للسامعين أي تفيدهم.

## الفصل الثامن: العقبات

«لَا يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلْ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ.» رومية ١٢: ٢١

«من ناحية، يجب علينا ألا نتوقع أبداً أن مجهوداتنا الذاتية، يمكن الاعتماد عليها، لتجعلنا نحيا ولو أربعة وعشرون ساعة «لطفاء»، دون الحاجة إلى مساعدة خارجية. فلو لم يساعدنا الرب، لن يسلم أي منا، من الوقوع في بعض الخطايا الجسيمة. ومن ناحية أخرى، لن تتمكن أي درجة من درجات القداسة أو البطولة التي رأيناها في أعظم القديسين، من تخطي وتجنب ما يريد الرب أن يفعله في كل واحد منا. فمهمة الرب لن تنتهي في هذه الحياة: لكنه يسعى إلى الوصول بكل واحد فينا، إلى أقصى تشكيل يمكن أن يتم في حياته على هذه الأرض وقبل أن يموت.»<sup>١</sup>

يعتبر الصراع في العلاقات مع الآخرين هو أحد وسائل الله الغامضة، والمتوقع أن يستخدمها في إنقاذنا من أنفسنا. يستخدم الله هذه الصراعات ليأخذنا إلى حيث يريد هو من حياتنا على الأرض. لأننا عادة لا نعتقد أن التجارب التي نمر بها يمكن أن يستخدمها الله بطريقة إيجابية، دائماً ما تصدنا هذه الحقيقة. يمكن أن تتحول

كل أنواع المعاناة التي نمر بها في الحياة، بما فيها، المعاناة في العلاقات، إلى وسائل إلهية للخلاص وتنمिम الوجود بنعمة الله. الله يفتدي كل شيء. ونقصد هنا بكلمة إفتداء، هو أن الله يمكن أن يستخدم صراعاتنا (أو اي شيء آخر يحدث في حياتنا) ليهزم به الخطية الموجودة داخلنا ويجعلنا نشبه المسيح أكثر فأكثر، ونمتلىء بمحبة له وللآخرين. محبة تعكس طبيعته.

يعتبر الصراع في العلاقات مع الآخرين

هو أحد وسائل الله الفاضلة،

والمتوقع أن يستخدمها في إنقاذنا من أنفسنا .

## جداول أعمال متضاربة

بدا لآشلي أن اختيارها منطقي، بل وكتابي. لقد آلمتها صديقتها هنا للتو وغضبت جدًا، لكن الأمر ليس وليد اللحظة، إذ أنه ظل ينمو في داخلها طيلة السنوات الماضية. وآثرت المنافسة بينهما، على صداقتهما. كرهت آشلي الطريقة التي سارت بها الأمور وكل ما كانت تريده هو أن تنتهي الأمر تمامًا. وقد حان الوقت لتخرج كل ما في قلبها من كلمات!

أفضل ما حدث خلال السنوات الخمس الماضية، هو أن آشلي وهنا عملا معًا في الخدمة مع الشباب. لقد أحبًا خدمتهما، كما أحبًا العمل معًا. لكن هنا كانت تسعى إلى التقليل من شأن آشلي ومن تعاملاتها

مع الطلبة. لقد أرادت أن تربيها أنها المسؤولة والأكثر قدرة. وبصراحة، لقد أرادت أن يحبها الطلاب ويعجبين بها أكثر من أشلي. وشعرت أشلي أن الأمور قد خرجت عن سيطرتها، لذلك حددت موعدًا لمقابلة هنا.

بدأت أشلي الجلسة مع هنا باتهامها بالحديث عنها بصورة سلبية أمام بعض الطلاب. «لا أصدق أنك تتحدثين عني بهذه الطريقة من وراء ظهري! لم يسبق لي أن فعلت ذلك معك ولن أفعل ذلك أبدًا» تحول ألم أشلي إلى غضب و ثورة واتهام. وأنكرت هنا كل شيء. «لا أصدق أنك تتهميني بذلك.» اعتقدت أن صداقتنا أقوى من ذلك. كيف احتفظت بهذا الكلام طيلة خمس سنوات؟ لماذا لم تأتي لي لتسأليني من قبل؟»

---

لا مفر من الصراع. إذا كنت تعيش مع خطاة مثلك.

---

وعندما تحدثنا، بدأ أصل المشكلة في الظهور. فالقصة كالتالي: بينما كانت هنا تتحدث مع شخص ما لا يهتم لأمر أشلي، قالت هنا أن أشلي «شخصية تهتم بالإنجازات». كما قالت أنها في بعض الأحيان تشعر أنه من المؤلم أن تعيش معها. استغرقت هذه الملحوظة زمنًا، حتى نقل هذا الشخص هذا التصريح عن أشلي لآخرين مع إضافة بعض التحايش. في نهاية المطاف وصل الكلام لأشلي. وبدا الكلام وكأن هنا تراها ذلك الوحش الذي لا يهتم إلا بالإنجازات والذي يستخدم الناس لتحقيق أهدافه الخاصة.

لم يكن هذا الصراع مجرد زوبعة في فنان. إذ أن لكل من أشلي وهنا جدول أعماله الخاصة المهمة بالنسبة له، مما تسبب في صدمة في صداقتهم. فقد لمحت هنا أن طريقة أشلي في ممارسة السيطرة لم تكن مجرد حالة مزاجية مضطربة، بل هي خطية. ومنحت هنا أشلي هذه العطية من التعليق الماكر، الذي أعدته منذ زمن وانتظرت الوقت المناسب لتقوله، لتجعل أشلي تبدو سيئة أمام هذا الطالب بعينه. إذ أن هنا تسعى لتقول: «أنا أفضل من أشلي ويجب أن تعجب بي بصورة أكبر»

## مواجهة الصراع وجهاً لوجه

لا مفر من الصراع، ما دمت تحيا مع خطاة مثلك. كلما ازددت قرباً من شخص ما، كلما زاد احتمال نشوب صراع. العلاقات مكلفة، ولكن تجنب العلاقات أكثر تكلفة. إذا اخترت أن تتجنبهم، سوف تقلل من الصراع في حياتك، ولكن هذا الأمان له مطالبه الخاصة. ولو اخترت أن تواجه الصراع وجهاً لوجه، فسيكون طريقاً محفوفاً بالمخاطر واحتمالات الأذى الشديد، ولكنه يمكن أن يكون بناءً ويفتدي علاقاتك. ولكن في كلتا الحالتين، لن تبقى آمناً. فماذا تختار؟ هل تميل إلى تجنب الصراع؟ أم إلى المواجهة؟ أم تتحرك لتتعامل مع صراعاتك بمنظور الهي؟

إذا كان ما نقوله في هذا الكتاب صحيح، إذاً هناك اختيارات خاطئة واختيارات صحيحة. وإذا كان ما نقوله حول الله المثلث الأقانيم

صحيح، يجب أن نتحرك نحو الناس وليس بعيداً عنهم. تذكر، أن موت يسوع على الصليب، وانفصاله القضائي عن الآب والروح القدس، حتى نستطيع أن نقترّب من بعضنا البعض وليس أن نبتعد بعضنا عن بعض. علينا أن نكون على استعداد لمواجهة الصراع. فإن الله يريدنا أن ننمو والصراع يسمح بنمونا في كثير من الأحيان. الله يريد أن يجعلنا مشابهين صورة المسيح، لذلك هو يستخدم الآخرين ليتم مشيئته. الله يريد من كل من آسلي وهنا أن تعكسا صورته. لذلك وضعهما معاً لتحقيق هذا الغرض. مما لا شك فيه، أن كلا من آسلي أو هنا لم يعتقدوا أن الله اختار الاختيار المناسب! وإذا كنت في خضمّ صراع ما في الوقت الراهن، فسنتفهم مشاعرهما. ولكن صحيح ما قلناه في السابق، فالله يعمل على إنقاذك من نفسك.

## سبب وعلاج الصراع غير الإلهي

لماذا نتشاجر؟ لماذا نتصارع مع الآخرين؟ لماذا لا يمكننا أن ندخل علاقة واحدة على الأقل في حياتنا بدون «صراع»؟ يعتقد بعض الناس أن الزواج صُنع من أجل الصراعات! وسيتفاجأ هؤلاء عندما يعرفون الحقيقة. نعم الزواج هو أكثر مكان عُرضة للصراعات. لكن العلاقات العميقة مثل الزواج هي أكثر الأماكن التي تحدث فيها تغييرات خارقة للطبيعة في حياة الزوجين.

إذا كان لديك مشكلة، فأفضل المشاكل هي الصراعات في العلاقات. لماذا؟ لأن الصراع مشكلة يتناولها الكتاب المقدس بصورة مباشرة جدًا. لا يلزم أن تكون دارسًا وباحثًا في الكتاب المقدس لتحصل على المساعدة. كل ما تحتاجه هو قلب على استعداد لسماع الإجابة. يوجد شاهد كتابي يشخص سبب الصراع، ويقدم علاجًا عمليًا جدًا.

سؤال ا: لماذا نتشاجر؟

سؤال جيد . يسأل يعقوب السؤال نفسه. ونشكر الرب أنه أجابه إجابة جيدة.

مِنْ أَيْنَ الْحُرُوبُ وَالْخُصُومَاتُ بَيْنَكُمْ؟ أَلَيْسَتْ مِنْ هُنَا:  
مِنْ لَدَاتِكُمْ الْمُحَارِبَةِ فِي أَعْضَائِكُمْ؟ تَشْتَهُونَ وَلَسْتُمْ  
تَمْتَلِكُونَ. تَقْتُلُونَ وَتَحْسِدُونَ وَلَسْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنَالُوا.  
تُخَاصِمُونَ وَتُحَارِبُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ، لِأَنَّكُمْ لَا تَطْلُبُونَ.  
تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ، لِأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيًّا لِكَيْ تُنْفِقُوا  
فِي لَدَاتِكُمْ. (يعقوب ٤ : ١-٣)

هذا الجزء واضح وموجز جدًا! لاحظ أن يعقوب يقول عكس ما نقول عندما نكون في صراع . فنحن عادة ما نقول شيئًا مثل، « فعلت ذلك لأنك . . . » أو « لو لم تفعل كذا ما كنت غضبت . . . » فنحن لدينا استجابة نموذجية للصراع وهي أن نشير بأصابع الإتهام إلى خصمنا. ونحن نشعر أننا مبررون، لأن الشخص غالبًا ما يكون،

قد فعل شيء مزعج، محبط، أو حتى خاطيء! لكن يعقوب لا يدعنا نهرب من المصيدة بهذه السهولة. إذ أنه يقول وبوضوح، أنه حتى لو أخطأ شخص في حقنا، فإن سبب غضبنا ومصارعتنا هو أن هناك شيء خاطئ يحدث في داخلنا! ويقول: «أَلَيْسَتْ مِنْ هُنَا: مِنْ لَدَاتِكُمُ الْمَحَارِبَةُ فِي أَعْضَائِكُمْ؟ تَشْتَهُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ.» كلمة «رغبة» التي يستخدمها يعقوب هنا هي كلمة يفصل أن تترجم إلى «الرغبة الانانية». ليس من الخطأ أن نرغب في شيء. لكن الرغبة الانانية هي رغبة خاطئة.

---

لماذا لا يمكننا أن ندخل علاقة واحدة  
على الأقل في حياتنا بدون «صراع»؟

---

عندما اندلع الصراع بيني وبين زوجتي في ذلك اليوم في مطبخنا. كنت أضع الأطباق في غسالة الصحون وكانت تعد لنا وجبة العشاء. وفجأة اصطدمننا ببعض وبعدها بدأنا نسخر من بعض. فقلت لها: «أنا أكره أن أكون في طريقك بينما أضع الصحون في غسالة الأطباق!» فأجابت: «وأنا أكره أن أعترض طريقك بينما أنا أطبخ العشاء!» ماذا حدث؟ لقد كنت أرغب في تحقيق هدف معين، فقد كنت اشعر أنني بلا خطية وإنسان صالح وكم أنا زوج مضحي. كما أن زوجتي كان لديها هدف وهو إنجاز مهمتها كما أنها أيضاً كانت ترى نفسها زوجة صالحة وأم مضحية. وبدت رغباتنا من الخارج على حد سواء صالحة: فأنا أردت أن أساعدها

في المطبخ وهي أرادت أن تخدم الأسرة بإعداد العشاء. لكن هذه الرغبات سرعان ما تحولت من شكلها الجيد لتتخذ شكل الرغبات الأنانية. أردت أن أساعد ولكن بشروطي ووفقاً لجدولي الزمني. وزوجتي كانت تحب أن تخدمنا ولكنها أرادت أن تفعل ذلك بدون أن يعترض أحد طريقها. وأظهرت الأنانية نفسها في تعليقاتنا التي تظهر برنا الذاتي. كلانا يريد أن يظهر للآخر مدى تضحيته وعندما لم يحدث ذلك نشب بيننا صراع. لقد انفصلنا عن خدمتنا للآخر من منطلق استعلان مجد الله فينا، ومن منطلق إفادة الآخر، وتحولنا إلى خدمة نواتنا: «سوف أخدمك عندما أربغ في ذلك، وعندما أخدمك لا بد أن تكرمني.»

ما هو سبب وجود صراع في حياتك؟ هل هو بحثك عن راحتك، أو متعتك، أم هي رغبتك في أن يعترف الآخرين بما تفعل أم هي رغبتك في أن تمتلك القوة والسيطرة أم السعي وراء قبول الآخرين لك؟ وهذا هو ما يحول الأشياء الجيدة إلى «رغبات أنانية» تؤدي إلى الصراع. (لاحظ أيضاً، أن ما نخشاه هو عكس تماماً ما نريده). هذه الأمور ليست في حد ذاتها خطأ، ولكنها تحولت لتصبح رغبات أنانية. فالراحة، والمتعة، واعتراف الآخرين بنا، والقوة، والسيطرة، أو القبول يمكن أن يكونوا جميعاً بركات نستمتع بها. ولكنها تصبح خطايا عندما نسمح لها بأن تتحول من كونها بركات لتصبح آلهة نسعى وراءها وتأخذ مكان الإله الذي يعطينا هذه البركات. ففكر في الآتي: كيف تتحول الأشياء الجيدة التالية إلى أشياء شريرة:

الراحة. أريدها، يجب أن أحصل عليها، أستحقها  
ومن مصلحتك أن لا تعترض طريقي بينما أحصل عليها!  
فأنا أخشى العمل الشاق.

المتعة. أريدها، يجب أن أحصل عليها، وأستحق المتعة  
ولا بد أن تمتعني! أخشى الألم.

التقدير. أريده، يجب أن أحصل عليه، وأستحق التقدير  
وإلا سوف سوف أدمر. فأنا أخشى أن يتم التغاضي  
عني.

السلطة. أريدها، يجب أن أحصل عليها، وأستحقها  
وينبغي أن تطيعني فيما أقول! أخشى أن يخبرني أحد  
بما ينبغي أن أفعل.

السيطرة. أريدها، يجب أن أحصل عليها، وسوف تشعر  
بحرقة خيبة الأمل التي تسببها لي عندما تسيء ترتيب  
عالمي الأنيق الصغير! أخشى غير المتوقع.

القبول. أريده، يجب أن أحصل عليه، وأستحق القبول  
وأنت مسؤول أن تقدم لي القبول. أخشى الرفض.

هل تشعر أن لديك أي من هذه الرغبات؟ ربما تشعر أنك قد تضيف  
عليها. فكر في آخر مرة كنت في صراع مع شخص آخر.  
ما هي الرغبة التي تحولت إلى رغبة أنانية في داخلك؟ يقول يعقوب

في رسالته أن هذه هي الأشياء التي تختبئ تحت سطح الصراع في العلاقات. ظلت كل من أشلي وهنا تتصارعا سعيًا لإشباع هذه الرغبات. ففي اعتقادك ماهي مشكلتهن الحقيقية؟

ربما تقول أن هنا أخطأت وما كان ينبغي عليها أن تتكلم بالسلب عن أشلي. كما يمكنك أن تقول أيضًا أن أشلي واجهت هنا بشكل سيء دفاعًا عن سمعتها التي تلوثت. كل هذه المعلومات صحيحة، إلا أن المشاكل في العلاقة بينهما ذهبت إلى ما هو أعمق من ذلك. بالنسبة لأشلي، كانت سمعتها تهمها أكثر من أي شيء آخر. وبالنسبة لهنأ، أكثر ما يهمها هو التقدير في الخدمة. هاتان الرغبتان ليسا سيئتان في حد ذاتهما، ولكن هنا وأشلي سمحتا لهما أن تكبرا لتصبحا أهم من الله أو من الأمور الجيدة الأخرى في علاقاتهما. يمكن أن تكون السمعة الجيدة و تقدير الآخرين أمورًا جيدة، ولكن ليس عندما تهيمن على حياتنا وتستنفذ جهودنا. فبمجرد أن انفصلتا عن طلب مجد الله والسعي على تسديد احتياجات الآخرين، أصبحتا تسعيان لتمجيد الذات. وبعبارة أخرى، أن مجد ذواتنا ومحبتنا لأنفسنا قد حلا محل مجد الله ومحبة القريب. هل ترى كيف انقلبت الأمور رأسًا على عقب؟

السؤال ٢: ما هي الأشياء الأكثر أهمية من علاقتي مع الله؟

يسألنا يعقوب هذا السؤال لأنه يريدنا أن نفهم مدى جدية تحويل رغباتنا الشخصية مثل الراحة، والمتعة، والقوة، والسيطرة، والقبول، أو التقدير إلى رغبات أنانية. إذا لم ندرك هذه الحقيقة لن نتمو

في قدرتنا على التعامل مع الصراعات بطريقة تخلص الآخرين وتفندي العلاقات.

أَيُّهَا الزَّانَةُ وَالزَّوَانِي، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ  
لِلَّهِ؟ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ، فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا لِلَّهِ.  
(يعقوب ٤ : ٤)

عندما يأخذ شيء آخر غير الله، الأولوية في حياتنا، نحب العالم ونزني روحياً، فهذا هو ما يقوله يعقوب. هذا الأمر خطير. فأشلي وهنا، مؤمنتان تزدادتان في النمو في علاقتهما مع الرب يوماً بعد يوم، جعلتا سمعتهما ورغبتهما في التقدير أكثر أهمية من مجد الله ونعمته. الله وحده هو الذي يستحق ولائهم واهتمامهم، لأنه وحده هو الله. لكنهما جعلتا جزءاً صغيراً من الخليقة صديقاً حميماً يستحق تركيزهم. لقد أحببتنا شيئاً آخر بجانب الإله.

هل ترى كيف أن هذا الشاهد مشجع وصعب في نفس الوقت؟ فكما يقول يعقوب، نحن مذنبون بارتكاب جريمة الزنى. لقد استخدم يعقوب استعارتان ليصف علاقتهما بالله. الأولى، الزنى، إذ أن الزنى معناه أننا متزوجين من الله. والثانية، عندما قال يعقوب أننا مذنبون بصدافتنا للعالم، وهذا يعني أن الله هو صديقنا الشرعي. يعتبر هذا الكلام بالنسبة لمن يعرف الكتاب المقدس، كلام صادم! فالله الكلي القداسة، الذي لا ولن يتسامح مع الخطية، جعلنا نحن الخطاة عروسه وأصدقائه بعمل يسوع وبموته على الصليب وبقيامته!

هل ترى كيف يمكن أن تصبح الأمور الجيدة أكثر أهمية من الله؟ عندما كنت أساعد زوجتي بوضع الأطباق في غسالة الصحون، تحولت من خدمة شخص آخر لخدمة نفسي. إذ أنني كنت أسعى - إلى مجد ذاتي وأصبحت مذنبًا بمحبتتي لذاتي. ما هي الأشياء الجيدة التي تهتم بها أكثر من الله؟ فكّر في آخر مرة دخلت في صراع في علاقتك مع صديق أو زوج أو زميل في العمل أو حتى طفلك. اسأل نفسك، ماهو الشيء الذي يهمني أكثر من مجد الله؟ ما هي النعمة المؤقتة التي أريدها وأتمناها ولم أحصل عليها؟ ما الذي أخشى حدوثه إذا لم أحصل على ما أريد؟ هذه الأسئلة مفيدة لك، عليك أن تجيب عليها لتتعلم كيف تحسم الصراعات بصورة إلهية.

السؤال ٣ : ماذا يفعل الله مع الناس الذين يتركونه من أجل أشياء أخرى؟

فكر في رجل وإمرأة متزوجان، في ليلة قررا أن يتحدثا عن أمر خطير. فقد خان أحدهما أكثر شخص في الحياة ينبغي عليه أن يلتزم بالعلاقة معه التزامًا بلا حدود. إذ أنه دخل في علاقة عميقة مع أحدهم، وهذا المستوى من العلاقة ليس من حق أحد سوى شريك الحياة. ماذا تتوقع من الطرف المُساء إليه أن يفعل؟ هل تتوقع أن يتصرف وكأن شيئًا لم يحدث؟ ماذا لو قال الطرف المسيء، «أوه، ماذا بك، الأمر طبيعي جدًّا؟» أليس من حق الطرف المُساء إليه أن يعتقد أن شريكه لا يهتم حقًا بهذا الزواج؟ إذا كان المعتدى عليه مهتمًا بهذا

الزواج حتى ولو قليلاً، ألا تتوقع منه أن يغير على أسرته، أو يغضب من الخيانة؟

هكذا الحال مع الله. الله لا يختلف كثيراً عن البشر، فهو يهتم جداً بعدم إخلاصنا. وهو إله غيور يهتم بعمق علاقته معنا. حتى عندما نضل ونجد أنفسنا في أحضان محبين كاذبين، فهو يقظ جداً ويثور دفاعاً عنا. فهو يدفنا دائماً إلى كل ما هو لصالحنا، كما نرى في هذه الآيات الكتابية:

«أَمْ تَنْظُنُونَ أَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ بِاطِّلًا: الرُّوحُ الَّذِي حَلَّ فِيْنَا  
يَسْتَأْذِنُ إِلَى الْحَسَدِ؟ وَلَكِنَّهُ يُعْطِي نِعْمَةً أَعْظَمَ. لِذَلِكَ  
يَقُولُ: «يُقَاوِمُ اللَّهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ  
فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً.»» (يعقوب ٤: ٥-٦)

من الصعب أن نفاك رموز هذه الآيات، ولكن فيما يلي جوهر ما في قلب الله، والقصد وراء أفعاله معنا عندما نضل. عندما نبتعد عن الله، يقلق الروح القدس الموجود بداخلنا والذي سكب الله علينا عند الإيمان به، و يغير جداً علينا. وأفضل ترجمة لكلمة غيور «Jealous» هي كلمة شديد التعصب «Zealous». كلمة غيرة في معناها اللغوي لها دلالات سلبية، ولكنها في حقيقتها تحمل معاني إيجابية جداً. مثل الشخص الذي خانته شريكه، سيستخدم الله كل الوسائل ليسترد حبنا ومودتنا وقلوبنا. ولكن الله لا يفعل ذلك لأنه يحتاج إلينا، وإنما يفعل ذلك لأنه يحبنا. عندما يبحث عنا ونحن نتواضع ونتوب ونرجع إليه يسكب علينا نعمته!

في رأيك، ما الذي يفعله الله لاستعادة محبتنا له؟ من الغريب، أنه يستخدم الآخرين! وهذه هي احدى بركات الصراعات! فالله يستخدم المواسم الصعبة التي نمر بها في علاقاتنا ليسمح لنا برؤية حقيقة خيانتنا له، ونرى بوضوح كل ما يأخذ مكان في قلوبنا. لناخذ المشاجرة الصغيرة، التي دارت بيني أنا وزوجتي في المطبخ، مثلاً. الطريقة الوحيدة التي ساعدتني لأرى أنني في بعض الأحيان أهتم بخدمة الآخرين لأنني أبحث عن مجد لذاتي، هو أن أجد نفسي بجوار زوجتي أساعدها في المطبخ. وكان السبيل الوحيد لزوجتي لترى ما في داخلها من نزعات خاطئة هو أن تجد نفسها معي، وتصطدم بي في المطبخ معها! وهذا ينطبق على كل علاقاتنا، إذ أن الله يستخدم أشخاص آخرين لينفذنا من بحثنا الدائم عن مجد الذات وحب الذات، بطريقة غريبة وغير متوقعة. لماذا يفعل الله ذلك؟ لأنه يحبنا أكثر مما نحب أنفسنا!

---

في رأيك، ما الذي يفعله الله لاستعادة محبتنا له ؟  
من الغريب، أنه يستخدم الآخرين!  
وهذه هي احدى بركات الصراعات مع الآخرين.

---

ضع في اعتبارك أن هنا وأشلي مؤمنتان بالرب يسوع وتنميان في علاقتهما ونضجهما، وعلى الرغم من هذا فهما لا تزالان تتشاجران حول أمور تبدو بسيطة. بدون أشلي، ما كانت هنا ستعرف أبداً أنها تحب أن يعرفها الناس دائماً على أنها الخادمة المسيحية

العظيمة. ونفس الشيء ينطبق على آسلي. الله يحبهما، لذلك وضعهما معًا في علاقة حتى تنمو معًا وتطلبها الرب في نقاط ضعفهما. وأنت، من هو الشخص الذي يستخدمه الله في حياتك بهذه الطريقة؟ هل ترى كم يحبك فاديك وإلهك المحب؟ وكيف يدافع ويحامي عنك بوضع هؤلاء في حياتك؟ لو فهمت هذا الأمر، ستنمو في قدرتك على الدخول في الصراعات في العلاقات بطرق الرب. تذكر، لا يمكنك تجنب الصراع، ولكن يمكن أن يكون الصراع، مكان نمو عظيم في حياتك!

السؤال ٤ : عندما ينقذنا الرب، ماذا علينا أن نفعل؟

ستجد الإجابة على هذا السؤال في يعقوب ٤ : ٧-١٠. لو فهمنا محبة الرب المحررة لحياتنا سننمو في فرحة التوبة اليومية والإيمان به. خطوات التشكيل الإلهي التي تحول الشخص الذي يصنع شجارات إلى شخص يحب السلام هي كالاتي: أن يرى المشكلة الحقيقية، ويدركها، يعترف بها ويتخلّى عن الخطية (بالتوبة)، وفي نفس الوقت يرى الله، ويعترف بوجوده ويحبه (يؤمن به). هذه الآيات تجمع بين واقع خطيتنا ووعود نعمة الله المغيرة للحياة:

فَاخْضَعُوا لِلَّهِ. قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرَبَ مِنْكُمْ. اقْتَرِبُوا إِلَى اللَّهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ. نَقُوا أَيْدِيَكُمْ أَيُّهَا الْخَطَاةُ، وَطَهَّرُوا قُلُوبَكُمْ يَا ذَوِي الرَّاْيَيْنِ. اكْتَسِبُوا وَنُوحُوا وَابْكُوا. لِيَتَحَوَّنَ ضَحِكُكُمْ إِلَى نُوحٍ، وَفَرَحُكُمْ إِلَى غَمٍّ. اتَّضِعُوا فُدَامَ الرَّبِّ فَيَرَفَعَكُمْ. (يعقوب ٤ : ٧-١٠)

يدعو يعقوب الشخص الذي في صراع إلى فهم الحرب الروحية الدائرة. فالشيطان يستخدم أجزاء من خليقة الله لغواية قلبك بعيداً عن الله. فهو يريد منك أن تقع فريسة للبحث عن مجد الذات وحب الذات. وعلى الرغم من أنه قال قبلاً أنك تستقبل نعمة لكي تتواضع، إلا أنه يأمرنا الآن أن نتواضع وأن نصرخ لله ليساعدنا. من خلال هذه العملية يتم تغيير قلبك، وتبدأ في أن ترى أن ولاءك لأي شيء آخر غير الله، مشكلة خطيرة. بتوبتك، ينتقي قلبك، ويبدأ سلوكك في التغيير. وبينما تساعدك نعمة الله على الاتضاع، سترفعك وعوده! فبهذا تكون قد وضعت حياتك في وضعها الصحيح. فأنت بذلك تضع حياتك داخل دائرة مجد الله الكبيرة وتجدد محبتك له. بهذه الطريقة يمكن أن يكون الصراع بحسب قلب الله، وتتغير علاقاتك مع الآخرين لتصير علاقات ببناء وصالحة. كما قال C. S. Lewis، «عندما تضع الأشياء الأولى أولاً، تزداد باقي الأشياء، ولا تقل».

في المطبخ في تلك الليلة، شهدت أنا وزوجتي نعمة الله وتحركنا في اتجاه مختلف بعد أن اختلفنا. فبدلاً من الاستمرار في توجيه أصابع الاتهام نحو الآخر وبدلاً من الاستمرارية في الصراع من أجل مجد ذواتنا، وبدلاً من حماية أنفسنا، اخترنا أن نعترف بخطايانا، وطلبنا المغفرة، واستمرينا في العمل معاً. قد تتساءلوا حول مشاركتي لكم بمثل هذا الحادث البسيط. لقد فعلت هذا لأننا كبشر إن كنا لا ننمو في هذه اللحظات البسيطة، لن ننمو عندما تأتي علينا الأوقات العصيبة.

لو لم تنمو كل من آشلي وهنا داخل علاقتهما التي تحوي الكثير من الالتزام و الحب، كيف ستتموان وتتضجان فجأة، لتحبًا عدوًا، إذا طلب من أي منهما الرب ذلك؟!

## خطوة عملية

لتطبيق وممارسة ما جاء في يعقوب ٤، عليك أن تبدأ في العمل على العلاقات المبنية على الالتزام والحب. داخل تلك العلاقات يمكنك أن تشكّل عادات يمكنك أن تمارسها في وقت لاحق في علاقات أصعب وفي لحظات أكثر صرامة من الصراع. كيف يمكننا توجيه صراعنا في العلاقات، ليصبح صراعًا بحسب قلب الله، في وقت الشدة والضيقة؟ إليك بعض الاقتراحات:

" افهم أن الصراع هو أحد السبل التي يستخدمها الله في حياتنا

يمكن أن يكون الصراع بناءً. الله نفسه موجود في الصراع. الكتاب المقدس هو كتاب يتحدث عن الله الذي يدخل في الصراع لينقذنا. إذ أنه يأتي بتواضع، في شخص المسيح، ويحارب نيابة عنا ضد ويلات الخطية. الرب يسوع عانى، ومات، وقام منتصرًا على الخطية والموت. لذلك هو يدعونا إلى أن نسير وراءه ونشابهه، عندما ندخل في صراع مع الآخرين. الصراع الإلهي هو عمل من أعمال الرحمة الإلهية في حياتك وفي حياة الآخرين!

• حدد، ما هي مسببات الصراعات غير الإلهية في حياتك

ما الذي يجذب ولاءك ومحبتك بعيدًا عن الله؟ كن محددًا، ولا تُفاجأ إذا وجدت أن كل صراع من صراعاتك يكشف عن صنم ما، موجود في حياتك. هل هذا الصنم هو قبول الآخرين، أم حب السلطة، والسيطرة، وتقدير الآخرين لك ولما تفعله، والراحة، أم المتعة، أم أهم شيء هو أن تكون على حق؟ هذه هي أكثر الأصنام شيوعًا في حياة الناس.

• اعرف ردادات أفعالك المعتادة في الصراع

لدى معظمنا استراتيجيات يستخدمها بصورة معتادة ليحصل على ما يريد. هل تحب أن تتعارك مع من حولك حتى تكون دائمًا على حق؟ هل تتجنب الصراعات لأنك لا تريد الخلاف، حبًا في جمع إعجاب الجميع؟ هل تتجنب الصراع لأنك لا تحب المشاكل وتحمل مشقة العلاقات؟

• ادخل في الحرب الروحية وكن ذكيًا

عندما ترى جيدًا ما سعت دائمًا لتتاله وكيف حاولت الحصول عليه، يمكنك البدء في النمو في التوبة والإيمان. تحتاج أن تريد أن تكون صادقًا جدًا في اعترافك بخطيتك، ولكنك أيضًا تحتاج إلى أن تكون متحمسًا جدًا وممثلًا بالرجاء الذي قدّمه لك المسيح

على الصليب . كما أن عليك أن تتذكّر أنك لديك الروح القدس، ولديك بالفعل ما يكفيك لتدخل في صراعاتك في العلاقات بطريقة الرب، وتصمد أمام الصراعات غير الإلهية!

## • اهتم بالشخص الآخر

بينما يرد الرب قلبك بنعمته، عليك أن تبحث في كل علاقة عن طرق الرب في بناء صراعات مقدّسة تغيّر القلوب. هل يفورك الرب في هذه العلاقة إلى أن تلاحق شخصاً وتواجهه بخيبة ما؟ هل تدفعك هذه العلاقة إلى النمو في الصبر وتشجيع هذا الشخص؟ هل أنت بحاجة إلى تعلّم التعاضّي عن الإساءات الموجهة إليك؟ بينما تفكر في خطوتك التالية في العلاقة مع هذا الشخص، ما هي نقاط ضعفه وخطاياه التي عليك أن تضعها في إعتبارك؟ في تسالونيكّي الأولى، يشجّع الرسول بولس الكنيسة بمحبة للدخول في صراعات مقدّسة وبناءة. يقول الرسول بولس في الآيات ١٤-١٨ من الأصحاح ٥ ، أن هناك طرقاً مختلفة للمواجهة، وهذه الطرق تعتمد على احتياج الشخص الآخر و ما سيبنيه روحياً.

وَنَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ: أَنْذِرُوا الَّذِينَ بِلَا تَرْتِيبٍ.  
شَجِّعُوا صِغَارَ النُّفُوسِ. أَسْنِدُوا الضُّعْفَاءَ. تَأَنَّنُوا  
عَلَى الْجَمِيعِ. انظُرُوا أَنْ لَا يُجَازِي أَحَدٌ أَحَدًا عَنْ شَرِّ  
بَشَرٍ، بَلْ كُلِّ حِينٍ اتَّبِعُوا الْخَيْرَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ.  
أَفْرَحُوا كُلَّ حِينٍ. صَلُّوا بِلَا انْقِطَاعٍ. اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ،

لأنَّ هَذِهِ هِيَ مَثَبِيَّةُ اللَّهِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مِنْ جِهَتِكُمْ.  
(تسالونيكي الأولى ٥: ١٤-١٨)

هناك أوقاتًا للتحذير، وأوقاتًا للتشجيع، كل هذا لمساعدة الشخص الذي دخلت في صراع معه. نحن مدعوون لنكون دائمًا صبورين ونتخلّى عن الإنتقام.<sup>٢</sup> تضع الآية ١٦ أساسًا لهذا النوع من نمط الحياة في العبادة. إذا كنا لا نعبد الله ولا نضعه في مكانته في حياتنا، التي هي المكانة الأولى، سنفشل فشلًا ذريعًا وستكون النتيجة دائمًا هي أذية من حولي بدلًا من مساعدتهم.

ضع خطة لخدمة حياة الشخص

إذا وصلت لدرجة أن صبرك قد نفذ، ولا بد من مواجهة الشخص، عليك أن تتحرك نحوه بالطريقة التالية:

١- اعترف بكل خطية شخصية ارتكبتها، افعل هذا فقط إذا كنت مدرغًا تمامًا أنك أخطأت. فأحيانًا سنكتشف أخطاء وضعفات، و أحيانًا لن نكتشفها، لكن في معظم الأحوال يخطيء الطرفان، لذلك لا تخف أن تعترف بنقائصك وتقصيرك في العلاقة وفي محبة الشخص. إن ثقتك في بر المسيح (وليس في برك الشخصي) ستمكّنك من مواجهة الشخص!

٢- حدد المشكلة بالاسم. قد يكون هناك أكثر من مشكلة واحدة تحتاج أن تتعامل معها وتواجهه بها. كن محددًا بحيث تتعامل

٢ سوف نتحدث بصورة أكبر عن الغفران في الفصل التالي! إن طلب الغفران وتقديمه جزء هام من عمل الله القدائي في العلاقات. سنخطيء، ولكن حتى عندما نخطيء، يوجد رجاء!

معًا مع المشكلة. وعليك أن تتعامل مع مشكلة واحدة وليس كل المشاكل مجتمعة معًا!

٣- **استكشفا الحلول الممكنة.** استمر في التركيز على المشكلة، وتوصلا معًا إلى الرغبة في التعامل معها. اقترح حلولًا بديلة واختر الحل المناسب.

٤- **نفذا الحل المتفق عليه.** كونا محددين في تحديد شكل الحل والتنفيذ وشكل علاقتكما.

٥- **قيّمًا تنفيذ الحلول ونتائجها.** التزما بجلسة أخرى، وقيّمًا فيها الحل وإلى أي مدى نجح هذا الحل في تطوير علاقتكما. هذا الالتزام هو شكل من أشكال المساءلة. فهو عبارة عن التزام شديد بالعلاقة.

٦- **إذا لم تتحسن الأمور، اطلبًا مساعدة خارجية.** يجب أن تختارًا معًا شخصًا تثقا فيه ويحترم كل منكما دون محاباة.

---

تشدد، لأن الرب حاضر و موجود في صراعاتك  
وهو يحارب عنك!

---

لم يقل أحد أن الصراع جميل وممتع! الحياة المسيحية ليست دائمًا متعة، فمتعتنا ليست هي الأهم. الله ملتزم بأمر أكثر أهمية. تتطلب خطة الله الأبدية وبنيان مملكته، استردادًا كاملاً لطبيعة الإنسان

الأصلية التي خلقه عليها، لذلك لن يقبل أي شيء أقل من أن تمجده حياتنا وأفعالنا. في النهاية، سوف يسترد الله مكانته ليصبح مركز الخليقة كلها، وعندما يحدث ذلك سنكون أكثر رضى. لذلك يستخدم الرب صراعاتنا الحالية، ليتم بها خطته الكاملة. تشدد، لأن الرب حاضر وموجود في صراعاتك!

بدأنا الفصل باقتباس من C. S. Lewis. دعونا نكمل الاقتباس هنا:

«ولهذا السبب يجب ألا نفاجأ بالأوقات العصيبة في حياتنا. عندما يعود شخص ما للمسيح، وتتحسن أحواله (بمعنى أن بعض عاداته السيئة تغيرت)، يعتقد حينها أن كل شيء سيكون على ما يرام، وأنه قد حان الوقت لسلسلة في الحياة. وعندما تأتي المشاكل- مثل: الأمراض والمتاعب والمشاكل المالية وإغراءات جديدة- يشعر بخيبة أمل. ويفكر، أن الرب ربما يسمح بهذه الأشياء، لتحثه على التوبة عن أيام تقصيره وتعيوجه المستقيم، ولكن لماذا الآن يارب؟ لأن الله يجبره على الدخول إلى مستوى جديد في علاقته بالرب وفي القداسة: يضعه في أوضاع وعلاقات تضطره إلى النمو في الشجاعة أو في الصبر أو النمو بصورة أكبر في المحبة، أكبر من كل أحلامه وطموحاته

الروحية. يبدو لنا أن كل هذه المشاكل لا لزوم لها: ولكن هذا لأننا ليس لدينا أدنى فكرة عن الأمور العجيبة التي ينوي أن يصنعها الرب في حياتنا.

وهنا لا بد لي أن أقتبس مثلاً قاله جورج ماكدونالد. تخيل نفسك بيتاً ولكن هذا البيت حي وفيه روح. دخل الله هذا البيت ليعيد بناءه. وفي البداية، تشعر أنك تفهم جيداً ما يفعل. فهو يصلح المجاري ويوقف تسريب المياه من السقف وهكذا: فأنت كنت تعلم جيداً أن تلك الأشياء تحتاج إصلاحات ولذلك أنت لا تتعجب من أفعاله. ولكن بعد فترة وجيزة بدأ الرب يطرق على الحيطان بطريقة مؤذية جداً وبشكل يضر بصحة البيت. تبدو هذه الأفعال بلا معنى لك. ماذا ينوي أن يفعل؟ التفسير الوحيد هو أن الرب قرر أن يبني بيتاً مختلفاً تماماً عن ذلك البيت الذي كنت ترى نفسك عليه - بانياً حجرة جديدة هنا، دور علوي هناك وبرج حمام وساحة خارجية. كنت تعتقد أن شكلك النهائي مجرد كوخ صغير لطيف: لكنك وجدت الرب يبني قصرًا. فهو ينوي أن يأتي و يعيش فيه بنفسه.»<sup>3</sup>



# الفصل التاسع: الغفران

«أُبْعِدْتَ عَنِّي مَعَارِفِي. جَعَلْتَنِي رَجْسًا لَهُمْ. أُغْلِقَ عَلَيَّ فَمَا أَخْرَجُ.  
عَيْنِي دَابَّتْ مِنَ الدَّلِّ. دَعَوْتُكَ يَا رَبُّ كُلَّ يَوْمٍ. بَسَطْتُ إِلَيْكَ يَدَيَّ.»  
(مزمور ٨٨: ٨-٩)

شعرت جريس بالخيانة، وهي بالفعل تعرضت للخيانة. التقى زوجها جون بوحدة ما على شبكة الإنترنت منذ ستة أشهر، ودخلا معًا في علاقة غرامية طيلة الثلاثة أشهر الماضية. اكتشفت جريس الأمر عندما استخدمت كلمة المرور الخاصة بجون عند استخدامها للكمبيوتر، فوجدت مجموعة من الرسائل السرية بينهما. انهارت جريس تمامًا. ماذا عليها أن تفعل؟ ترددت جريس بين الرغبة في الانتقام وبين إلقاء اللوم على نفسها.

في سن المراهقة المبكرة، تعرضت هيزر للاعتداء من قبل أحد أفراد الأسرة، وهي الآن في الكلية، تعيش تحت سحابة من الشعور بالذنب. أطالت شعرها لتغطي به وجهها، إذ أنه بدا لها وكأنه شكل من أشكال الحماية. هي الآن مترددة مثل جريس، بين الرغبة في الانتقام والشعور بالذنب.

ظل آندي وميليسا زوجان طيلة عشرين عامًا. كان زواجهما قويًا ويزداد في النمو. ولكن منذ بضعة أيام، انزعجت ميليسا جدًا عندما

عاد أندي إلى المنزل متأخرًا. قالت له بعض الكلمات الساخرة - وهي لا تتذكر الآن ماذا قالت، لكن أندي غضب بشدة، وبدأ في تبرير نفسه، وتحول إلى النقد اللاذع. ظل التوتر موجودًا لعدة أيام، إذ زحفت الخطية وخلقت حاجزًا بينهما.

أحب بيل أولاده وأراد لهم أن يكونوا أولادًا بحسب قلب الله. لكن أولاده مراهقون، وفي فترة يحاولون فيها أن يكونوا فكرهم الخاص المنفصل عن والدهم. عاد مايكل ابن بيل ذات يوم، ودخل من الباب الخلفي للبيت وأغلق الباب بعنف شديد. كان مستاءً من تراجع شقيقه عن وعده بلعب كرة السلة معه. صاح بيل في مايكل، إذ لم يعجبه هذا التصرف الغاضب. «يا مايكل أنت لديك مشكلة، وأنا لن أقبل المزيد من أفعالك هذه. أنت لا تسيطر على غضبك! والآن اخرج واهدأ!» عندما سمع مايكل والده يصيح، صاح هو الآخر، واستدار، وخرج من المكان.

## هل تعتبر هذه الأمثلة، أمثلة مألوفة؟

ما هو الشيء المشترك بين هذه المواقف القصيرة؟ هل ترى نفسك في أي منها؟ أول اثنتين منهما يُعتبران من المشاكل الكبيرة والخطيرة في العلاقات، إذ أنهما ينطويان على خيانة زوجية وإساءة جنسية. أما آخر اثنتين فهما من المشاكل الاعتيادية التي نمر بها كل يوم. تتضمن كل قصة أشخاص مخطئون في علاقة مع آخرون يخطيء

الآخر في حقهم. وهذا هو نتاج العلاقات في العالم، إذ أننا خطاة ونحيا في العالم مع الخطاة الآخرين.

يعرض كل سيناريو فرصة لممارسة الغفران. ولكن في كثير من الأحيان في هذه الحالات، نختار أن ننتقم، أو نتجاهل الإساءة. تعاني علاقاتنا عندما نرفض فرصة تقديم الغفران أو طلبه، ولكن عندما نختار أن نمارس الغفران بطريقة صحيحة، لا تعود العلاقة فقط إلى حيث كانت قبل الإساءة، ولكنها تتحرك إلى مزيد من النضج. كل من هذه السيناريوهات مختلف في درجته من جهة الصعوبة والخطورة والتهديد على العلاقة، وليس من جهة نوعه. وأثناء هذه المواقف، تتبع في داخلنا أسئلة: «كيف يمكننا استرداد هذه العلاقة، وكيف يمكننا تحويلها إلى علاقة بناءة، ذات معنى؟» «ما هو شكل الغفران الذي سأقدمه؟» «كيف يمكنني أن أغفر دون أتصرف وكأن ما فعله الآخر لا يمثل لي مشكلة؟» «أين أجد الرغبة في أن أغفر أو في طلب الغفران؟» «ما هو الغفران؟»

عندما نختار أن نمارس الغفران الحقيقي، لن تعود العلاقة فقط إلى ما كانت عليه قبل الإساءة؛ ولكنها ستتحرك نحو مزيد من النضج.

١ سيختلف الأمر تمامًا لو كانت هناك جريمة اغتصاب مثلاً، ففي حالة هيزر، لن يمنع غفرانها للمعتدي، توجيه تهمة جنائية له.

كلنا نسأل هذا السؤال، ما هو الغفران؟ وعلى الرغم من هذا، يبقى الغفران هو أقل صفة تمارس من بين صفات المجتمع المسيحي كلها، هذا إذا كانت تمارس. أعرف هذا من ممارستي الرعوية ومن خبرتي الشخصية. فأنا احتجت إلى ما يقرب من عشرين عامًا من الإيمان وما يقرب من عشر سنوات من الزواج حتى أبدأ في فهم الغفران، وممارسته بصورة عملية مع زوجتي! ومع ذلك يتحدث الكتاب المقدس عن ممارسة الغفران كما لو كان أمرًا يوميًا. يلخص C. S. Lewis الأمر بصورة جيدة قائلًا:

«أن نغفر استفزازات الحياة اليومية المستمرة - الاستمرارية في مسامحة والدة الزوج المتسلطة، والغفران للزوج البلطجي والزوجة النكدية، واحتمال أناتية الابنة، وخداع الابن - كيف يمكننا أن نفعل ذلك؟ أعتقد أن هذا لن يحدث، إلا إذا تذكرنا حقيقتنا ومكاننا، وعيننا ما نقوله في الصلاة الربانية، «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا» «لقد قُدم لنا الغفران بلا شروط. لذلك يعتبر رفضه هو رفض لرحمة الله المُقدّمة لنا. لا يوجد أي استثناءات في كلمات الرب يسوع، والرب يعني ما يقوله تمامًا»<sup>2</sup>

تأمرنا الصلاة الربانية بأن نصلي قائلين، «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا» وجاءت هذه الطلبة مباشرة بعد طلبه

«خبزنا كفافنا أعطنا اليوم». ممارسة الغفران شيء يجب علينا القيام به يوميًا بنفس الطريقة التي نطلب بها تعزية الله المادي اليومي لحياتنا. فهي جزء من حياتنا اليومية، وليست طلبية محفوظة تنتظر أحداث الحياة «الكبيرة» وخطايا الآخرين الجسيمة. اسمحوا لي أوضح. لقد أتحت لي فرصة اللقاء بمئات من الأزواج الذين يسعون إلى مساعدة في زواجهم. أكثر المشاكل شيوعًا في الزواج هي تقديم الغفران وقبوله. لقد التقيت بأزواج تزوجوا منذ عشرين عامًا، ومع ذلك لم يعترف أي منهم بخطيته ولم يطلب غفران الآخر له ولو لمرة واحدة. كيف يمكن أن يكون هذا؟ يتحدث الكتاب المقدس عن الله الذي يغفر، فهو يدعو أولئك الذين قد عُفرت لهم خطاياهم أن يغفروا للآخرين. ومع ذلك، نحن لا نحول الغفران المجاني الذي نلناه من الرب إلى غفران للآخرين، إلا فيما ندر. نحن بحاجة إلى مساعدة! كل من الأشخاص الموجودون في الأمثلة السابقة يحتاجون إلى مساعدة، وأنت أيضًا.

## توجيهات على طريق الغفران

لماذا لا نغفر؟ لماذا لا يُمارس الغفران بصورة أكبر في الكنائس المسيحية، وداخل الأسرة، وفي العلاقات؟ نحن لا نمارس الغفران لأننا لا نفهمه، لكن الكتاب المقدس لا يتركنا في جهل وعدم فهم بشأن هذه الممارسة الحيوية. إذ أن يسوع يقدم لنا مثالًا في متى ١٨: ٢١-٣٥. والأمثال دائمًا قوية وغير متوقعة. لا يمكنك توقع مدى قوة المثل. كما أنك لا تتوقع أبدًا أن قوة هذا المثل ستوجه

إليك! ولكن أمثال يسوع في كثير من الأحيان تتسلل وتفاجئنا بالإشارة إلى سقطاتنا الخاصة وحاجتنا إلى النعمة. وهذا المثل له نفس الصفات.

«حِينَئِذٍ تَقْدَمُ إِلَيْهِ بِطُرُسُ وَقَالَ: «يَارَبُّ، كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنَا أَعْفِرُ لَهُ؟ هَلْ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لَا أَقُولُ لَكَ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ، بَلْ إِلَى سَبْعِينَ مَرَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ.»

«لِذَلِكَ يُشْبِهُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا مَلِكًا أَرَادَ أَنْ يُحَاسِبَ عِبِيدَهُ. فَلَمَّا ابْتَدَأَ فِي الْمُحَاسِبَةِ قُدَّمَ إِلَيْهِ وَاحِدٌ مَدْيُونٌ بِعَشْرَةِ آلَافِ وَزَنْةٍ (مِائَةِ أَلْفِ دُولَارٍ). وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يُوفِي أَمْرَ سَيِّدِهِ أَنْ يُبَاعَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَأَوْلَادُهُ وَكُلُّ مَا لَهُ، وَيُوفِي الدَّيْنَ. «فَخَرَّ الْعَبْدُ وَسَجَدَ لَهُ قَائِلًا: يَا سَيِّدُ، تَمَهَّنْ عَلَيَّ فَأُوفِيكَ الْجَمِيعَ. فَتَحَنَّنَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْعَبْدِ وَأَطْلَقَهُ، وَتَرَكَ لَهُ الدَّيْنَ.»

«وَلَمَّا خَرَجَ ذَلِكَ الْعَبْدُ وَجَدَ وَاحِدًا مِنَ الْعَبِيدِ رُفْقَائِهِ، كَانَ مَدْيُونًا لَهُ بِمِئَةِ دِينَارٍ (عَشْرَةُ دُولَارَاتٍ)، فَأَمْسَكَهُ وَأَخَذَ بِعُنُقِهِ قَائِلًا: أَوْفِنِي مَا لِي عَلَيْكَ (الآن).» «فَخَرَّ الْعَبْدُ رَفِيفَةً عَلَى قَدَمَيْهِ وَطَلَبَ إِلَيْهِ قَائِلًا: «تَمَهَّنْ عَلَيَّ فَأُوفِيكَ الْجَمِيعَ.» فَلَمْ يَرُدْ بَلْ مَضَى وَالْفَاهُ فِي سَجْنٍ حَتَّى يُوفِيَ الدَّيْنَ. فَلَمَّا رَأَى الْعَبِيدَ رُفْقَاؤُهُ مَا كَانَ، حَزِنُوا جِدًّا. وَأَتَوْا وَقَصُّوا عَلَى سَيِّدِهِمْ كُلِّ مَا جَرَى.

«فَدَعَاهُ حِينِيذُ سَيِّدِهِ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الشَّرِيرُ، كُلُّ ذَلِكَ  
الدَّيْنِ تَرَكْتُهُ لَكَ لِأَنَّكَ طَلَبْتَ إِلَيَّ. أَفَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْكَ أَنْتَ  
أَيْضًا تَرْحَمَ الْعَبْدَ رَفِيقَكَ كَمَا رَحِمْتَكُ أَنَا؟. وَغَضِبَ سَيِّدُهُ  
وَسَلَّمَهُ إِلَى الْمُعَذِّبِينَ حَتَّى يُوفِيَ كُلُّ مَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ.  
فَهَكَذَا أَبِي السَّمَاوِيُّ يَفْعَلُ بِكُمْ إِنْ لَمْ تَتْرُكُوا مِنْ قُلُوبِكُمْ  
كُلُّ وَاحِدٍ لِأَخِيهِ زَلَاتِهِ»<sup>٣</sup>

تكشف لنا هذه القصة عن الكثير من الحقائق حول طبيعة الغفران،  
لكنها تعطينا لمحة عن الدوافع التي ينبغي أن تقودنا إلى الغفران. بينما  
ندقق في دراسة هذا المثل، سنفهم معنى الغفران وسندرك أهميته.

يمكنك أن تختار اختيار واعي بأن تتحمل  
بنفسك تكاليف الغفران.

## الغفران يتطلب إلغاء ديون الآخر

يعتبر تشبيه الرب يسوع الغفران بإلغاء الديون، تعريفًا محددًا  
للغفران. لقد تحمل الملك الرحيم دينًا قدره ١٠٠٠٠٠٠ دولار، من حقه  
أن يأخذها. عندما تغفر لشخص ما، فأنت تتحمل شيئًا وتلغي دينًا.  
ولكنك وبصورة أكثر دقة، تختار اختياريًا واعيًّا بأن تتحمل تكاليف  
الغفران بنفسك. فأنت تختار ألا يدفع الجاني ثمن إساءته. فأنت تعد  
الشخص بتنازلك عن حقاك في رد الإساءة، بثلاثة وعود.

3 Eugene Peterson, The Message (Colorado Springs, CO: NavPress, 1993), Matthew 18:21-35.

الوعد الأول: أنت تعده بأنك لن تستخدم دينه كوسيلة لتمارس حقك وتستخدم نفوذك. عندما تغفر، تقول بغفرانك أنك لن تجعل الشخص المسيء يدفع ثمن جريمته، بتذكيرك الدائم له بما قام به، محاولة منك للسيطرة عليه. هذا لا يعني أنه لا يمكنك مناقشة الأمر ومحاولة التعامل مع الإساءة بطريقة تفتدي علاقتكما وتبنيها. وهنا ينبغي أن نستخدم وسائل التعامل الإلهية مع الصراع كما ناقشناها في الفصل السابق.

الوعد الثاني: تعد الشخص بأنك لن تشهرّ بما فعل الشخص ولن توشي بأفعاله للآخرين تشويهاً لسمعته. وهذا لا يعني أنك لن تتمكن من أن تطلب المشورة من الآخرين ليساعدوك على التعامل مع الأمر بصورة كتابية مسيحية، ولكنه يعني أنك لن تشوه سمعة هذا الشخص تحت مسمى الحصول على المشورة. فأنت لن تثرثر حول ما فعل الشخص ولن تروج الإشاعات.

وأخيراً، الوعد الثالث: هو أنك لن تردد في داخلك ما فعله الشخص تجاهك. أحد أكبر تحديات الغفران، هي أنك تختار أن لا تعيد على مسامعك ما فعله هذا الشخص مراراً وتكراراً.

عندما تفشل في تقديم الغفران لشخص ما، تكسر هذه الوعود الثلاثة. فبدلاً من إلغاء ديون الشخص، تجعل ديونه دائماً نصب عينيه، وأمام عينيك، وأمام عيون الآخرين. وتمتلك الرغبة في أن تجعل الشخص يدفع ثمن ما فعله بطريقة تفوق رغبتك في الغفران.

## الغفران مكلف، ولكن عدم الغفران أكثر تكلفة

مهما حاولت أن تفكر في الأمر بصورة مختلفة، ستجد أن الغفران مكلف بكل الطرق. بغض النظر عن حجم الإساءة، فإن إلغاء دين شخص وتحمل تكلفة خطأه، يعتبر أمر جارح. ولكن يعلمنا المثل أن عدم الغفران أيضًا له ثمن، وثمان عدم الغفران أكبر بكثير من ثمن الغفران. وهنا يجب أن ندع الحق يقود مشاعرنا، لأننا عادة ما نشعر بالراحة عندما نردد في داخلنا إساءة الآخر ونتمسك بحقنا في الانتقام. مشاعر الانتقام أفضل في رأينا، من مشاعر ألم تحمل الإساءة والغفران، وهذا يعمينا عن دعوتنا الروحية السامية التي نسعى لتحقيقها. يقول يسوع بوضوح أن عدم الرغبة المستمرة في الغفران ستكلفنا بصورة أبدية! الله يعاملنا بنفس الطريقة التي نعامل بها الآخرين. يعتبر الرفض العدائي للغفران علامة على أنك لم تتعرف على غفران الرب العجيب الشخصي لحياتك. يكشف سلوكك غير المحب عن حالة قلبك السيئة. بالإضافة إلى أن تمسكك بإساءة الآخر في حقك، ستملأك مرارة وعدم محبة، وحتماً سوف تلحق الضرر بكل علاقاتك. أيًا كان اختيارك سوف تدفع الثمن. فما هو الثمن الذي أنت على استعداد أن تدفعه؟

فشلك في تقديم الغفران لشخص ما سيفيّرك

لاحظ معي ما فعله الخادم عديم الرحمة بعد أن رفض إلغاء دين العبد الآخر، «فَأَمْسَكُهُ وَأَخَذَ بِعُنُقِهِ قَائِلًا: أَوْفِنِي مَا لِي عَلَيْكَ (الآن).»

(عدد ٢٨)، «الْقَاهُ فِي سِجْنٍ حَتَّى يُوفِيَ الدَّيْنَ.» (عدد ٣٠) ! وأمام الملك، الذي كان أمامه منذ قليل ضحية تحتاج الشفقة، أصبح بسبب المرارة والغضب، معندي يلزم أن يحكم عليه. هل ترى كيف يحدث الأمر بسهولة؟ وكيف يبدو لنا أن الرغبة في جعل المخطيء يدفع الثمن، هي رغبة طبيعية جدًا. وكيف يزداد حس العدالة داخل الشخص ليتحول إلى الرغبة في الانتقام. قد لا يتسبب هذا في مضايقة أحد، ولكنه بالتأكيد سيُخرج شخص ما من حياتك تمامًا. المرارة تقف عند الباب وفي النهاية لو لم تتعامل مع الموقف أو لم تمنح الغفران، فستسود المرارة حياتك. لهذا السبب يتوجب علينا أن نمارس الغفران بصورة يومية عندما يرتكب أحدهم خطأ في حقنا. إذا لم تبدأ بالتعامل مع المناوشات اليومية الصغيرة، ستخسر المعارك، التي سيكون ثمنها حياة من العداة والخصام والقتال.

### الغفران حدث وعملية

عندما سأل بطرس يسوع، «يَارَبُّ، كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنَا أَغْفِرُ لَهُ؟ هَلْ إِلَيَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ؟»، أعتقد أن الرب سيجيبه بأنه شديد النبل لأنه سيغفر سبع مرات لشخص مسيء. لكن على العكس، فقد وبخ يسوع بطرس وقال له أن الغفران بلا حدود. لا توجد طريقة يمكننا بها أن ندور حول كلمات يسوع، ولا فائدة من محاولة تخفيف الآثار المترتبة عليها. فمبدأ الغفران، ينطبق على كل الخطايا مهما كان عددها أو نوعها، وحتى المتكرر منها. فنحن نعتقد أننا بمجرد أن نغفر لأحدهم ينتهي دورنا. لكن الغفران ليس فعل ماضي،

وليس مجرد حدث، حدث في الماضي، ولكن الذي يغفر لا بد أن يستمر في ممارسة عملية الغفران، لنفس الشخص، حتى عندما يتعامل مع نفس الخطية التي غفرها للشخص بالفعل في السابق. حتى لو غفرت لك أمرًا فعلته في الماضي، لا بد أن أحذر من أن أنزلق إلى المرارة في وقت ما في المستقبل. أنا بحاجة للحفاظ على ممارسة الغفران في كل مرة أراك فيها أو أفكر فيك.

لماذا يعتبر الغفران عملية هامة؟ لأنه حتى لو غفرت إساءة شخص ما، سوف تميل إلى التفكير فيها عندما تقابله المرة التالية، أو عندما يخطئ في حقك ثانية. وستضع، دون أن تدرك، هذه الخطية على قمة جبل تراكمات خطايا الشخص القديمة في حقك. وهذا ما يجعل الغفران صعبًا.

## الغفران ليس النسيان

يقول الناس أن النسيان دليل على الغفران. ويدعي البعض أنه بما أن الرب يقول في إرميا ٣١: ٣٤، «يَقُولُ الرَّبُّ، لِأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ، وَلَا أَدْكُرُ خَطِيئَتَهُمْ بَعْدُ.» إذًا هذا الشاهد يعلمنا أن الغفران معناه النسيان.

هناك مشكلتان في فهم هذا الجزء. الأولى، هي أن نسيان الإساءة أمر غير واقعي، ففعلونا لا تعمل بهذه الطريقة، كما أن أذهاننا لها قدرة كبيرة على التذكّر. لذلك تعتبر محاولة نسيان إساءة ارتكبتها شخص ما في حقك، محاولة فاشلة، وستنتهي بأن تتذكّر الخطية

بصورة أكبر. فالأمر يشبه مثلاً، أن أطلب منك ألا تفكر في الفيل الوردى، فماذا ستفعل؟ لذلك يعتبر محو الخطية من الذاكرة أمراً غير واقعي. والمشكلة الثانية، هي أن هذا الطلب، طلب غير كتابي. فالجزء الكتابي في إرميا لا يقول أن الله يفقد الذاكرة عندما ينظر إليك. إلهنا الكلي العلم لا ينسى أي شيء! كلمة «اذكر» هنا لا تعني «تذكر»، ولكنها «وعد» من الله، فهي كلمة عهد يقطعه الله معنا. فالله في هذا الشاهد يعدنا بأننا إن اعترفنا بخطايانا، «لن أعاملكم بحسب خطاياكم، ولن أرد لكم بحسب ما تستحقون من عقاب. ولكنني، سوف أغفر لكم».

لهذا السبب يعتبر الغفران حدثاً وفعلاً ماضياً، وعملية مستمرة تتطلب التزاماً في المستقبل. فهو وعد قد وعدته في الماضي ويتطلب منك أن تواصل التزامك به في المستقبل. وعندما تفعل ذلك، عادة ما تتبدد ذكرى التعديات والإساءات الصغيرة. ربما لا تختفي ذكرى الإساءات الكبيرة. إذ أن جريس لن تنسى أبداً خيانة جون لها. وهينر لن تنسى الإساءة. ميليسا وأندي سوف يتذكرا ما فعلاه ببعضهما البعض. مايكل سوف يتذكر أوقات غضب والده. إلا أن كل فرد سيستمر في ممارسة الغفران الكتابي. إذ أننا جميعاً يمكننا أن نعد ونفي بوعدونا.

الغفران هو كل من؛ حدث فعلته في الماضي وعملية مستمرة في المستقبل. فهو وعد، وعده في الماضي، وستلتزم به في المستقبل.

من المهم جدًا أن نفهم هذان البعدان من الغفران (عدم النسيان، واستمرارية الغفران). إذا لم نفعل ذلك، سوف ننحرف في احد اتجاهين خاطئين: ١- سوف نعاني من الشك المستمر حول غفراننا للشخص المسيء لأننا لم ننسى إساءته ولأننا نعتقد خطأً أن الغفران يتطلب النسيان. ٢- سوف نستسلم للمرارة دون أن ندرك، لأننا نعتقد أن غفراننا في الماضي كافٍ، وأن من حقنا التمسك ببقايا الألم وتذكر الإساءة في الحاضر والمستقبل. فجريس على سبيل المثال قد تعاني من الشك حول إذا ما كانت قد غفرت لجون أم لا، لأنها لم تنس فعلته. وقد تعاني من المرارة، معتقدة أن غفرانها له في الماضي كافٍ. وكلا الأمرين لا يعكس طريقة غفران الله لنا.

الغفران له بعدان، بعد رأسي وآخر أفقي

بالإضافة إلى هذا المثل، نجد أن الكتاب المقدس ممتلئ بدعوات للغفران. يوجد شاهدان في الكتاب المقدس، يبدوان متناقضين: مرقس ١١: ٢٥ ولوقا ١٧: ٣. إذ أن مرقس ١١: ٢٥ يقول «وَمَتَّى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ، فَأَغْفِرُوا إِنَّ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ، لِكَيْ يَغْفِرَ لَكُمْ أَيْضًا

أَبُوكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ زَلَّاتِكُمْ.» بينما لوقا ١٧ : ٣ يقول «اِحْتَرِزُوا  
لأنفسكم. وَإِنْ أخطأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَوَبِّخْهُ، وَإِنْ تَابَ فَاعْفِرْ لَهُ.»  
فمرقس ١١ : ٢٥ يقول لنا، أن علينا أن نغفر للمسيئين إلينا مهما كانت  
إساءتهم، بينما لوقا ١٧ : ٣ يبدو أنه يقول أن عليك أن تغفر للشخص  
فقط عندما يتوب. أيهما حق؟ كلاهما حق!

تتحدث الآيات عن جانبين مختلفين من الغفران. فمرقس ١١ : ٢٥  
تتحدث عن الغفران كاتجاه قلب أمام الله. وسياق الآية هو العبادة.  
فبينما أعبد الرب، عندما أفكر في خطية شخص ما، الله الذي أعبد  
يدعوني إلى أن آخذ اتجاه قلب غافر نحو الشخص الذي اخطأ  
في حقّي. هذا الأمر غير قابل للتفاوض. فأنا لا أملك الحق في حجب  
الغفران والاحتفاظ بالمرارة داخل قلبي. أما لوقا ١٧ : ٣، فيتحدث  
عن الغفران باعتباره فعلاً أفقياً يبني العلاقة بيني وبين الجاني. وعادة  
ما يُستخدم هذا الشاهد للإشارة إلى المصالحة. فلو لوقا ١٧ : ٣ يهتم  
بعلاقتي بالمخطيء وببنيانه، إذ أنني بينما اهتم بالغفران الرأسي  
للآخر أمام الله، سأحتاج إلى توبة الشخص المعتدي لكي يحصل  
هو على الغفران. ولكن حتى لو لم يفعل ذلك، أنا مدعو إلى الحفاظ  
على موقف الغفران تجاه الجاني. جانب الغفران الرأسي غير مشروط،  
ولكن الجانب الأفقي يعتمد على الجاني وعلى اعترافه بذنبه وطلبه  
للغفران.

وهذا يعني أن جريس يمكن أن تقول لجون، «أنا غفرت لك أمام الرب، ولن أجعلك تدفع ثمن ما فعلت». لكنها لن تتمكن من أن تمنح المغفرة لجون ولن تتم المصالحة، إلا إذا اعترف بأنه قد أخطأ وطلب غفرانها. وهنا نجد أن الكتاب المقدس واقعي جداً ودقيق. يبين هذان البعدان معنى الغفران. فقد تتوق جريس للمصالحة مع جون. يمكنها أن تمهد طريق المصالحة بممارستها الغفران الرأسي. ولكن في النهاية لن تتمكن من عمل المصالحة بمفردها، وهنا يأتي دور جون. جانب الغفران الرأسي ليس اختياريًا بالنسبة لجريس، لكنها لن تتمكن من تحقيق المصالحة بمفردها.

الغفران لا يعني السلام الكامل وسهولة دفع التكاليف

هل يبدو لك أن الغفران يعني أنك يجب أن تترك الناس يخطئون في حقك؟ يتناول الكتاب المقدس بحكمته هذا الجزء. يعتبر هذا المثل، جزءاً من نقاش طويل دار حول الحياة في ملكوت الله. يُعلّمنا متى ١٨: ١-٥ يُعلّمنا بأكمله عن كيفية التعامل مع خطايا الآخرين. متى ١٨: ١-٥ يُعلّمنا أن الحياة في الملكوت تحتاج إلى التواضع، لكي نواجه شخصاً ما بخطيته، بلطف. متى ١٨: ٦-٩ يُعلّمنا أن الحياة في ملكوت الله تتطلب التعامل بجدية مع الخطية. فلا يمكننا إخفاءها تحت سجادة حياتنا الخاصة أو سجادة حياة الآخرين. متى ١٨: ١٠-١٤ يُعلّمنا أن الحياة في ملكوت الله تطلب منا أن نبحث عن الضال والمفقود.

فالحب الحقيقي يحتاج إلى السعي المستمر. أما المثل الذي درسناه يُعلّمنا أن الحياة في ملكوت الله تتطلب غفراناً جذرياً. في منتصف الفصل (الأعداد من ١٥ - ١٧) نجد تعليمات محددة حول كيفية التعامل مع شخص ما أخطأ في حقنا.

«وإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَأَذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحَدِّكُمَا. إِنْ سَمِعَ مِنْكَ فَقَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ، فَخُذْ مَعَكَ أَيْضًا وَاحِدًا أَوْ اثْنَيْنِ، لِكَيْ تَقُومَ كُلُّ كَلِمَةٍ عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ (حتى يساهم وجود الشهود في أمانة الطرفين). وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيُكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثِيِّ وَالْعَشَارِ (عليك أن تبدأ من البداية، أي واجهه بحاجته للتوبة، واعرض عليه محبة الرب الغافرة واکرز له كما تركز للوثني).»<sup>٤</sup>

لم يقل الكتاب المقدس أبداً، «دع الآخرين يخطئون في حقك» بل على العكس إذ أن بولس الرسول يقول في رسالته إلى أهل رومية الأصحاح ١٢ : ١٨ : «إِنْ كَانَ مُمَكِّنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ.» فيولس يدعونا أن نسعى من أجل السلام، ولكنه يعلم أن هناك حدود وطاقاة لكل إنسان عندما نسعى للسلام مع شخص. وعندما تصل إلى آخر حدودك الممكنة، ستجد خيارات أخرى متاحة لك من أجل فداء علاقاتك وبناءها. إذ أن محاولاتك لتقديم محبة لشخص دائم

الإساءة، ستتطلب في الكثير من الأحيان المواجهة وربما الانفصال عنه. وأحياناً ستحتاج لتدخل قادة الكنيسة. كما قد تتدخل الحكومة نيابة عن الطرف المساء إليه لمعاقبة المعتدي.

## طلب ومنح الغفران

من المهم أن تعرف كيف تطلب وتمنح الغفران. سقط كل من أندي وميليسا في سلوك سيئ عندما بدأا المصالحة. إذ أنهما خلال علاقتهما بعد الغفران، أخطئا في بعضهما البعض، وفي كل مرة كان يخطيء أحدهما، كان يقول للآخر، مثلاً أندي: «ميليسا أنا آسف لأنك غضبتي عندما صحت في وجهك. فأنا أكره أن يحدث هذا الأمر في علاقتنا.» فترد ميليسا: «لا تقلق يا أندي. أعتقد أنني كنت متعبة بعد يوم طويل من العمل الشاق.»

لو لم يكن هذا المشهد حقيقياً فسنعتقد أنه مشهد كوميدي. في اعتقادك، ماذا فعل أندي؟ لقد ألقى باللوم على ميليسا! إذ أنه قال ضمناً أن المشكلة ليست في أنه صرخ في وجهها، ولكن في ردة فعلها، إذ أنها كانت حساسة جداً وتضايقت. كما أن استجابة ميليسا كانت خاطئة إذ أنها تحملت اللوم على خطية أندي واعتذرت عن ردة فعلها. قد لا تبدو هذه الأشياء مهمة، في بداية علاقة ما، ولكن مع مرور الوقت، تتحول هذه النسخة المزيفة من منح وطلب الغفران إلى طريقة مميتة وقاتلة. فلن يعترف أحد بذنبه ولن يطلب أحد الغفران أو يقدمه.

ماذا ينبغي أن يفعل كل من آندي وميليسا؟ لو أخطأ أي منهما في حق الآخر، لابد أن يعترف الشخص بخطاياهم. لابد أن يدرك المخطيء خطأه، ثم يطلب الغفران، لهذه الخطية بعينها. والمساء إليه عليه أن يختار أن يقدم الغفران أو لا. وإذا لم يحدث الأمر بهذا الترتيب، فذات لحظة، ستغضب ميليسا من آندي وستتهمه بأنه لم يعترف أبدًا بأخطائه. كما أن آندي سوف يستمر في فعل نفس الشيء مع ميليسا وسيكون في هذه الحالة، كلاهما محق!

وإليك ما ينبغي أن يحدث: «ميليسا، أنا آسف لأنني صحت فيك. ما فعلته كان خطأ. هل تغفرين لي؟» وبذلك يكون آندي محددًا في ذكر ذنبه. وحينها ميليسا لا ترد «أنا على ما يرام.» لماذا؟ لأنه ليس جيدًا أن يخطيء شخص في حق آخر! ولكن عليها أن تصنع قرارها بنفسها: أتغفر أم لا؟ إذا توصلت إلى أنها عليها أن تغفر، عليها أن تقول «أشكرك يا آندي على الاعتذار. نعم، أنا أغفر لك.» ولو كانت أخطأت في حق آندي عليها أن تقول «هل تغفر لي سخريتي؟» أنا وزوجتي على مر الزمن بدأنا ننضج روحياً وتعلمنا ممارسة الغفران، تعلمنا التواصل بوضوح وصراحة، مستخدمين كلمات تظهر التواضع، والصدق، والنعمة.

يمكننا، بطبيعة الحال، أن نفعل كل هذا، ونستخدم كل الكلمات الصحيحة، دون أن نعي ما نقول. وهذا هو النفاق بعينه وحينئذ لا يكون للغفران أي علاقة بالموضوع. الغفران الحقيقي، يقودنا إلى كلمات متضعة، تتدفق من قلب منكسر يعني بصدق ما يقول.

## الاعتذار وطلب الغفران

هناك فرق بين الاعتذار وطلب المغفرة. يكون الاعتذار مناسباً عندما تفعل شيئاً خاطئاً بطريق المصادفة. على سبيل المثال، إذا سكبت فنجان القهوة على ملابسك، وأنت في منزل أحدهم، دون أن تقصد، ينبغي أن تقول، «أنا آسف جداً لأنني فعلت ذلك.» كما أنه ينبغي أن تفعل كل ما بوسعك لمساعدة أصحاب المكان في تنظيفه. ولكن لنفترض أنني ألقيت القهوة عمداً على ملابسك، لأنني غضبت منك؟ لا يعتبر هذا الفعل صدفة. وهذه خطية. لذلك يجوز حينها أن أعذر، ولكنني يجب أن أحدد بوضوح خطي، وأعترف بها، وأطلب الغفران.

## الغفران بالنعمة

كيف ستغفر نعمة لجون؟ من أين ستحصل هيدر على القوة لتغفر لمن أساء إليها إذا تاب؟ كيف سيمارس كل من آندي وميليسا الغفران في زواجهما يوماً بعد يوم؟ من أين سيحصل مايكل على القوة ليغفر لوالده؟ كيف سيصل جون إلى المرحلة التي سيتمكن فيها من الاعتراف بذنبه ومن طلب الغفران من جريس؟ ولو أمكن، كيف سيجد من أساء لهيدر الشجاعة ليعترف بالشر الذي ارتكبه؟ من أين سيحصل كل من ميليسا، آندي، وبيل على القدرة الروحية التي ستمكنهم من الاعتراف بخطيتهم الخاصة وطلب المغفرة؟ وماذا عنك؟

من الصعب إيجاد حد فاصل بين ما هو غفران وما هو ليس غفران، كما أن ممارسته صعبة. ربما فكرت، أثناء قراءتك لهذا الفصل، فيمن أخطأوا ضدك. وربما شعرت باضطراب عندما عرفت أنك مدعو لأن تغفر لهم. وفكرت في شخص أخطأت أنت في حقه، وعرفت أنك محتاج إلى أن تطلب من هذا الشخص أن يغفر لك. هل يخيفك ما يطلبه الحق منك؟ تشدد! فإنك ستجد في هذا الفصل الكثير من الأمل والرجاء، وليس مجرد الكثير من التعليم الصادم.

في مثل الرب يسوع، نجد أن الملك تحمل بقرار إعفائه عن دين الخادم، خسارة قدرها، آلاف الدولارات. فيا له من ملك سخي! تخيل لو كنت مديوناً للضرائب بـ ١٠٠٠٠٠٠ دولار أو حتى عدة ملايين من الدولارات، فعلى الأرجح ستكون مهذباً بالسجن. ولنفترض أن شخص ثري عرض عليك دفع كل ديونك، وإعطائك كل ما يكفيك من المال لتعيش مثل الملياردير. ستمتلئ بالامتنان لهذا الشخص. وسيحيا هذا الشخص دائماً داخل فكرك، وستشارك الجميع بهذه القصة المثيرة. وستكون كريماً جداً مع الجميع مستخدماً ثروتك الجديدة، مساعداً كل محتاج أو كل من هو في مشكلة بل وقد تساعد حتى من أساءوا إليك. ولكن لو لم تختار أن تستجيب بهذه الطريقة، سوف تثير تساؤلات جدية حول حالتك الروحية!

هل تفهمني؟ فالملك في المثل كان يشير إلى يسوع، الذي جاء ليحمل نتيجة خطايانا - التي هي دينونتنا بسبب خطيئتنا - والتي تجعل الملايين من الدولارات تبدو وكأنها بضعة دولارات. جاء يسوع

وسُفِكَ دمه من أجلنا. أرسل الأب ابنه، تاركًا السماء التي هي قمة مجده، حتى يغفر لك ذنوبك. اقرأ بطرس الأولى ١: ٩-

«بَطْرُسُ، رَسُوْلُ يَسُوْعِ الْمَسِيْحِ، اِلَى الْمُتَغَرَّبِيْنَ مِنْ شَتَاتِ بُنْتَسَ وَغَلَاطِيَّةَ وَكَبْدُوْكِيَّةَ وَآسِيَا وَبِيْثِيْنِيَّةَ، الْمُخْتَارِيْنَ بِمُقْتَضَى عِلْمِ اللهِ الْاَبِ السَّابِقِ، فِي تَقْدِيْسِ الرُّوْحِ لِلطَّاعَةِ، وَرَشِّ دَمِ يَسُوْعِ الْمَسِيْحِ: لِتُكْتَرَّ لَكُمْ النِّعْمَةُ وَالسَّلَامُ.

مُبَارِكُ اللهُ اَبُو رَبَّنَا يَسُوْعِ الْمَسِيْحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيْرَةَ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءِ حَيِّ، بِقِيَامَةِ يَسُوْعِ الْمَسِيْحِ مِنَ الْاَمْوَاتِ، لِمِيْرَاتٍ لَا يَفْنَى وَلَا يَتَدَسُّ وَلَا يَضْمَحِلُّ، مَحْفُوْظٍ فِي السَّمَاوَاتِ لِأَجْلِكُمْ، أَنْتُمْ الَّذِيْنَ بِقُوَّةِ اللهِ مَخْرُوسُوْنَ، بِإِيْمَانٍ، لِخَلَاصٍ مُسْتَعَدٍّ أَنْ يُعْلَنَ فِي الزَّمَانِ الْآخِيْرِ.

الَّذِي بِهِ تَبْتَهْجُونَ، مَعَ أَنْكُمْ الْآنَ إِنْ كَانَ يَجِبُ تُحْرَنُونَ يَسِيْرًا بِتَجَارِبِ مُنْتَوَعَةٍ، لِكَيْ تَكُوْنَ تَرْكِيَّةَ إِيْمَانِكُمْ، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِالنَّارِ، تُوْجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلَانِ يَسُوْعِ الْمَسِيْحِ،

الَّذِي وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ تُحِبُّوْنَهُ. ذَلِكَ وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَرَوْنَهُ الْآنَ لَكِنْ تُؤْمِنُونَ بِهِ، فَتَبْتَهْجُونَ بِفَرَحٍ لَا يُنْقَطُ بِهِ وَمَجِيْدٍ، نَائِلِينَ غَايَةَ إِيْمَانِكُمْ خَلَاصَ النُّفُوسِ.»

اقرأ هذا المقطع مرة أخرى. والآن بعدما قرأته مرة، عد وقرأه خمس مرات! ثم خلال هذا الأسبوع، اقرأه في كل صباح عندما تستيقظ. وقرأه كل ليلة قبل أن تنام. عليك أن تقرأ هذا الجزء الكتابي مفكرًا في نفسك وعلاقاتك وفي ناس تحتاج أن تغفر لهم أو تحتاج أن تطلب منهم الغفران. فهذا هو كل ما يريده يسوع منك أن تفعل كما قال في المثل الذي جاء في متى ١٨. فالرب يريدك أن تضع نفسك في مكان الخادم الشرير العديم الرحمة، حتى يتسنى لك أن تتجنب الوقوع في نفس الخطأ الرهيب الذي وقع هو فيه. هذا المثل هو عن تحذير المحبة.

بينما تفكر في هويتك الحقيقية في المسيح، هل تدرك مدى ثرائك؟ فغناك هو الأساس الوحيد، لهذا النوع من الغفران الجذري، الذي يدعوك يسوع لممارسته. لن تستطيع أن تقدم مثل هذا الغفران إلا بالنعمة. إذا قرأت بطرس الأولى ١ ومتى ١٨ مرارًا وتكرارًا، ستفقد كل رغبة في الانتقام. إذا كنت أحد المستفيدين من نعمة الله المكلفة العظيمة، فسوف تمارس بالتأكيد، تقديم النعمة المكلفة للآخرين.

اسمحو لي أن أختتم كلامي، بمثال من واقع الحياة. نهب ضابط تركي منزل امرأة أرمنية. قتل الوالدين المسنين وأعطى البنات الصغيرات للجنود، واحتفظ بالإبنة البكر لنفسه. بعد فترة وجيزة، هربت تلك الفتاة ودرست التمريض. مع مرور الوقت، وجدت نفسها

في قسم التمريض الخاص بجناح الضباط الأتراك. وذات ليلة، رأت وجه ذلك الضابط الذي نهب بيتها، وكان الضوء خافتاً. بدا مريضاً جداً، لدرجة الموت، لو لم يلق عناية طبية استثنائية. ومرت الأيام، وتمائل الضابط للشفاء. وأخذها الطبيب ووقف بها إلى جانب سريره وقال له: «ما كنت ستعيش، بدون محبتها الشديدة لك، وتفانيها في علاجك. «نظر إليها الضابط وقال، «هل أعرفك، هل سبق أن تقابلنا؟» أجابت الفتاة «نعم»، وقالت: «لقد تقابلنا» سألها «لماذا لم تقتليني؟» أجابت: «أنا من أتباع من طلب منا قائلًا «أحبوا أعداءكم»<sup>6</sup>

يمكننا بنعمة الله المذهلة، أن نفعل مثلما فعلت أختنا في المسيح، في علاقاتنا وفي حياتنا.

6 L. Gregory Jones, *Embodying Forgiveness: A Theological Analysis* (Grand Rapids: Eerdmans, 1995), 265-266.



## الفصل العاشر: الرجاء

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ابْتَغِدِ الْحَقُّ عَنَّا،

يُذِرْكُنَا الْعَدْلُ.

نَنْتَظِرُ نُورًا فَإِذَا ظَلَامٌ.

ضِيَاءٌ فَنَسِيرٌ فِي ظَلَامٍ دَامِسٍ.

نَتَلَمَّسُ الْحَائِطَ كَعَمِي،

وَكَالَّذِي بِلَا أَعْيُنٍ تَتَجَسَّسُ.

قَدْ عَثَرْنَا فِي الظُّهْرِ كَمَا فِي العَتَمَةِ،

فِي الصَّبَابِ كَمَوْتِي.

نَرَأُرُ كُنُنًا كَدْبَةً،

وَكَحَمَامٍ هَدْرًا نَهْدِرُ.

نَنْتَظِرُ عَذْلًا وَلَيْسَ هُوَ،

وَحَلَاصًا فَيَبْتَعِدُ عَنَّا.

أصعب شيء، هو أن تحيا في منتصف شيء ما، فخير لك أن تعيش إما في بداية أمر أو في نهايته. فعندما تكون في بداية أمر، تمتلئ شعورًا بالرجاء والترقب، إذ أنك مرتبط برؤيا وحلم، يحملان في داخلهما الكثير. فالناس في بداية شيء تميل إلى أن تكون حاملة، وخيالية، وتريد البدء في تحقيق الحلم. أما الناس في نهاية أمر تميل إلى الشعور بالراحة، وتمتلئ بالامتنان، والشعور بالإنجاز. فكل صعوبات الطريق لم تعد صعبة كما كانت. ويبدو أن الأمر استحق كل التضحيات، وعمت السعادة لأن العمل انتهى.

في منتصف الطريق، يتحول الشكر إلى شكوى، ويضمحل الرجاء ليصبح استسلامًا.

عادة ما يكتشف الناس، في منتصف الطريق، أن الأمر يتطلب المزيد من العمل، أكثر مما كان متوقعًا في البداية. يصعب حينها التمسك بالحلم، وتصبح أكثر التوقعات هي البقاء على قيد الحياة. وفي وسط العمل الشاق، يصعب الحفاظ على المعايير عالية ويصعب الحفاظ على الرجاء حيًا. فنميل إلى المساومة أو التنازل. في منتصف الطريق، يتضاءل الشكر ويتحول إلى الشكوى، ويضمحل الرجاء فيصير استسلامًا. فمن الصعب أن نحيا في منتصف شيء ما، ولكن معظم علاقاتنا تحدث في مكان ما في المنتصف. ولنفهم هذا الجزء علينا أن نتأمل معًا المثليين التاليين.

بينما كنت أمشي وراءه في طريق مكتبي، بدا شديد التعب. لم يكن هناك أي نبض حياة في خطواته. كتفه المسترخي شهادة على انهزامه. فلم يحتاج أن يقول لي أنه محبط؛ فالإحباط كان مكتوباً عليه. وظهرت على وجهه علامات الغضب والانفجار. فبدأ يتحدث، للأسف بعد أن سمح لنفسه ببعض الرجاء، عادت زوجته لعادتها، وهددت كل تهديداتها الغاضبة والثائرة. بعد أن مضى أسبوعين بدون مذابح، وسمح لنفسه أن يفكر في أن علاقتهما قد تجاوزت المنتصف بقليل وبدأت تعبر من الوقت الصعب. جاء إليّ، وتحدث معي، لأن زوجته رفضت أن تأتي معه، لكنه لم يرغب حتى في الكلام. كل ما أراد بالفعل هو إيقاف ألمه.

بدأت المشاكل عندما ترك الأطفال المنزل. فحتى ذلك الحين كان يبدو الأمر وكأن كل شيء على ما يرام. مشاكل التواصل كانت موجودة، ولكن هذه الصعوبات كان يسهل التعامل معها. ربما يكون السبب هو أن الصراعات بينهما زادت عن الحد، ولكن كل هذه الصراعات كانت تنتهي دائماً بالغفران. حقيقي أن هناك بعض الأشياء التي تضايقها وتثير غضبها، لكنه كان يحاول دائماً أن يحسن من نفسه. كان يتوق إلى حياة بسيطة يستمتعان فيها معاً، فقد حان وقت التمتع، فقد ولى زمن الأبوة والأمومة. ولكن سرعان ما اختفت كل أحلامه.

كانت الصراعات دائمة ومستمرة. تناقص تمتعها بشركته يوم بعد يوم، وكثيراً ما هددت بتركه تعبيراً عن استيائها. وأخبرته ليلة الخميس أنها تخطط بجدية لإنهاء علاقتهما. لم يصدق ما حدث. فكثيراً ما حاول تحمل مسؤولية كل ما يضايقها. ودبر أن يذهباً معاً ليقضيا وقت جميل، وبالفعل سافرا، واستمتعا بوقتتهما، وبدت الأمور أفضل بعد تلك الرحلة. ولكن فجأة انهار الكل وهو ببساطة لا يمكنه تحمل المزيد.

إيمي، عمرها تسعة وعشرون عاماً، شعرت بالرغبة في التوقف. نشأت إيمي في منزل متشدد ودائماً ما تجد صعوبة في الانفتاح على الآخرين. فقد تعلمت منذ صباها أن تحافظ على بطاقتها الشخصية جداً، وأن لا تدلي ببياناتها الشخصية بسهولة. انتقلت إيمي إلى المدينة لأنها حصلت على فرصة عمل كبيرة. وقبل أن تقبل الوظيفة، بحثت عن كنيسة جيدة لتنتمي إليها. وبدت كنيسة النعمة وكأنها المكان المثالي. إذ أنها كانت نابضة بالتعليم الكتابي، وتميزت بالعديد من فرص الخدمة المفتوحة والعلاقات الجميلة، ولكن أهم ما في الأمر هو أن الكنيسة ممثلة بالشباب العاملين من عمر إيمي. في أول يوم أحد لها في الكنيسة، شعرت إيمي أنها ترى نفسها في كل مكان.

اكتشفت إيمي، بعد انتقالها مباشرة، أن هناك مجموعة درس كتاب تجتمع كل يوم جمعة أثناء وقت الغذاء، بجوار الشركة التي تعمل بها. كانت هذه الدراسة بمثابة المكان المناسب لإيمي لتلتقي بكل من في سنها من الكنيسة. كانت حذرة كعادتها، لا تتفتح بسهولة.

لكن في المرة الثالثة من حضورها المجموعة، جلست بجوار ماريسا ودخلا في محادثة. قبل هذه المحادثة كانتا تتمتعان بصداقة حقيقية.

وفي الوقت نفسه لم تسر الأمور في العمل على ما يرام. أحببت إيمي عملها وكانت تتلقى الكثير من التشجيع على أدائها، ولكن حدثت مشكلة كبيرة في العمل. انجذبت إيمي لرئيسها في العمل. كان حسن المظهر، مهذبًا، ويهتم بها جدًا، ومُضحك. لم تقابل إيمي رجلًا مثله من قبل، وعلى الرغم من أنها حاولت كبح مشاعرهما، إلا أنها ظلت موجودة وبقوة، مما أدى إلى لحظة طيش بينهما، تركها رئيسها بعدها، محطمة وممتلئة خزيًا. كانت إيمي مقتنعة تمامًا أن ما فعلته خطأ، وأن هذا الفعل سلب منها احترام رئيسها لها، وربما هدد حياتها المهنية أيضًا. ظلت إيمي تفكر فيما حدث كثيرًا، ودارت برأسها الأفكار، مما أدى إلى عدم رغبة في الذهاب للعمل، وأصبح التواجد في المكان صعبًا عليها. علمت جيدًا أنها في حاجة للتحدث مع شخص ما. اختارت إيمي، ماريسا، وأخبرتها بكل ما حدث على مقعد في حديقة في ساحة وسط المدينة. واستجابت ماريسا بطريقة عملية ومفيدة للغاية، وشعرت إيمي بأنها لم تعد في حاجة لتحمل عبء هذه الأفكار وحدها.

ولكن مشاعر إيمي الطيبة لم تدم طويلًا. فقد صدمت جدًا من مكالمة هاتفية قصيرة مع صديق آخر لها، إذ علمت أن ماريسا شاركته بكل ما حدث معها. بعد غلق سماعة التليفون، شعرت إيمي أنها لا تستطيع التنفس. فلم تتوقع أبدًا خيانة ماريسا لها. وعلمت جيدًا أنها في حاجة إلى مواجهتها بمحبة وبوضوح، لكنها لم يكن لديها الرغبة ولا الطاقة للقيام بذلك.

## صعوبة المحبة

تكمّن مشكلة العلاقات في أنها دائماً موجودة في المنتصف، فهي ليست في البداية ولا في النهاية، وهذا الشيء الذي تظهر في منتصفه هو في حد ذاته قصة فداء جديدة لحياتك، إذ أن الرب قد وضع خطة مُحكمة لتحويل كل شيء يحدث في حياتنا إلى أدوات تغييرنا وتنمينا لنصير مشابهين لصورة المسيح. فلم يسهل لك، ولا لي، أن نتزوج من زوجة أو زوج مكرّس ونقي وكامل. كما أننا لن ندخل أبداً في علاقة مع صديق ناضج جداً. لن نسكن أبداً بجانب جار خالٍ من الحاجة إلى النمو والتغيير. ولن يكون أولادنا عاقلين مؤدّبين لأنفسهم دون الحاجة لتدخلنا. لن ندخل في علاقات مع آخرين يفكرون، ويرغبون، ويقولون، ويفعلون كل ما هو صحيح. والسبب هو أن علاقتنا موجودة في الوسط، بين ما حدث وما يحدث وبين ما لم يحدث بعد.

مشكلة العلاقات هي أنها تقع جميعاً في المنتصف، فهي ليست في البداية ولا في النهاية، وهذا المنتصف الذي نحيا فيه هو في حد ذاته قصة الفداء الخاصة بحياتك.

جاء يسوع بالفعل ليقدم لنا الخلاص، ولكن لم ينته عمله الخلاصي في حياتنا بعد. لقد تم بالفعل بموت يسوع كسر قوة الخطية

من على حياتنا، ولكن لم يتم القضاء على وجود الخطية. لقد كبرنا وتغيرنا ونشأ كل منا بطريقة تختلف عن الآخر، ولكن على الرغم من كل ما مضى من تغييرات في حياتنا، إلا أننا لم نصل بعد إلى شكلنا النهائي في المسيح (لم يُظهر بعد ماذا سنكون). مررنا بالفعل بالكثير من الصعوبات الكبيرة، إلا أننا لم نتسلق حتى الآن آخر جبل، هدفنا النهائي. تعلّمنا بالفعل الكثير من دروس الإيمان، لكننا لم نتعلّم بعد أن نثق تمامًا في الله. أسس الرب بالفعل مملكته في قلوبنا، ولكن ملكوته لم يأت بعد. شاهدنا هزيمة الخطية بالفعل في نواح كثيرة، ولكن لم تنهزم الخطية الهزيمة النهائية بعد.

حياتنا وعلاقتنا مع الآخرين هي دائمًا في المنتصف. فنحن نبنى مجتمعًا وسط توتر شديد قائم بين نعمة الله «التي قدمت لنا بالفعل» وبين النعمة التي «لم ننالها بعد». نحن كما أننا لا نملك السيطرة على تلك النعمة التي لم ننالها، لكن لنا كامل الحق في استخدام تلك التي نلناها. أما بالنسبة للتوقّيات، فهي في يد الربّ السيد إله كل نعمة. دائمًا توقّياتة دقيقة، وهو لا يخطئ أبدًا في الوصول إلى غايته. ولكن وظيفتنا نحن الذين في منتصف عمل ما لم ينته بعد، هو أن نتعلّم كيف نعيش في هذا المنتصف بأفضل الطرق. لذلك نحيا كأشخاص مصابون، مكسورون، تحت الإصلاح، وسط جيران هم بنفس حالتنا، علينا أن نبقى شاكرين لما حدث من إصلاحات داخلنا، يقظين وواعين تمامًا لحاجتنا للإصلاحات التي لم تتم بعد.

## العلاقات في منتصف الطريق

سيختبر كل من يعيش بين ما حدث وما لم يحدث بعد، أربعة أشياء.

١- لن تسيّر علاقاتنا أبدًا وفقًا لخطينا

لقد تحدثنا في السابق عن أن كل منا كتب الله له قصته، وأن واحد منا لم يتمكن من كتابة قصته بنفسه، لأن قصة علاقاتنا هي جزء من خطة فداء كبيرة يعدها الله لنا. لذلك لا تعمل العلاقات وفقًا لخطينا لأنها جزء من خطة الله لنا. وهذا يعني أن الله سوف يأخذنا إلى حيث لم نخطط بهدف أن يصنع فينا ما لم نستطع تحقيقه بأنفسنا. سوف يقودنا خلال الصعوبات حتى يتسنى لنا أن نشابهه أكثر فأكثر. وكثير من هذه المصاعب سوف تكون في العلاقات، حيث يكشف الله حقيقة قلوبنا وبيني شخصيتنا. نتيجة لهذا، لن تتبع علاقاتنا تخيلاتنا ولن تسيّر وفق خططنا لها.

٢- لن تعيش علاقاتنا في مستوى توقعاتنا

نميل دائمًا في تطلعاتنا للعلاقات، إلى أحلام من الوحدة التامة، والرومانسية الحرة، والتواصل المتواصل، والتعاون المتبادل، والقبول الدافئ، والاحترام المُشبع، والقرارات المشتركة، والصدقة الحميمة، أو غياب الصراع. إن أحلامنا تميل إلى نسيان واقعنا، فنحن نعيش في منتصف شيء لم ينتهي بعد. فعلى الأرض، هذا الجزء المهم من تشكيل أبديتنا، لن يعيش أي منا مع الشخص الذي كان يحلم

به، ولن يحقق أي منا أحلام شخص آخر! فنحن جميعا بشر، بنا عيوبًا، نحيا في عالم ساقط، ولكن مع إله أمين. وعند نقطة ما، سيتوجب علينا أن نقبل حقيقة الآخر كما هي، بكل نعمة ومحبة وباعتراف متضع بحقيقتنا.

### ٣- سوف تمر علاقاتنا دائمًا ببعض الصعوبات

يشبه بناء العلاقات، إدخال خيط رفيع داخل إبرة دقيقة، بينما نقود سيارة على طريق وعر! لن نجد علاقة كاملة وناجحة تمامًا في تجنب الصعوبات التي هي جزء طبيعي من الحياة. فسيمثل الآخر، في بعض الأحيان، تلك الصعوبة بعينها. إذ أن أخطائنا وخطايانا مثل الكبرياء، الأنانية، والطمع، والغضب، والمرارة، ونفاد الصبر تجعل علاقاتنا دائمًا أكثر صعوبة. وأحيانًا ما تعكس صعوبة علاقاتنا، واقع العالم الساقط الذي نحيا فيه. فكوننا مؤمنين، لن يحمينا من اختبار التفرقة العنصرية، والاضطهاد، والإصابات، ولن يقينا من المرض أو يمنع دخولنا في حرب أو اختبار الفشل، أو الحاجة للتعامل مع مشاكل الثقافة، والحكومة، والاقتصاد. وأخيرًا، يقول الكتاب المقدس، أن الصعوبات، هي بطريقة ما، وسيلة يستخدمها الله، وهو من سمح بوجودها، وان كل شيء يقع تحت سيطرته الحكيمة. وإلى جانب ذلك، يذكرنا الكتاب المقدس باستمرار، بأن الله يرسل لنا، نعمة التجارب غير المريحة، لا ليسحقنا، أو ليثبط من عزيمتنا في الحياة، ولكن لينضجنا ويصقلنا. نحتاج أن نجعل هذا الفهم هو رجاؤنا، بينما نقبل الصعوبات التي نمر بها في حياتنا بواقعية.

## ٤- تحتاج علاقاتنا دائمًا إلى التطور والنمو

تزوجت منذ عدة سنوات وتعتبر علاقتي بزوجتي جيدة جدًا. فنحن نحترم بعضنا ونتمتع ببعضنا البعض، كما أننا ملتزمان ببعض، وبالرب، ونشكر الرب كل منا على الآخر، ونحن امتنانًا داخليًا لبعضنا البعض. ولكن لم تصل علاقتنا بعد كل هذه السنوات وكل هذا النمو، إلى كل ما يمكن أن تكون عليه. فلا يزال هناك المزيد من العمل، والمزيد من التغييرات التي يجب إجراؤها. وبالرغم من حبنا العميق والتزامنا الشديد، لم نتخلص بعد من كل خطايانا، لذلك لا تزال علاقتنا في حاجة إلى المزيد من العمل الجاد وموارد النعمة الإلهية. وستظل هذه الاحتياجات قائمة حتى مجيء المسيح أو حتى صعودنا نحن إليه لنكون معه.

لا يكفي أبدًا بناء شخصيتنا، فنحن نحتاج إلى تحمّل مشقات الحياة وضعفات الآخرين. فنحن مدعوون لحياة الخدمة.

## بناء شخصيتنا من أجل حياة أفضل في فترة المنتصف

لأن علاقاتنا تنشأ وتستمر في منتصف الطريق، في هذه الحياة المليئة بالمشقات، لذلك يتطلب بناء العلاقات الجيدة، بناء شخصياتنا.

إذ أن الله لم يصمم علاقتنا، لتكون عجلات ووسائل انتقال من أجل سعادتنا الشخصية، كما قلنا في السابق، بل هي أدوات لتشكيل حياة الآخرين ولفدائها. لذلك لا يكفي أبداً أن نهتم ببناء شخصياتنا، فنحن نحتاج إلى تحمل مشقات الحياة وضعفات الآخرين. فنحن مدعوين لخدمة الأشخاص، اللذين وضعهم الرب في حياتنا، وفقاً لحكمته اللامتناهية. فالرب يريد أن يستخدمنا كأدوات للنعمة في حياة الآخرين. ولنحيا بهذه الطريقة نحتاج أن نبني شخصياتنا.

نحتاج إلى التواضع في شخصياتنا، لنتمكن من الحياة مع خاطيء في عالم مليء بالمشقة. نحتاج إلى الوداعة في شخصياتنا، حتى نكون جزءاً من ما يقوم به الرب في حياة شخص ما دون اعتراض طريق الرب. نحتاج إلى الصبر لتتعلم كيف نتعامل مع خطايا وضعفات الآخرين من حولنا. نحتاج إلى المثابرة لنكون جزءاً من التغيير الذي يجريه الرب في علاقة ما، لأن هذا التغيير هو في معظم الأحيان عملية ونادراً ما يكون حدثاً. نحتاج إلى الغفران، لتتجاوز المرات العديدة التي نتعرض فيها للأذى من الآخر. نحتاج إلى التسامح لنتمكن من مواصلة تقديم الحب لشخص ما، برغم كل استفزازاته لنا. فمن الصعب أن نستجيب بلطف عندما نُعامل بأسلوب غير مهذب. نحتاج إلى حب فريد من نوعه وملفت للأنظار، لنخدم مصالح الآخر دون أن نتشتت بمصالحنا الشخصية. (انظر الشواهد الكتابية التالية وستجد أن هذه الاحتياجات مذكورة في العهد الجديد: غلاطية ٥: ٢٢-٢٦ ؛ أفسس ٤: ١-٣ ؛ فيلبي ٢: ١-١١ ؛ كولوسي ٣: ١٢-١٤)

هذه هي الصفات التي تميز العلاقات الصحية، إلا أنه يجب علينا جميعاً أن نعتزف بأن هذه الصفات لا تحكم قلوبنا وأن قلوبنا غالباً ما يحكمها الغضب، والخوف، والألم، والبر الذاتي، والمرارة، والرغبة في الانتقام.

سوف تأخذك علاقاتك خارج حدود إمكانياتك الخاصة.

## مشقة العلاقات في منتصف الطريق

مشقة العلاقات لا تنطوي فقط على صعوبة العلاقات، وإنما تتضمن أيضاً كل ما يدعونا الله لعمله ولممارسته في وسط العلاقة الصعبة. فالله يدعو كل واحد منا أن يكون متواضعاً، وصبوراً، لطيفاً، ومثابراً، ومتسامحاً. يدعونا الله إلى التكلم بنعمة والتعامل مع الآخرين بمحبة، حتى عندما تفتقر العلاقة إلى النعمة ولا يوجد فيها أي تعاملات تنم عن المحبة.

وبسبب هذا، سوف تفقدك علاقاتك للخروج خارج حدود قوتك العادية. وسوف تأخذك إلى ما وراء قدراتك الطبيعية وخارج حدود حكمتك الطبيعية المكتسبة من خلال خبراتك الحياتية. وسوف تدفع بك علاقاتك إلى خارج حدود قدراتك على تقديم الحب، وعلى خدمة الغير، وغفرانك للآخرين. سوف تدفعك خارج نفسك وخارج حدودك. سوف تتحدى علاقاتك حدود إيمانك وتهزمها. كما أنها سوف تستنفد

قوتك. وسوف تتركك علاقاتك، في بعض الحالات، محبباً وفاقد العزم. فإنها تتطلب ما يبدو أنك لا تملكه، ولكن كل هذا من تصميم الله للعلاقات وهذا هو بالفعل ما قصده منها. لهذا السبب بعينه، وضع الله العلاقات المُطالِبة في منتصف عملية تقديسنا، حيث يشكّلنا الرب، بطريقة تدريجية، لنصير مشابهيين لصورة يسوع. عندما تتخلى عن نفسك، ستبدأ في الاعتماد عليه. عندما تستعد للتخلي عن أحلامك الصغيرة، سوف تزداد حماسة بشأن تكميم خطته. عندما تنفجر كل تدبيراتك في وجهك معلنة فشلها، ستصبح على أتم استعداد لرؤية حكمة طرق الرب.

ببساطة لم يتم تصميم علاقاتنا لتجعلنا في احتياج لبعضنا البعض. بل هي تهدف إلى دفعنا نحو الرب، في اعتماد شخصي، كامل، ومتواضع عليه. تأخذك كل علاقة إلى نهاية قدراتك، نهاية نفسك، وهذا المكان، يصبح مع الرب، أكثر الأماكن أماناً. إذ أنني عندما أختار أن أعتزف بمدى ضعفي، تزداد قدرتي على استقبال النعمة التي لا يُمكن أن توجد إلا في المسيح. الذي اختار أن ينقص نفسه ويصير ضعيفاً، خاضعاً لمشيئة الأب، لكي يقدر أن يعين ضعفاتنا وحتى ننال قوة وعوداً في أوقات ضعفنا. ديناميكية العلاقات هذه (مصاعب ومشقات - ضعف واحتياج - قوة ومعونة) هي السبب في حاجتنا الدائمة إلى الكثير من التشجيع في علاقاتنا. فنحن عادة ما نصطدم بالمشقات، ونحبط من ضعفنا، وينتهي بنا الأمر إلى فقدان رؤية كل ما منحنا الله من إمكانيات في يسوع.

## سنال التشجيع في منتصف الطريق

يعتبر التشجيع، مهارة أساسية، لا بد من توافرها، داخل المجتمع الكتابي الصحي. يندر أن يكون التشجيع في غير وقته. ولكن المشكلة هي أننا عادة ما نفشل في تقديم التشجيع المناسب لشخص ما، إذ أننا نميل إلى الوقوع في خطأين. الأول، هو أننا نعتقد أن التشجيع هو في المقام الأول محاولة لجعل من نشجعه يشعر بتحسن، فنقول أشياءً مثل،

«استمر، يمكنك تحقيق حلمك.»

«الأمر ليس بهذا السوء.»

«لست الوحيد الذي واجه هذا الأمر»

«كل شيء سيكون على ما يرام»

«سينتهي هذا الأمر أيضًا»

قد توفر مثل هذه الكلمات راحة مؤقتة لمتلقيها، لكنها لن تقود أبدًا إلى تغيير دائم. ففي أحسن أحوالها ستنتج تغييرًا مؤقتًا في مزاج الشخص، الذي عادة ما ينهار بعدها لو واجه نفس المشكلة مرة أخرى.

ثانيًا، هو أننا نحاول تشجيع الشخص عن طريق شرح المشكلة وتوضيح أسباب حدوثها. فنحن نعتقد أن فهم الشخص لكل ما يجري من حوله، سيقبل من توتره وسيزيد من إنتاجيته ومن قدرته على الوصول إلى الحلول البناءة. هناك أوقات يكون التفسير فيها مناسبًا ومعينًا، ولكن التفسيرات ليست دائمًا مريحة. ففي بعض

الأحيان، كلما ازداد فهمي للموقف والحالة، كلما ازداد شعوري بالإحباط. ففي بعض الأحيان تكون السطحية في فهم الموقف أخف وطأة من المشاعر المصاحبة لفهم المشكلة بصورة أكثر عمقاً. نعم من المهم أن نكتسب فهم ومعرفة، ولكن هذا ليس دور التشجيع، فالتشجيع أهم وأعمق تأثيراً من ذلك.

التشجيع الحقيقي هو اكتساب بُعد نظر للموقف وليس تفسيراً للأحداث. ليس المقصود هنا ببعد النظر، تحسين قدرة البصر المادي، وإنما تحسين قدرة القلب على الرؤية. فقد أعطانا الرب القدرة على «رؤية» الحقائق الروحية غير المرئية والتي هي حقيقية وحيوية بنفس قدر الأمور المادية التي يمكننا رؤيتها أو لمسها. فبعد النظر الروحي هو هبة روحية ثمينة ومهارة أساسية من مهارات الحياة. يكمن السبب الأساسي وراء فقداننا للرجاء وارتباكنا في العلاقات، في عدم رؤيتنا ليسوع وليس في عدم فهمنا للأحداث<sup>١</sup>.

نرى في علاقاتنا الزوج الذي لا يتواصل مع زوجته. كما نجد في علاقاتنا الصديق الذي يخون دائماً. نجد الطفل الدائم التمرد. ونجد مدير العمل الذي ينقد بلا هوادة. نجد القريبة التي لا تفي بوعودها أبداً. نجد الزوجة مُرّة النفس والنكدية. نجد المجموعات الصغيرة ذات العلاقات السطحية الجامدة بلا حياة. نجد الجيران اللذين يهتمون بالحفاظ على حدودهم أكثر من بناء مجتمع. تزداد مشاكل العلاقات، بالدرجة الكبيرة، التي تحجب بشدة، رؤيتنا للشيء الوحيد الذي بإمكانه

أن يعطينا الرجاء والتشجيع. الربّ يسوع المسيح. فالتشجيع ليس جعل الناس يشعرون بتحسّن من جهة مشاكلهم، أو يفكرون بصورة لعلها، بل هو تحفيز الرؤية الروحية. فالتشجيع يمنح الناس عيوناً يروا بها المسيح غير المرئي. فهو الرجاء الوحيد الذي يمكنني الاعتماد عليه عندما تأخذني العلاقات خارج حدود حكمتي، وقدرتي، وشخصيتي.

يمنح التشجيع لمن هم في صراعات  
عيوناً ترى المسيح غير المرئي.

نحتاج إلى أكثر من العواطف والمشاعر وإلى أكثر من الفهم الدقيق، لكي نحيا وسط هذا التوتر الموجود بين القائم وبين ما لم يحدث بعد. نحتاج إلى عيوناً نرى بها هذه الحقيقة الوحيدة المدهشة: أننا ملك ليسوع وأن يسوع لنا. نحتاج أن نرى أنه يستحيل علينا روحياً أن نحيا بمفردنا. وأن موارد نعمته المذهلة هي في حوزتنا دائماً. ففيه نجد الحكمة، والقوة، والرجاء الذي نحتاجه بصورة أكبر بكثير من حاجتنا لمشاعر السعادة وللهم الصائب. المسيح يعطينا سبباً لمواصلة شيء كثيراً ما هز منا.

كيف نشجع بعضنا البعض في وسط مشاكل العلاقات؟ بأن نساعد بعضنا على رؤية ثلاثة أشياء.

## ١- وجود المسيح

هدفك هنا هو مساعدة الناس على امتلاك عقلية تُعلن دائماً «المسيح معي». نفهم هذا المنظور في الحياة من مزمور ٤٦: ١-٢: «اللَّهُ لَنَا مُلْجَأٌ وَقُوَّةٌ. عَوْنًا فِي الضِّيقَاتِ وَجِدَ شَدِيدًا. لِذَلِكَ لَا نَخْشَى وَلَوْ تَرَحَّرَتِ الْأَرْضُ، وَلَوْ انْقَلَبَتِ الْجِبَالُ إِلَى قَلْبِ الْبَحَارِ.» أحب أن أتخيل ما ترسمه لنا كلمات هذا المزمور. تخيل أنك ترى هذا المشهد، الجبال تنهار من حولك وتسقط في المحيط، دون أن تخاف. هذه الصورة تجسد السلام، والاستقرار والثبات، والشعور بالأمان، حتى عندما تحدث أصعب الأمور الكارثية، وهذا السلام هو بسبب معرفتي أن إلهي القوي والمجيد، هو معي. فرجائي لم يعد يركز على أكتاف حكمتي، وقدرتي، وشخصيتي. عندما أرى يسوع، أدرك تمامًا أنني أملك أكثر من نفسي بكثير، لأعتمد عليه. فهو حاضر وقادر على فعل ما لا يمكنني أن أفعله أبدًا.

## ٢- وعود المسيح

قدم المسيح وعودًا، بإمكانها تغيير طريقة رؤيتي لمشاكل العلاقات، وطريقة استجابتي لها، بصورة جذرية. أستطيع أن أشجع الآخرين من خلال مساعدتهم على تذكر وعود الرب. لا ينبغي أن نرى هذه الوعود وكأنها وعود مبهمّة، وآمال فارغة غير حقيقية، ولكنها تقييم دقيق لكل ما املكه من موارد حقيقية باعتباري واحدًا من أبناء الله. عادة سأجد أن ردات أفعال الناس سلبية، عندما أحاول مساعدتهم

على رؤية وعود المسيح وهي تتعامل بشكل مباشر مع مشاكلهم العملية. إذ أنهم يرون وعود الله، على أنها خداع روي يجعلهم يشعرون بتحسّن وقتي تجاه أمور تزعجهم. ولكن وعود المسيح ليست أحلام ضبابية نابعة من انفعالات عاطفية روحية. بل هي هوية المؤمن الحقيقية. تقدم وعود الكتاب المقدّس لنا، المنظور الدقيق الوحيد لكل من، ما أنا بحاجة إليه، والصورة الحقيقية التي يمكنني أن اعتمد عليها والتي تجسد شكل وحجم قدراتي وإمكاناتي الحقيقية للتغيير. فالتشجيع يساعد الناس على قياس إمكاناتهم الحقيقية بدقة.

### ٣- إمكانياتنا في المسيح

نبدأ في قياس قدراتنا الحقيقية عندما ندخل في صراعات. فنحن نُقيّم أنفسنا لنرى، إذا كنا نملك ما نحتاجه من مؤهلات، تمكنا من حل هذا النزاع أم لا. المشكلة هي أن معظمنا فاشل في الحسابات. إذ أننا عندما نجمع الأشياء التي تحدد إمكانياتنا، نغفل أهم ما نملك: المسيح. إن الحق الأصلي الذي يوضح إمكانياتنا الحقيقية، هو، إذ أننا أبناء الله، فالمسيح هو إمكانيتنا الحقيقية! يعتبر أي منظور آخر لأنفسنا، منظور غير كتابي وغير دقيق. يقول الرسول بولس في رسالته إلى أهل غلاية ٢: ٢٠: «مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا، بَلِ الْمَسِيحِ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَا الْآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَا فِي الْإِيمَانِ، إِيْمَانِ ابْنِ اللَّهِ، الَّذِي أَحْبَبْتِي وَأَسَلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي.» هذا هو أدق تقييم لإمكانياتنا الشخصية!

يعتبر التشجيع مهارة أساسية ولازمة للحياة، حيث أن معظم علاقاتنا تقع في منتصف الطريق، بين ما نحن عليه، وبين ما لم نصبح عليه بعد. لذلك عليك أن تسأل نفسك ما يلي من أسئلة. إلى أي مدى أنت ملتزم، بمساعدة الناس القريبين منك، على رؤية المسيح؟ هل أنت على استعداد وترغب في تشجيع الآخرين؟ ما معنى التشجيع بالنسبة لك، وكيف يكون شكله؟ تذكر، لا بد أن ترى يسوع بنفسك قبل أن تريه للآخرين. أتذكر وقتاً، مررت فيه، أنا وزوجتي، ببعض المشقات. مسؤوليات الزواج، وتربية الأطفال، والالتزام بأكثر من خدمة، كل هذا كان فوق طاقتنا. كانت مواردنا المالية قليلة وتعطلت سيارتنا. أصبحنا جافين وازدادت سرعة انفعالنا في علاقتنا مع بعضنا البعض، بسبب إحباطنا الشديد وكمّ المصاعب التي نمر بها. تغيرت الأوضاع في علاقتنا، بمجرد أن أدركنا أن أعبائنا كانت تعميّننا عن حق الله المشجع جداً لحياتنا. وعندما بدأنا في تذكرة كل منا الآخر بأننا لسنا وحيدين، وفي النظر إلى وعود الرب، حدث شيء مختلف. فقد جمعنا الحق. لقد غيرت، نظرنا للأوضاع من خلال عدسة وجود يسوع في المشهد وتعزيده المستمر لنا، من حجم الأشياء والمشاكل، وساعدتنا على تشجيع بعضنا البعض. وأصبحت قدرة الرب وإمكانياته وما يمكنه أن يفعل فينا ولأجلنا أهم عندنا بكثير من حاجتنا اللحظية.

لم تتغير علاقتنا فجأة لتصير كاملة. لقد كانت السكة صعبة ودخلنا في الكثير من الأوقات المظلمة التي فقدنا فيها الرؤية. ولكننا تعلمنا شيئاً. تعلمنا أن نقيس إمكانياتنا كزوجين بطريقة جديدة جداً. طريقة أعطتنا شجاعة ورجاء وهذه الطريقة غيرت علاقتنا.



# الفصل الحادي عشر: الأعباء

«قَصَبَةٌ مَرْضُوضَةٌ لَا يَفْصِفُ، وَفَتِيلَةٌ خَامِدَةٌ لَا يُطْفِئُ. إِلَى الْأَمَانِ

يُخْرَجُ الْحَقُّ.» إشعياء ٤٢: ٣

أندرو هو الذي علّمني أن ما أوّمن به حقيقة، مختلف تمامًا عن ما أدّعي أنني أوّمن به؛ إن أفعالي هي التي تظهر إيماني... أنا أتعلّم أن أوّمن بأشياء جيدة وصالحة. فأنا أوّمن أن هناك أشخاصًا آخرين في هذا الكوكب، وأن الموضة ليست هي الحقيقة، بل إن يسوع هو أهم شخصية في التاريخ، وأن الإنجيل هو أقوى قوة في الكون. تعلّمت أن لا أتحمس لأشياء فارغة، ولكن عليّ أن أستثمر عاطفتي وحماسي في أمور هامة مثل العدالة، والنعمة، أو الحق، وفي توصيل فكرة أن يسوع يحب الناس جدًا.<sup>1</sup>

يمكن للكلمات أن تكون قوية كما أنها قد تكون رخيصة خاوية وبلا ثمن. إن الذي يجعل الكلمات قوية هو العمل والفعل الذي يتدفق منها أو نتيجة لها. يمكن أن يكون لاهوتنا في الحياة قوي أو بلا ثمن. إن الذي يجعل فكرنا الصحيح عن الله قويًا هو تلك الحياة التي تبرز

---

1 Donald Miller, Blue Like Jazz: Nonreligious Thoughts on Christian Spirituality (Nashville: Thomas Nelson, 2003), 110, 112.

وتخرج وتتبع يوميًا من هذا الفهم اللاهوتي. يجب أن أعترف أن هذه الحقيقة هي واحدة من أصعب حقائق الحياة المسيحية بالنسبة لي!

## يعقوب ويوحنا قبل موت وقيامه يسوع

لقد تحدثنا كثيرًا عن التفكير في الإنجيل وبشارة الخلاص بالطريقة الصحيحة، كما أننا وضحنا جيدًا كيف يجب أن يظهر الإيمان الحقيقي في علاقاتنا. فإن لاهوتنا لا بد أن يظهر على شائسة حياتنا لا في كلماتنا، بل في أفعالنا، في طريقة تعاملنا مع الآخرين. كان على يعقوب ويوحنا أن يتعلّموا هذا لأنهما ظلّا يناورا بدهاء حول مكانتهم في ملكوت المسيح (مرقس ١٠: ٣٥-٤٥). عندما سئلوا عما إذا كانوا يمكنهم أن يجلسوا عن يمين ويسار يسوع في السماء، وقلبت إجابة يسوع توقعاتهم رأسًا على عقب.

وَلَمَّا سَمِعَ الْعَشْرَةَ ابْتَدَأُوا يَغْتَاطُونَ مِنْ أَجْلِ يَعْقُوبَ  
وَيُوحَنَّا. فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
أَنَّ الَّذِينَ يُحْسِبُونَ رُؤَسَاءَ الْأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَأَنَّ  
عُظَمَاءَهُمْ يَتَسَلَطُونَ عَلَيْهِمْ.

فَلَا يَكُونُ هَكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ عَظِيمًا،  
يَكُونُ لَكُمْ خَادِمًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلًا، يَكُونُ  
لِلْجَمِيعِ عَبْدًا.

## لأنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ»<sup>٢</sup>.

كانت هذه واحدة من تلك اللحظات التعليمية الحاسمة التي انتهزها يسوع. وهنا وصل يسوع رسالة حاسمة وجذرية عن الحياة في مملكته. فانظروا كم هي مختلفة جذرياً عن الحياة في أي مملكة أرضية. فطريق العظمة طريق منحدر نزولاً وليس مرتفعاً صعوداً، فالالتضاع هو الطريق الوحيد إلى العظمة. ولكن أكثر من ذلك، نحن لن نجد العظمة التي نبحث عنها إلا في خدمة الآخرين.

إذا أنتجت علاقاتنا فينا سمات يسوع وإذا كان المجتمع المسيحي على وشك الظهور في المجتمع بكل سماته المتميزة، سنضم إلينا الكثيرين من المرفوضين والمحتقرين والمرذولين في عيون العالم. لتتخيل معاً أن البشر الذين بطبيعة الحال يريدون الحصول على مكانة كبيرة في العمل، والسلطة، والشهرة، وإذا بهم يلقون بمجدهم الذاتي ويتحولوا عن محبة ذواتهم إلى محبة الآخرين وتقديم الخدمة ليشابهوا صورة يسوع. هذا التحول في حد ذاته سيحول العلاقات إلى أمور مجيدة. تعتبر خدمة الآخرين وسيلة بسيطة لدمج كل مقاطع الكتاب المقدس التي تتحدث عن «علاقة الواحد بالآخر» معاً ليصبحوا فكرة واحدة كبيرة. عندما نخدم بعضنا البعض، نحمل أعباء بعضنا البعض بطرق عملية. فنحن ننخرط في حياة الناس ونتورط في مشاكلهم

عندما نقترّب منهم ونسير إلى جانبهم وندلّت إلى تفاصيل حياتهم. إذا لم يقودنا التزامنا المزعوم بيسوع إلى مشابهته في أفعالنا، فنحن بذلك نسخر منه ونستهزئ به ولا نمثله في هذا العالم بصورة دقيقة.

لابد أن تبحث أولاً عن مدى عجزك  
عن أن تكون خادم حقيقي  
قبل أن تتمكن من أن تصبح  
شخص له حقوقه. وهذه هي مفارقة  
الحياة المسيحية.

عندما تفكر في علاقاتك، ابحث عن تلك العلاقات التي تدور حول التأكد من أن الآخرين استمعوا إلى كل ما يهمك وإلى مخاوفك بصورة جيدة ومن أنهم تمكنوا من تلبية «احتياجاتك» التي أنت تحددها؟ وابدأ بتلك العلاقات التي تحبها أكثر من غيرها. أنا متزوج ولديّ أربعة أطفال، وأنا أقضي غالبية الوقت في التفكير في هذه العلاقات المهمة في حياتي، حول كيف يمكن لتلك العلاقات أن تجعل حياتي أكثر إشباعاً. أعرف أن هذا الاحتياج حقيقي فأنا تسهل إثارتي عندما يكون على أن أتخلّى عن احتياجاتي وراحتي الشخصية لصالح خدمة هؤلاء اللذين يهمني أمرهم. وهذا يحدث مع من أدعي محبتهم، فأنا لم أفكر حتى في العلاقات الصعبة. ودعونا من التفكير في الأعداء! إذ أننا لن نجد لهم مكاناً في فكرنا. هل تجد نفسك تفعل نفس الأمر؟ هذه هي الخطوة الأولى نحو خدمة الآخرين. فلا بد أن تبحث أولاً

عن مدى عجزك عن أن تكون خادماً حقيقياً قبل أن تتمكن من أن تكون شخص له حقوقه. وهذه هي مفارقة الحياة المسيحية. فما هو قمة في الحياة العادية يأخذ أقل مكانة في المسيحية، ففيها كل شيء منقلب رأساً على عقب، فالحياة هي الموت، والقوة والسلطة نجدهما في خدمة الآخرين.

## سمات شخصية الخادم وأفعاله.

كان لابد وأن يتعلّم التلاميذ هذا الدرس، الذي يعني أن يسعوا إلى شركة جيدة بينهم. فهؤلاء، كانوا مجرد اثني عشر رجلاً عادياً قضوا من حياتهم عدة سنوات مع يسوع، وبالرغم من وجودهم معه، إلا إنهم كانوا يتنافسون بغباء على السلطة والمكانة. وجاءت اللحظة المؤثرة في خدمة يسوع، التي اتضح فيها للتلاميذ معنى تبعيته. إذ أن يوحنا ١٣: ١٧-١٧ يصف لنا أن يسوع كان يفعل شيئاً ما في أمسية صلبه، وهذا الشيء أذهل التلاميذ وصدّم بطرس. ما الذي يفعله يسوع؟ ما الذي يريد من أتباعه أن يفهموه في الوقت الذي يستعد هو فيه لموته؟ قد تتوقع من قائد ما، في مثل هذا الوضع، أن يجمع كل أتباعه ويعطيهم الإرشادات اللازمة التي ستساعدهم على تغيير العالم. وبالفعل هذا هو ما فعله يسوع، ولكن بطريقته المدهشة الخاصة. فقد فعل هذا بأقواله وأفعاله.

أَمَّا يَسُوعُ قَبْلَ عِيدِ الْفِصْحِ، وَهُوَ عَالِمٌ أَنْ سَاعَتَهُ  
قَدْ جَاءَتْ لِيُنْتَقَلَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى الْآبِ، إِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ

خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى. فَحِينَ كَانَ الْعِشَاءُ، وَقَدْ ألقى الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِ يَهُودًا سِمْعَانَ الْإِسْخَرْيُوطِيَّ أَنْ يُسَلِّمَهُ، يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ الْآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَرَجَ، وَإِلَى اللَّهِ يَمْضِي، قَامَ عَنِ الْعِشَاءِ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مِئْشَفَةً وَاتَّرَزَ بِهَا، ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَلٍ، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلَامِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِئْشَفَةِ الَّتِي كَانَ مُتَزِّرًا بِهَا. فَجَاءَ إِلَى سِمْعَانَ بَطْرُسَ. فَقَالَ لَهُ ذَاكَ: «يَا سَيِّدُ، أَنْتَ تَغْسِلُ رِجْلِي!»

أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الْآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلَكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ».

قَالَ لَهُ بَطْرُسُ: «لَنْ تَغْسِلَ رِجْلِي أَبَدًا!»

أَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ لَا أَعْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِيَ نَصِيبٌ».

قَالَ لَهُ سِمْعَانُ بَطْرُسُ: «يَا سَيِّدُ، لَيْسَ رِجْلِي فَقَطْ بَلْ أَيْضًا يَدَيَّ وَرَأْسِي».

قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الَّذِي قَدْ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَّا إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ، بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ. وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ وَلَكِنْ لَيْسَ كُلكُمْ». (إِنْ مَا يَهْمَنِي أَنْ تَفْهَمُوهُ هُوَ الْقِدَاسَةُ وَليْسَ النِّظَافَةُ، فَلَسْتُ أَبْحَثُ عَنِ نِظَافَةِ جِسْمِكُمْ

بل قلوبكم. والآن أنتم طاهرون.) لِأَنَّهُ عَرَفَ مُسَلِّمَهُ،  
لِذَلِكَ قَالَ: «لَسْتُمْ كُلُّكُمْ طَاهِرِينَ».

فَلَمَّا كَانَ قَدْ غَسَلَ أَرْجُلَهُمْ وَأَخَذَ ثِيَابَهُ وَاتَّكَأَ أَيْضًا،  
قَالَ لَهُمْ: «أَتَفْهَمُونَ مَا قَدْ صَنَعْتُ بِكُمْ؟ أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي  
مُعَلِّمًا وَسَيِّدًا، وَحَسَنًا تَقُولُونَ، لِأَنِّي أَنَا كَذَلِكَ. فَإِنْ كُنْتُ  
وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ، فَانْتُمْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ  
أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ، لِأَنِّي أَعْطَيْتُكُمْ مِثَالًا، حَتَّى  
كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا. (فأنا أشير إليكم  
لتروا ما هو مهم عندي ولتفهموا ما هو طبيعي  
في مملكتي) الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمُ  
مِنْ سَيِّدِهِ، وَلَا رَسُولٌ أَعْظَمُ مِنْ مُرْسِلِهِ. إِنْ عَلِمْتُمْ  
هَذَا فَطُوبَى لَكُمْ إِنْ عَمِلْتُمُوهُ.<sup>٣</sup>

هذا الجزء الكتابي مذهل. كما هو الحال مع كل الكتاب المقدس،  
فهو مصمم خصيصاً ليعكر صفو المرتاحين وليهدئ المنزعجين.  
لكي نفهم الكتاب المقدس جيداً، يجب أن نعرف أن الحالتين (تعكير  
صفو المرتاح وتهدة المنزعجين) تحدثان لنفس الشخص. ماذا نتعلم  
عن القيادة من هذا الجزء الكتابي؟ ماذا نتعلم عن أنفسنا عندما ننظر  
إلى حياة التلاميذ؟ ما الذي سيحفزنا لنحب بهذه الطريقة؟ سيغير،  
تطبيق هذه الإجابات على حياتك، حياتك بجملتها، وسوف يعطيك  
رؤية جديدة وسيحيي علاقاتك.

## الظروف لا تحدد ما إذا كنت ستخدم أم لا

واحدة من أكثر الأعداء شيوعاً، لعدم تقديم المحبة والمعونة للآخرين، هي الظروف. ما هو أول شيء تريد القيام به عندما تمتلئ حياتك بالمصاعب؟ لا شيء على الإطلاق. بل على العكس، فأنت تريد من الآخرين أن يفعلوا لك كل شيء. تريد أن تُخدم، لا أن تُخدم. ومرة أخرى، الأمثلة ليست بعيدة أبداً فهذه الأمور تحدث كل يوم. عندما يبدأ أطفالك بالمطالبة بالأكل واللبس والتلفزيون من لحظة وصولهم الأولى من المدرسة، أتذكر فجأة كل مسؤولياتي. ألا يفهمون أنني لديّ عمل والتزامات كثيرة أخرى غيرهم؟ لماذا إذا يصرون على أن أساعدهم في واجباتهم المدرسية؟ ألا يرون أن لديّ أشياء أكثر أهمية من واجباتهم، لأقلق بشأنها؟ هذه هي الأفكار التي تجري في ذهني. وسريعاً ما أشعر بتبكييت داخلي بسبب نفاذ صبري ومحاولتي لمنطقة أموري الشخصية. سيكون حالي أفضل، ولن أفقد صبري، لو لم يكن لدي فواتير على أن أدفعها، أو عمل أقلق بشأنه. ستعرف جيداً أنني أب رقيق، ولطيف، عندما يكون الأولاد أقل عدوانية وأكثر طاعة واحتراماً. وبعبارة أخرى، إذا كانت ظروفك أسهل، سأكون خادماً أفضل. إذا تمكنت من الاعتناء بأموري الخاصة وإتمامها على أكمل وجه سأتمكن من رعاية الآخرين. في الحقيقة بينما أكتب هذا الكلام وصل أولادي من المدرسة، وبدأ صبري ينفذ وبدأت أنفعل بسرعة من جديد!

عندما نتواجه مع ما فعله يسوع في إنجيل يوحنا الأصحاح ١٣، سنرى أن ظروفه كانت رهيبة وصعبة. فقد عرف يسوع جيداً أن ساعته قد أتت ليموت على الصليب من أجل الخطاة الأنانيين. وعلم جيداً أن غضب الإله العادل والقُدّوس سرعان ما سيقع عليه. العقاب العادل على كل خطايا الناس سوف يسحقه خلال بضعة ساعات فقط. فماذا يفعل؟ يخدم. فقد اختار أن يفعل لتلاميذه ما كان يجب عليهم أن يفعلوا له. أخذ منشفة وحوض من الماء وبدأ في غسل أقدامهم. كان من الممكن أن يقول «ألا تعرفون ما هو على وشك أن يحدث لي؟ هيا تشددوا وقدموا لي ما أحتاج من راحة!» إلا أنه لم يقل شيئاً عن ما هو على وشك أن يحدث له، بل خدمهم، دون أن يشفق على نفسه. فقد اختار أن يكون بلا أنانية في أكثر لحظة مغرية له ليكون أنانياً.

---

لم يخدم يسوع وسط الأزمات فقط، بل أيضاً خدم أولئك الذين لا يستحقون خدمته.

---

هذا شيء غير عادي! في الواقع، إنها معجزة. عندما نختر أن نخدم شخصاً آخر في الوقت الذي تكون ظروفنا فيه صعبة، يبدو الأمر وكأنه معجزة. ولكن هذا هو ما فعله يسوع، وهذا هو ما يدعو أتباعه للقيام به. فلا ينبغي لنا أبداً التقليل من الخدمة المتواضعة التي يقدمها شخص لآخر، بل هي علامة على نعمة الله العرجاء في حياة هذا الشخص الذي يخرج خارج نفسه ليقدم خدمة لآخر.

## جدارة الشخص واستحقاقه لأن نخدمه لا تحدد إذا كنا نختار أن نخدمه أم لا.

لم يخدم يسوع في خضم أكبر أزماته فقط، بل أيضاً خدم أولئك الذين لا يستحقون خدمته. نتساءل، فيما كان يفكر يسوع، عندما دارت عيونه في غرفة لقاءه بالتلاميذ؟ فقد رأى يهوذا الذي سرعان ما سيخونه ويسلمه إلى السلطات الرومانية. ورأى بطرس، الذي سريعاً ما سينكر معرفته بيسوع بأي شكل من الأشكال. بل والتلاميذ العشرة الآخرين، اللذين سيستخدمون أرجلهم التي غسلها يسوع بنفسه، ليجروا بها هرباً وطلباً للحماية في أكثر الأوقات التي كان يسوع فيها في أمس الحاجة لهم. ومع ذلك نزل يسوع على ركبتيه وخدمهم.

من المغربي أن نستخدم ظروفنا عذراً لتجنب الخدمة. كما أنه من السهل جداً أن نقيّم شخص ما ونقرر أنه لا يستحق خدمتنا لأنه لن يقدرها بالصورة الكافية. لن تقضي طويلاً في حياة الخدمة حتى تصطدم بأناس أنانيين يعتقدون أنه من وظيفتك أن ترد لهم كل احترام وتلبي كل نداء. ستجد أناساً تسكب حياتك من أجلهم، وهم يديروا ظهورهم لك مدعين أن تقدماتك ليست كافية. لا يستحق مثل هؤلاء خدمتي. في الواقع، هم يصيبونني بالجنون!

ربما تكون من نوعية الأشخاص التي تعتقد أنها يمكنها التعامل بسهولة مع أي شخص. ولو كانت هذه هي حالتك، فهناك احتمالان،

إما أنك لم تعيش طويلاً وليس لديك خبرة كبيرة في الحياة، أو أنك تمكنت من تحصين نفسك من معظم البشر الآخرين! ولكن، في نهاية المطاف، سوف يدخل شخص ما حياتك ويدفعك إلى مكان لم يسبق لك أن ذهبت إليه. أو ربما كنت أنت الشخص الذي يغامر بنفسه بالدخول في حياة الناس ويقدم حتى الاحتراق- بصورة سيئة. ونتيجة لذلك تعهدت مع نفسك أنك لن تضع نفسك أبداً في علاقة مسيئة مرة أخرى. وأصبحت فاتراً في العلاقات، وحذراً، محاولاً وقاية نفسك بكل الطرق. يسوع يدعوك إلى التحرك إلى داخل حياة الناس وتصبح عرضة للخطر. فهو لم يدّعي أن حياتك وعلاقاتك ستكون سهلة، لكنه يقول لك أن هذا هو المكان الوحيد الذي يمكنك أن تعثر فيه على الحياة. فأنت ستجد حياتك عن طريق الموت عن ذاتك والاهتمام بالآخرين بطرق محفوفة بالمخاطر.

خدم يسوع لأن الخدمة هي دوره،  
لكنه كان يعلم أيضاً أن الخدمة هي الوسيلة الوحيدة  
التي يمكن أن تحرر تلاميذه من السعي الأجوف  
نحو المجد الذاتي ومن طبيعة  
محبة الذات الاستعبادية.

يمكننا أن نشكر الله على أن يسوع تحرك نحو تلاميذه بالمحبة سواء كانوا يستحقون ذلك أم لا. يقول بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية ٥: ٨، «وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ

**خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْنَانًا.**» ما الذي يدفعك للاستسلام؟ من هم هؤلاء الذين استنفذوا طاقة الرحمة التي لديك؟ يسوع يدعوك لخدمة هؤلاء الناس. عندما تقدّم هذا النوع من المحبة، تقدم الأدلة على أنك تقول ما تؤمن به. عندما نخدم أولئك الذين لا يستحقون خدمتنا، ونتغيّر، والله يستخدمنا بقوة في حياة الآخرين. فكّر في أكثر شخص أو اثنين أترا في حياتك بصورة إيجابية. ألم يكن أكثر تأثير تركوه في حياتك، هو اتضاعهم وخدمتهم القوية لك؟ هاتان الصفتان هما اللتان تجذبان قلوبنا وتجعلنا نرغب في أن نعمل المثل للآخرين. فهما لهما تأثير قوي.

أبلغ من العمر أربعة وأربعون عامًا. لقد قضيت أكثر من عشرين عامًا في التفكير في الطريقة التي خدمني بها أبواي. ولكن الأمر تطلب مني أن أتزوج، وأن أنجب أطفالًا، قبل أن أتمكن من فهم القليل فقط من كل ما فعلوه لي طيلة فترة نموي ونضجي. وبينما أنا الآن أرى الأمر بصورة أكثر وضوحًا، يزداد إدراكي، وإدراكي هذا يجبرني ويدفعني إلى خدمة أولادي. وبالتالي، فإن خدمة أبواي لي، تنسكب الآن على أطفالي. لذلك، على الرغم من أن يسوع خدم لأن الخدمة ضرورة، لكنه كان يعلم أيضًا أن الخدمة هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تحرر تلاميذه من السعي الأجوف نحو المجد الذاتي ومن طبيعة محبة الذات الاستعبادية. وياله من تأثير تركه يسوع وأثر به على التلاميذ وعلى العالم!

## مكانتك لا تحدد ما إذا كنت ستخدم أم لا.

الآن نصل إلى الجزء المثير للعجب من هذه القصة. تذكر أن يسوع كان يعرف جيدًا من هو. ففي يوحنا ١٣ : ١، يذكر يسوع أنه على وشك العودة إلى الأب. وفي الآية ٣، قال أنه يعرف أنه هو ملك الكون. وبعبارة أخرى، لقد عرف يسوع أنه هو الله. فهو ليس مديونًا لأحد بشيء. فقد كان مكتفي بذاته ولا حاجة له إلى أحد. ومع ذلك، اختار أن يضع نفسه ويغسل أرجل التلاميذ. لا يوجد أي مثال لهذا المشهد ولن يطغي عليه إلا مشهد الاتضاع العجيب الذي تحمل فيه يسوع الصليب، طوعًا.

تعلّمنا ثقافتنا كذبًا، أن هدف الحياة الرئيسي هو أن يصعد الشخص سلم السلطة والنفوذ. فتروي لنا قصص الأبطال مثل دونالد ترامب؛ أو غيره من المشاهير إذا كنا نرغب في أن نكون ذوي مكانة اجتماعية. ونحن نعتقد أن تتميم هذا الغرض، واكتشافنا المعنى من حياتنا، لن يحدث إلا في الصعود في المكانة والارتقاء. ولكن يسوع يقول أنكم لن تعثروا على هذه الأشياء إلا في التنازل. يسوع ومملكته هما في صدام مستمر مع قيم ومبادئ هذا العالم الساقط، وهو يدعونا إلى أن نسير بجانبه على عكس العالم.

إذا كان يسوع هو الحق وأنت تدّعي أنك تعرفه جيدًا كمُخلص ومملك حياتك، فكيف حال شعورك بالعظمة؟ فكّر في الأوقات

٤ بطل بحسب ثقافة مجتمع الكاتب. فهو رجل أعمال أمريكي ناجح وشخصية اجتماعية شهيرة وكاتب شخصية تلفزيونية. (إضافة المترجم)

التي اخترت فيها، خلال الأسبوع الماضي، أن تخدم بينما أنت كنت في أمس الحاجة إلى أن تُخدم؟ لا أستطيع التفكير في أي علاقة تضع هذا الفكر محك الاختبار أكثر من علاقتي مع أطفالي. فالكتاب المقدس يقول بوضوح أن الآباء هم من يمارسون سلطتهم على الأطفال. فالأطفال لم يوجدوا لإدارة الأسرة بل الوالدان. فيبدو أن القانون الطبيعي يقول أن الأطفال هم من عليهم أن يتبعون والديهم ويخدموهم. ولكن وفي نفس الوقت، يفتردي الرب سلطة الآباء من تلك الأنماط السلطوية الأثمة، عن طريق قيادة الآباء إلى الاتضاع ودعوتهم لاستخدام سلطتهم لصالح أطفالهم. لقد كان دائماً لدي فرصة يومية، لقياس مدى صدق إيماني في يسوع. ولكن للأسف، غالباً ما لا تسير أفعالي وفقاً لإيماني. ولكن هناك أوقات، تتحد فيها معتقداتي بأفعالي في تناغم، وذلك بسبب نعمة الله، وأشكر الرب على هذه الأوقات! أين تجد في حياتك، امتياز خدمة من هم «أقل منك» أو يقفوا في دائرة سلطتك؟

## هناك قوة ممنوحة لمن يخدم الآخرين

لابد أن تطغى قصة غسل يسوع أرجل التلاميذ على فكرك وعلى مشاعرك. فإذا كنت مرتاحاً في بداية قراءة هذا الفصل، فلا بد أنك الآن منزعٌ جداً! هل ترى الآن مدى انتشار أنايك في علاقاتك؟ في كل مرة أقرأ فيها يوحنا ١٣، أرى كومة فشلي اليومي. وأرى كيف أنني «أهتم بذاتي»، حتى عندما أعتقد أنني أخدم. ومع ذلك، فعلى الرغم من تمركزنا حول ذواتنا، إلا إننا نجد أن يسوع لا يزال

يدعونا في الآيات ١٤ و ١٥ إلى هذا النوع من الخدمة المتواضعة. وهذا يكفي أن يصدمننا ويطنغي على فكرنا، ولكنه أيضًا يساعدنا على رؤية عدم كفاية ذواتنا، فهي لن تساعدنا أبدًا على التصرف بهذه الطريقة المثلى المطلوبة منا. فنحن بحاجة دائمة إلى قوة الله ونعمته للتغيير.

ستأتي أوقاتًا تتساءل فيها عما إذا كان الأمر يستحق تبعية يسوع أم لا. ستحتاج في هذه اللحظات المصيرية، إلى عمل الروح القدس في حياتك ليذكرك بخطيتك الشخصية وبنعمة الله الممنوحة لك.

على الرغم من أن التلاميذ لم يفهموا ما فعله يسوع في ذلك الوقت، إلا أن كل شيء أصبح له معنى واضح بعد قيامة يسوع وبعد حلول الروح القدس. ولم يكن هذا الفهم بسبب اكتسابهم لرؤية معرفية جديدة غيرتهم فأصبحوا خدامًا. بل إنهم تغيروا بصورة جذرية لأنهم اختبروا التحول الروحي الداخلي الناجم عن عمل يسوع نيابة عنهم. إن «فهم» التلاميذ الاختباري حولهم إلى رجال مختلفين تمامًا. نحن بحاجة إلى هذا الفهم نفسه إذا كنا سنخدم الناس لفترة طويلة.

## غسل الأرجل والصليب

عندما جاء يسوع ليغسل أقدام بطرس، لم يقدر بطرس أن يحتمل رؤية يسوع في هذا الموضع التذليلي الوضيع. ولم يسمح للرب

أن يمضي قدمًا في غسل رجليه. ولكن يسوع فسر له ما يفعله وما يعنيه بهذا الفعل. ففي عدد ٧ يقول يسوع: «لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الْآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلَكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ.»، وبعدها أَجَابَهُ يَسُوعُ بسبب مجادلة بطرس قائلاً: «إِنْ كُنْتُ لَا أَعْغِصُكَ فَأَيْسَ لَكَ مَعِيَ نَصِيبٌ.» ما معنى هذا الكلام المبهم؟ يسوع يقول لتلاميذه أن ما يفعله يرمز إلى شيء أكبر وأكثر أهمية. تشير خدمة الرب يسوع المتواضعة من غسل أقدام التلاميذ، إلى ما سيفعله لهم على الصليب، في غضون أيام قليلة. ولكن بدلًا من الماء، سينسكب دمه وسيسفك معطيًا لهم حياة. ذبيحة الدم التي قدمها يسوع على الصليب سوف تكون هي الذبيحة الكفارية المطهرة التي ستغسل كل ذنوبهم وتجعلهم هياكل حية حيث يسكن الروح القدس. فيقول يسوع لبطرس أنه إذا لم يتواضع ويستقبل ما هو (يسوع) على وشك القيام به، له، على الصليب، فلن يكون لبطرس أي نصيب معه. يسوع يعرف جيدًا أنه ما لم يتضاع هؤلاء الرجال المتفاخرين المتكبرين ليستقبلوا النعمة المعطاة لهم، فإنهم لن يتمكنوا أبدًا من إعطاء نعمة بالطريقة التي خدمهم بها يسوع. فالخطاة المتكبرين الذين يرفضون الحصول على نعمة الله كهدية منه لن يستطيعوا أن يقدموها. ما لم تستقبلوا خدمة يسوع لحياتكم، لن تقدرُوا أن تخدموا الخطاة الآخرين. فلا توجد أي وسيلة أخرى، تجعلكم مؤهلين للقيام بهذه المهمة.

## الحاجة لنعمة يومية

يقول يسوع شيء صادم آخر في آخر العدد ١٠ : «الَّذِي قَدِ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَّا إِلَى غَسَلِ رِجْلَيْهِ، بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ. وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ وَلَكِنْ لَيْسَ كُلكُمْ» ماذا يعني يسوع؟ هو يتحدث عن علاقتهم مع الله. ومعنى الاغتسال هو أنهم دخلوا في علاقة مع الله بواسطة الطهارة التي لهم ببساطة بالإيمان بيسوع المسيح، مُخلصهم. وبعبارة أخرى، لقد تبرروا. لكن يسوع يقول أن هذا الاغتسال، على الرغم من أهميته القصوى، لا بد أن يكون مصحوبًا بالتطهير اليومي. فهم بحاجة إلى نعمة يومية من التقديس. فأنا وأنت في حاجة إلى تطبيق عمل حياة يسوع وموته، وقيامته الظاهرة، على حياتنا اليومية. لا يمكنك أن تعيش على نعمة الماضي. تحتاج النعمة الحاضرة.

سوف تواجه المتاعب والاضطرابات، لحظة خروجك إلى العالم. وقد تضطر إلى التورط في التعامل مع النزاعات الكنسية السيئة بين المؤمنين، أو إلى التعامل مع شيء مؤلم بنفس القدر. ستأتي أوقاتًا تتساءل فيها عما إذا كان الأمر يستحق تبعية يسوع أم لا. ستحتاج في هذه اللحظات المصيرية، إلى عمل الروح القدس في حياتك ليذكرك بخطيتك الشخصية وبنعمة الله الممنوحة لك. يجب أن يكون كل من التوبة والإيمان نمط حياتك اليومية. لماذا؟ لأنهما يضعاك في مكانة صغيرة ويرفعاك في نفس الوقت.

متى كانت آخر مرة تم استدعاك فيها الله لخدمة شخص ما؟ ما الذي وضعك في طريق ذلك الشخص؟ هل تذكر هذه الحادثة بمدى عظمتك، وكم كان هذا الشخص في احتياج إلى لمسة عظمتك؟ إذا كان هذا هو ما يحفزك في خدمة الآخرين (عظمتك ومجدك)، فإن خدمتك ليست ذات قيمة. متى كانت آخر مرة خدمت فيها شخص ما بشكل جيد، حتى رغم معرفتك أنه لن يرى أحد ما تفعله أو تقدمه؟ ما الذي دفعك لتفعل ذلك؟ لا بد أن يكون السبب هو وعي وادراك لنعمة يسوع المقدمة لك على الرغم من فسادك. بينما كان الروح القدس يعمل على ترسيخ هذه الحقيقة في عمق قلبك، أنت كونت اشتياق داخلي لحمل عبء شخص آخر. وفعلت ذلك بغض النظر عن مقدار المكسب الذي سيعود عليك في المقابل. النعمة التي ننالها كل يوم وحدها هي التي يمكن أن يكون لها هذا التأثير.

كلما قضيت وقتاً في التفكير في هذه القصة، ستري كم احتياجاك للنعمة بصورة يومية. فكر في العدد الذي لا يحصى من المرات التي أخذت فيها الآخرين بسبب حمايتك لنفسك وبحثك عن مجدك الذاتي. في هذه المرات، التي تمر بها بلحظات من الفشل الشديد، لو لم يكن لديك مكان تجري إليه لتتطهر وتنتال الشفاء، ستفقد كل رجاء في مواصلة الحياة. ولكن خدمة يسوع التي قدمها بحياته وموته وقيامته، لم تكن فقط خدمة مغفرة للخطايا، أو خدمة تضمن لنا الأبدية، ولكنها أيضا خدمة تمدنا بالقوة والمعونة اليومية في الوقت الحاضر. لم يعدنا الرب فقط بالحياة الأبدية (بعد الموت)، بل هو وعدنا أيضًا بالحياة قبل الموت! يمكنك أن تتذكر هذا بينما تواجه واقع الحياة المتعبة في هذا العالم المكسور.

## وعود النعمة

في يوحنا ١٣ : ١٧، يقول يسوع: «إِنْ عَلِمْتُمْ هَذَا فَطُوبَاكُمْ  
إِنْ عَمِلْتُمُوهُ.» تأتي البركات عندما تقترن المعرفة بالفعل والحياة  
المسيحية هي أكثر حياة مباركة يمكن تعاش. في فيلم عربات  
من نار<sup>٥</sup>، يقول البطل اريك ليدل<sup>٦</sup> «عندما أركض، أشعر بسعادة  
الإله» يقول يسوع، أنه عندما نقوم بخدمة شخص آخر، نختبر سعادة  
ومرضاة الله. عندما اختار اريك ليدل أن يجري، كان يعيش الحياة  
التي أعطها له الرب، وهي أن يصبح عداء. عندما نخدم أنا وأنت،  
نحن نحيا الحياة التي خلقنا الله لنحياها، حياة الخدمة. فقط عندما نخدم  
نشبه الثالث. فقد اقتدى الآب، والابن، والروح القدس عالمنا الساقط  
من خلال الخدمة والتضحية. لا يوجد أي شيء يشبه الله، ويمثله، أكثر  
من خدمة الآخرين.

## يعقوب ويوحنا مرة أخرى

نحن لا نعرف إلا القليل عن شقيق يوحنا، يعقوب<sup>٧</sup> – وجاء  
في التقليد الكنسي أنه توفي شهيداً. ولكننا نعلم جيداً أن يوحنا أصبح

٥ «عربات النار Chariots of Fire» هو فيلم بريطاني أنتج عام ١٩٨١ من كتابة كولين ويلاند  
ومن إخراج هيو هادسن، بناء على رواية حقيقية. قصة الفيلم تدور حول الرياضيين البريطانيين  
المشاركين في الألعاب الأولمبية الصيفية ١٩٢٤ في باريس. (إضافة المترجم)

٦ «إريك هنري ليدل» كان رياضي اسكتلندي، ولاعب دولي في اتحاد الرغبي، ومُرسل. ليدل كان  
الفائز في سباق ٤٠٠ متر للرجال في الأولمبياد الصيفي ١٩٢٤ في باريس. (إضافة المترجم)

٧ تحدث يعقوب عن الأعمال الصالحة المصاحبة للكلمات في يعقوب 2: 14-17. ادرس أيضًا هذا  
النص.

إنساناً مختلفاً تماماً بعد قيامة يسوع، ويمكننا أن نرى ذلك في كتاباته التي كتبها بعد ذلك. فهو مؤلف الجزء الكتابي الذي قرأناه في السابق، لكنه كتب أيضاً رسائل في العهد الجديد تركز على الأعمال التي ينبغي أن تصاحب كلمات الإيمان التي نردها. وكل الأفعال التي ذكرها بصورة محددة كانت أفعال تجاه الآخرين. اقرأ معي يوحنا الأولى ٣: ١٦-١٨ :

بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، فَحَنُّ  
يُنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لِأَجْلِ الْإِخْوَةِ. (ولا نحيا فيما  
بعد لأجل نفوسنا) وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ  
أَخَاهُ مُحْتَاجًا، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَبُتُّ مَحَبَّةُ  
اللَّهِ فِيهِ؟ (ما الذي يحدث للمحبة حينها؟ إنها تختفي،  
فأنتم تجعلون المحبة تختفي) يَا أَوْلَادِي، لَا نُحِبُّ بِالْكَلامِ  
وَلَا بِاللِّسَانِ، بَلْ بِالْعَمَلِ وَالْحَقِّ! <sup>١</sup>

لا شك في أن يوحنا يتكلم ويتصرف بشكل مختلف جداً عن ما قاله وفعله في مرقس ١٠. ما الذي غيره بهذه الصورة الجذرية؟ إن تقديمه وذبحة يسوع العملية على الصليب، والبركات التي تدفقت من عمله الكفاري، هو السبب في تغيير يوحنا. إذا كان هناك رجاء لرجل مثل يوحنا، إذاً هناك رجاء لي ولك ولنا جميعاً. إن ما فعله يسوع كإله حي ومخلص خاص ليوحنا لا يقل عن كونه معجزة. فقد غفرت خطيته، وأصبح ابناً بالتبني، وامتلاً بالروح القدس. لقد وعده الله بالحماية

والرعاية في هذه الحياة، إلى اليوم الذي سيتحرر فيه نهائياً من الخطية حتى يتمكن من أن يحب الأب، والابن، والروح القدس إلى الأبد. وهذا هو سبب تغيير يوحنا، وهذا هو الخبر الذي سيغيرنا، أنتم وأنا، أيضاً. هذا هو الخبر السار، بشارة الإنجيل. لقد جاء يسوع من أجل الخطاة، ليحولهم، من خلال عملية تحول، ستنتهي بأن نتطبع فينا سمات يسوع.

## خدمة الآخرين

فما يلي وصايا كتابية فيها أفعال نقدمها كل «واحد إلى الآخر» يمكن أن تساعدك هذه الوصايا الكتابية على تطبيق ما قرأت في هذا الفصل. توقف للحظة وفكر بعمق، في بضعة علاقات محددة في حياتك. قد ترغب في أن تفكر في ثلاث علاقات مختلفة: العلاقة الأولى، شخص تحبه بشدة، والثانية، شخص يصعب عليك التعامل معه، والثالثة، شخص عادة ما تتجنبه، أو عدو. ضع هذه العلاقات في ذهنك، وانظر إلى الجزء الكتابي الذي قدّم فيه يوحنا وصايا تجاه الآخرين، وفكر في الوصايا العملية التي يطلبها منا. قيم نفسك. وفكر في طرق تستطيع بها أن تخدم هؤلاء الناس في الأشهر المقبلة. كرسوا أنفسكم لخدمة بعضكم البعض.

يقول الرسول بولس في رسالته إلى أهل رومية ١٢ : ١٠، «وَأَدِينُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الْآخَوِيَّةِ» هذا يعني أن نعامل الآخرين كما لو كانوا هم جزء من عائلتنا، مقدمين هذا النوع من الحب المتبادل

الذي نجده في عائلتنا، بين الآباء والأطفال والأشقاء. من المؤكد أن تنشب بيننا خلافات عائلية، ولكن عندما تشتد حرارة الخلافات، نستجد بالعائلة بحثاً عن الوحدة. من في رأيك، الذين تستجد بهم وتجتمع معهم وكأنهم من «دمك ولحمك»؟ تعال وفكر معي في الأمر، إذا كانوا مؤمنين، فإن السبب في هذا الشعور هو أن الرابطة بينكم أقوى بكثير من الرابطة البيولوجية. فأنتم متحدون روحياً من خلال أخوكم الأكبر يسوع. والآن، كيف يؤثر هذا التعليم على علاقاتك؟

اكرموا بعضكم البعض

جاء في رومية ١٢ : ١٠، «مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكِرَامَةِ». تكريم شخص ما، يعني أن تعامله بصورة جادة ومحترمة. يعني أن تعامله كشخص ذو قيمة عالية. يوضح بولس الرسول أن هذا الفعل يشبه أن تأخذ المقعد الخلفي وتترك له المقعدة. جاء يسوع، وقدم بنفسه مثلاً عن الاتضاع حتى يرفعه الرب. لقد قدم هذا المثال وعاش هذه الحياة من أجلك. فكر معي، من هو الشخص الذي تحتاج أن تعامله بكرامة؟

اقبلوا بعضكم البعض

رومية ١٥ : ٧، تقول «لِذَلِكَ اقْبَلُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا قَبِلْنَا، لِمَجْدِ اللَّهِ». نحن نختلف جميعاً حول مجموعة من القضايا التي ليست أساسية ولا لازمة لإيماننا المسيحي. غالباً ما تصبح فيما بعد، هذه الاختلافات، الأشياء التي نعتقد أنها الأكثر أهمية،

وقد يؤدي هذا بنا إلى أن نبتعد عن بعضنا البعض. في يعقوب ٢، أدين الأغنياء بسبب محاباتهم. لقد أبعدها أنفسهم عن الفقراء اللذين لم يكن لهم نفس حالتهم الاقتصادية ولا نفس مكانتهم الاجتماعية. عندما نفشل في قبول الآخرين، نفقد فرص خدمتهم. فكر معي، من هو الشخص الذي تميل إلى استبعاده؟ ما هي القناعات غير الضرورية، الثانوية، التي تسمح لها أن تقف حائل بينك وبين هذا الشخص المسيحي الآخر؟ ما هي الطرق الجديدة التي تحتاج أن تقبل الآخرين بها؟ من هو الشخص الذي يحتاج إلى قبورك الآن؟

تحملوا أعباء بعضكم البعض

غلاطية ٦ : ٢، «إِحْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ، وَهَكَذَا تَمَّمُوا نَامُوسَ الْمَسِيحِ.» هذا الأمر الكتابي، عملي جدًا. نحن مدعوون أن نصارع مع الرب لصالح المؤمنين الآخرين وإلى جانبهم، في سياق صراعاتهم الخاصة. وبالتالي ستقع بعض أعبائهم علينا. وقد تؤثر هذه التضحية على أسلوب حياتك الخاص وقد تتطلب منك التضحية. قد يكون هذا التغيير، هو الاحتياج إلى متابعة شخص ما واللقاء معه لفترة من الزمان. وقد تتطلب التضحية المالية. وقد يتطلب الأمر منك التضحية النفسية والمادية معًا. فكر في شخص تحتاج أن تضع كتفك إلى جوار كتفه وتحمل معه أعباءه الخاصة. وكيف سيؤثر هذا الاختيار على طريقة استخدامك للوقت وللمال، ولمواهبك، وممتلكاتك، أو حتى سمعتك؟ ما هي مواردك الأخرى التي ستساعدك على التخفيف من أعباء الآخرين؟

انظروا كيف كان يسوع متسامحاً مع تلاميذه.  
يمكننا أن نكون شاكرين انه تعامل  
معنا أيضاً بهذه الطريقة.

احتملوا بعضكم البعض

أفسس ٤ : ٢ يقول، «بِكُلِّ تَوَاضِعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطُولِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ». لقد تحدثنا بالفعل عن الغفران للآخرين عندما يخطئون في حقنا. إن احتمال الآخرين، لا يقل أهمية عن غفران الإساءة. ما معني أن تتحمل شخصاً ما؟ هذا يعني أنك صبور مع الآخرين في الوقت التي يحرّضك الشرير على الثورة وردة الفعل الغاضبة. ما هي نقاط الضعف التي قد تجدها في الآخرين أو السمات الشخصية التي قد تجعل من الصعب عليك أن تتحملهم؟ هذه السمات ليست بالضرورة خطايا، إنها مجرد أشياء تثير غضبك. فكر في الشخص الذي تجد صعوبة في محبته؟ منا هي نوعية الشخصيات التي تتجنبها دون وعي، لأنهم ببساطة يؤرقوا سلامك؟ بالتأكيد ستجد شخصاً ما! إن اختيارك الإرادي أن تخدم هذا الشخص يعني استعداد كرجاء منك لتعلم الاحتمال، حتى عندما يفعل الأشياء التي تزعجك. تذكر، أنت أيضاً لك ضعفاتك، وأشياء تزعج الآخرين أيضاً منك. انظروا كيف كان يسوع متسامحاً مع تلاميذه. يمكننا أن نكون شاكرين أنه تعامل معنا أيضاً بهذه الطريقة.

## خدمة الآخرين أمر عملي

خدمة الآخرين هي الطريقة التي نثبت بها إيماننا. فما نؤمن به ليس مجرد كلام نقوله، بل هو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بما نقوم به. أين أنت من هذا الكلام؟ هل يعبر إيمانك بيسوع عن نفسه في علاقاتك؟ إن مصدر رزقي هو الوعظ والكتابة، عن الكتاب المقدس. وهذا في حد ذاته هو ما يخيفني، لأن البعض قد يعتقد أنني قمة في النضوج الروحي. وقد أصدق أنا ذلك! ولكن هل أنا ناضج روحياً؟ هل أنا أنمو في النعمة؟ هل تتوافق أفعالي مع كلماتي؟

ماذا عنك؟ هل أنت معروف بأنك تعرف الكثير عن الكتاب المقدس وعن العقيدة، ولكن من حولك لا يرون أنك تخدم الآخرين؟ إذا كنت أحد الوالدين، أو زوج أو طفل صغير، أوجار لأحدهم، أو أخ، أو أحد الأقارب، ما هو شكل الخدمة التي ستقدمها لمن حولك هذا الأسبوع؟ إن الخدمة المتواضعة هي علامة على عمل الروح القدس في داخلك. أصلي أن تنمو هذه العلامة بصورة متزايدة في حياتنا جميعاً لتكون دليلاً على نمونا في النعمة!



# الفصل الثاني عشر: الرحمة

«أَرْجُلُهُمْ سَرِيعَةٌ إِلَى سَفَكِ الدَّمِ. فِي طَرْقِهِمْ اغْتِصَابٌ وَسَحْقٌ.  
وَطَرِيقُ السَّلَامِ لَمْ يَعْرِفُوهُ.» رومية ١٥:٣-١٧

يَا إِخْوَتِي، لَا يَكُنْ لَكُمْ إِيمَانٌ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، رَبِّ الْمَجْدِ،  
فِي الْمَحَابَةِ. فَإِنَّهُ إِنْ دَخَلَ إِلَى مَجْمَعِكُمْ رَجُلٌ بِخَوَاتِمٍ ذَهَبٍ فِي لِبَاسٍ  
بِهَيٍّ، وَدَخَلَ أَيْضًا فَقِيرٌ بِلِبَاسٍ وَسِخٍ، فَنَظَرْتُمْ إِلَى اللَّابِيسِ اللَّبَاسِ  
النَّبَهِيِّ وَقُلْتُمْ لَهُ: «اجْلِسْ أَنْتَ هُنَا حَسَنًا». وَقُلْتُمْ لِلْفَقِيرِ: «قِفْ أَنْتَ  
هُنَاكَ» أَوْ: «اجْلِسْ هُنَا تَحْتَ مَوْطِي قَدَمِي» فَهَلْ لَا تَرْتَابُونَ  
فِي أَنْفُسِكُمْ، وَتَصِيرُونَ قُضَاةَ أَفْكَارٍ شَرِيرَةٍ؟

اسْمَعُوا يَا إِخْوَتِي الْأَحِبَاءَ: أَمَا اخْتَارَ اللَّهُ فُقَرَاءَ هَذَا الْعَالَمِ أَعْيَاءَ  
فِي الْإِيمَانِ، وَوَرَثَةَ الْمَلَكُوتِ الَّذِي وَعَدَ بِهِ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُ؟ وَأَمَا أَنْتُمْ  
فَأَهْنُتُمْ الْفَقِيرَ. أَلَيْسَ الْأَعْيَاءُ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْكُمْ وَهُمْ يَجْرُونَكُمْ  
إِلَى الْمَحَاكِمِ؟ أَمَا هُمْ يُجَدِّفُونَ عَلَى الْاسْمِ الْحَسَنِ الَّذِي دُعِيَ بِهِ عَلَيْكُمْ؟

فَإِنْ كُنْتُمْ تُكْمَلُونَ النَّامُوسَ الْمُلُوكِيَّ حَسَبَ الْكِتَابِ: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ  
كَنَفْسِكَ». فَحَسَنًا تَفْعَلُونَ. وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ تُحَابُونَ، تَفْعَلُونَ خَطِيئَةً،  
مُؤَبِّخِينَ مِنَ النَّامُوسِ كَمُتَعَدِّينَ. لِأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا  
عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ. لِأَنَّ الَّذِي قَالَ: «لَا تَزْنِ»،  
قَالَ أَيْضًا: «لَا تَقْتُلْ». فَإِنْ لَمْ تَزْنِ وَلَكِنْ قَتَلْتَ، فَقَدْ صِرْتَ مُتَعَدِّيًا  
النَّامُوسَ.

هَكَذَا تَكَلَّمُوا وَهَكَذَا أَفْعَلُوا كَعَتِيدِينَ أَنْ تُحَاكَمُوا بِنَامُوسِ الْحُرِّيَّةِ.  
لَأَنَّ الْحُكْمَ هُوَ بِلا رَحْمَةٍ لِمَنْ لَمْ يَعْمَلْ رَحْمَةً، وَالرَّحْمَةُ تَفْتَحِرُ  
عَلَى الْحُكْمِ. يعقوب ٢: ١٣-١٣

نحن على تمام الاقتناع بأن ما قاله القديس يعقوب في رسالته هو بالضبط ما دعانا الرب للقيام به. علينا أن نحيا حياة منفتحة، ونفتح بيوتنا لضيافة الآخرين وننظر إلى بيتنا على أنه بركة من الرب، وهبها الله لنا لنستثمرها ونبارك بها الآخرين في الخدمة. إن معظم ضيوفنا يزورون بيتنا لفترة قصيرة. وبعد إقامة لمدة ليلة واحدة أو نحو ذلك، يرحلون ونستعيد حالة بيتنا الطبيعية المريحة. ولكن هذه المرة كان الأمر مختلفاً. فقد ظلت هذه المخدومة الزائرة لعدة أسابيع دون إبداء أي ملامح لقرب رحيلها. والمشكلة هي أن هذه الضيفة تستفزني بشدة، وتدفعني للجنون، ورغم كل محاولاتي للتعامل مع هذا الشعور، إلا أنني اكتشفت أن هذا الاختيار صعب جداً.

في مساء الأحد، جاءتنا مكالمة تليفونية في وقت متأخر. فتاة في عمر السابعة عشر، طُردت من بيتها ووجدوها في متنزه عام، تبحث لها عن مكان لتنام. وكانت هذه الفتاة تشعر بالألم والغضب والخوف، إلى جانب شعورها بالحرَج الشديد والضياع، إذ أنها لا تعلم ولا تفهم بالضبط ما حدث للتو. بعد بضعة أيام عرفت جيداً أنها لن تتمكن من العودة إلى منزلها وأنها لا تملك أي خيارات. فكرسنا أنفسنا لخدمة هذه الفتاة، وتحمل هذه الرحلة الشاقة، بدافع من الإيمان

بسيادة الله الكاملة، والرحمة. لقد تحمّسنا لخدمتها، لأن الربّ أعطانا الفرصة المناسبة للقيام بما كرّسنا أنفسنا لفعله. لقد حركتنا مشاعر المحبة والشفقة واشتقنا لرؤية الطريقة التي سيغيّر فيها الربّ حياة هذه الفتاة. لقد أحببنا تلك الحقيقة، أن الربّ يستخدم بيوتنا كأداة من أدوات الخدمة، وكنا على استعداد لتعلّم، المعنى الحقيقي لهذه الدعوة وهذه الخدمة.

ولكن المشكلة، هي أن هذه الفتاة وضعت صبري في محك صعب، لم يضعني فيه سوى القليلين. لقد ساهمنا في أن نتعرف على الناس في كنيستنا، وبعدها ضممنّاها إلى مجموعة صغيرة لتنمو فيها وسط الجسد الواحد. والجميع تعرف عليها، واقتربوا منها بمحبة متحمسين لما فعلناه لها. عرفنا قصتها، تواصلنا مع عائلتها، وساعدناها لتتعرّف على سبب وصولها لهذه المرحلة وكيف تستعد لمواجهة المستقبل. وكلما زادت فترة تواجدها معنا، كلما ازدادت صراحة وأصبحنا أكثر وضوحًا. ورأينا التغيير في وجهة نظرها لنفسها ومنظورها للحياة بشكل عام، وبدأنا نرى أن اهتماماتها الروحية تنمو بصورة مستمرة. ولكن على الرغم من كل هذه الأمور الإيجابية، إلا أنها ظلت تثير غضبي.

كانت غير ناضجة، وأنانية، ومتمردة، وفظة، وغير منطقية، وفوضوية، وفضولية. لم أحيًا قط مع شخص يحمل كل هذه الصفات في آن واحد! يبدو أنها إذا تحسنت في أمر ما، تثير أعصابي في الآخر. لم يكن لديها الكثير من المميزات، ولا القليل،

بل وإنها لا تقل شيئاً واحداً منطقياً وناضحاً. كان واضحاً جداً أنها تحتاج إلى مرجعية في حياتها ومصدر سلطة، لكنها تمردت حتى على أبسط القوانين التي نطبقها في بيتنا. كانت تجادل أي شخص يحاول أو يزعم أن يوجهها. أينما ذهبت، تترك المكان وراءها في حالة من الفوضى يرثي لها وفيما يبدو، أن لديها حساسية تجاه أي أعمال تنظيمية منزلية عادية. صنعت في حياتها سلسلة من القرارات المرعبة أدت بها حرفياً إلى التشرذم في الشارع. ولكنها كانت دائماً تدافع عن الجميع. عالمها كان صغيراً جداً، ولكنها كانت هي مركز هذا العالم. وعاشت حياتها تعتقد أن «كل الحياة تتمركز حولها.» وفوق كل هذه المميزات، يبدو أنها متخصصة في التطفل على أي ذرة صغيرة نحاول إخفائها من خصوصياتنا. كانت تمتلك موهبة إخراج أسوأ ما في من صفات، على الرغم من أنها لا تعرف هذه الصفات وقد لا تدرك رذات أفعالها السيئة على تصرفاتها بل وقد تقول للجميع أن علاقتنا أكثر من رائعة.

## صراع من أجل تقديم الرحمة

هناك نتيجة طبيعية مباشرة لقانون مورفي الذي يقول: «إن تكلفة قراراتك الفعلية، أكثر بكثير من تقديرك الأولي لها.» وينطبق هذا القانون على الخدمة. لو كنت ملتزماً بأكثر من مجرد التعاملات السطحية والبقاء على قيد الحياة وسط هذا العالم، ومرتبطاً بجدول أعمال أسمى بكثير من سعادتك الخاصة، ورغبة داخلية في أن تكون أداة في يد الرب، سريعاً ما ستدرك أن تكاليف الخدمة التي تقدمها

للآخرين الفعلية، تتجاوز كل حساباتك الأولية الخاصة لها. وهذا الأمر ينطبق على تقديم الرحمة للآخرين.

علاقة بدون رحمة، هي علاقة غير كتابية.

أي علاقة بدون رحمة هي علاقة غير كتابية. فالربّ يدعونا وبوضوح إلى التعامل مع بعضنا البعض بقلب ممتلئ رحمة ونعمة. وهو يأمرنا بأن نبسط هذه الرحمة التي حصلنا عليها منه لآخرين. لكن المشكلة هي أن تقديم الرحمة أمر صعب. وكانت هذه هي مشكلتي مع ضيفتنا، فقد أردت أن أفتح بيتي للكثيرين وأن ألمس حياة الآخرين، ولكنني لم أفكر أبدًا أن هذا الاختيار صعب!

قال لي أحدهم ذات مرة، أن الرحمة سلعة، يرغب الجميع فيها لكن لا أحد يريد أن يقدمها. إلا أن الربّ جاء بي إلى نقطة، رفضت فيها الاكتفاء بالحصول على الرحمة، ورأيت قيمة إعطائها وتقديمها. أردت أن يكون بيتي مكانًا يجد فيه الجميع الرحمة، وشعرت بالتعاطف مع هؤلاء اللذين لا يستطيعوا العثور عليها. وأردت أن أستخدم المواهب والإمكانيات التي أعطهاها الربّ لي أردت لتخفيف محنة هؤلاء المتعبين، وأردت أن تقدم رحمتنا نموذجًا مصغرًا من رحمة الربّ للآخرين. ولكن الرحمة مكلفة جدًا، وتكاليفها أكثر بكثير مما كنا نتخيل، وعندما جاءتنا فاتورة الحساب، فقدت الرحمة لمعانها وبريقها الذي طالما عشقناه وكنا متيمين به. وهذه كانت حالتي.

بينما تبسط الرحمة للآخرين وتواجه تكلفتها الباهظة، ستكتشف مدى هزلة التزامك بالرحمة وكيف أن استجاباتك للآخرين عديمة الرحمة. هذا الأمر يجذبك بشدة نحو الاتضاع والانكسار أمام الرب، ولكن التزامك بتقديم الرحمة سيكشف مدى حاجتك أنت إليها. لسوء الحظ، عادة ما لا نحب أن نرى ضعفنا وانكسارنا واحتياجنا. فنحن نحب أن نرى أنفسنا في موضع القوة، أفضل من هؤلاء اللذين يحتاجون إلى الرحمة. ولكن في حقيقة الأمر نحن لا نختلف عنهم. فنحن أيضاً خطاة، نحتاج إلى النعمة كل يوم من أيام حياتنا. ولكن من المريح لنا أن نفكر في أنفسنا على أننا الصالحون، والأبرار، والأقوياء بينما الآخرون محتاجون، وضعفاء، وخطاة. لذلك، عندما يتعلق الأمر بالرحمة، ندّعي أننا نقدم الرحمة للآخرين، ولا نحتاج إليها، ولكن بالرغم من أننا قادرون على تقديم الرحمة إلا أننا نود أن نقدمها دون أدنى تكلفة- ودون أن نتكشف حقيقتنا، وبهذا نكون منقسمي الفكر وغير ثابتين.

إن أحد أكثر جوانب الرحمة فائدة، من وجهة نظر الله، هي أنها تجعلنا جميعاً على نفس المستوى وتعطينا نفس المقدار من الفرص وتكشف عن نفس المقدار من الاحتجاج داخلنا. فإن الرحمة تُجبرنا جميعاً على مواجهة حقيقة احتياجنا إليها. ولا يملك أي منا اليد العليا روحياً. فنحن جميعاً نحتاج إلى التحنن، والتعاطف، والتسامح، والخلاص، والإنقاذ، في صراعاتنا مع الخطية. كلنا فقراء، ينقصنا أشياء نحتاج إليها بشدة. يحيا كل منا بضعفاته، متحملاً نتائج اختياراته

الضعيفة، ولكن حتى لو بدت اختيار اتنا صحيحة، حتى لو كنا ملتزمين بالحياة الرحيمة، إلا إننا نظل نتصارع لنتعلم كيف نحب الناس اللذين نظهر الشفقة والتحنن ونبدي الأسى لحالهم. بينما نحن نستمتع ونستدفيء بغفران الله لنا، نجد أنه من الصعب أن نتحمل خطايا الآخرين وضعفاتهم. لهذا السبب ننتشابه جميعنا، بعضنا مع بعض، عندما ننظر في مرآة الرحمة.

نشبه جميعنا بعضنا البعض،  
عندما ننظر في مرآة الرحمة.

## ما هي الرحمة؟

سألت ذات مرة، جماعة من المؤمنين، عن تعريف الإيمان. وقال أحدهم، «أعتقد أنها تعني تصديق شيء ما.» قلت: «وما معنى تصديق شيء؟» وقال آخر، «الإيمان هو الثقة» فقلت، «ما معنى كلمة ثقة؟» وقال آخر، «الإيمان هو أن تؤمن!» بعد ثلاث محاولات لتعريف كلمة إيمان، دخلنا دائرة مفرغة لا تنتهي دون الوصول إلى تعريف دقيق لهذه الكلمة. هكذا الحال مع كلمة رحمة. فهي واحدة من تلك المصطلحات الكتابية التي سمع بها كل مؤمن، واستخدمها الكثيرون، ولكن قليلين هم من تمكنوا من تعريفها بشكل صحيح. لذلك، أريد أن أقدم لكم تعريفين لكلمة رحمة: (١) الرحمة هي التعامل مع الآخرين بتعاطف، وتحنن، وتسامح، بطريقة تخفف عنهم محتنتهم

وتلغي شعورهم بالدين. أو (٢) هي التحنن المقترن بالصبر وتقديم المحبة العملية.

هذين التعريفين يخبروننا بالكثير عن الرحمة، فهم يخبروننا بسبب احتياجنا لها، وكيف تعبر عن نفسها. فالرحمة هي أكثر بكثير من مجرد وخزة تعاطف تشعر بها للحظات عندما تسير إلى جانب شخص يبني بلا مأوى أو متسول في الشارع. فإنك عندما تراه قد تفكر للحظة في مدى صعوبة الحياة بلا مأوى في العراء. وللحظة تفكر في أسلوب حياته، وبمجرد أن تعبر، تشعر براحة لأنك لست في مكانه. وبعدها، تنساه بالكامل، وتلتقي بأصدقائك لتحدث عن المطعم الكبير الذي ستقضون فيه تلك الليلة. نعم، قد يُدعى هذا الإحساس بالتعاطف اللحظي، ولكن أفعالك تبقى كما هي، تفتقر إلى الرحمة. إن الذي يجعل الرحمة، رحيمة، هو ذلك الإحساس العميق بالتحنن القلبي، الذي ينتج عنه بعض الأفعال تجاه الآخر. الرحمة ليست مجرد شعور؛ فالرحمة أفعال. بل هي أسلوب حياة، موقف نأخذ تجاه الآخرين، يشكّل كل أقوالنا وأفعالنا.

الرحمة لها عيان. فإنها تدفعنا للانتباه إلى حال الآخر، وأمه، ونقاط ضعفه، وفشله. فالرحمة تنظر إلى هذه الأمور بعيون متحننة ومرتفعة. فإنها لا تنتقد الآخر لوضعه الصعب، أو موقفه الحالي، ولا تدينه على خطيته. الرحمة تريد أن تخفف من معاناة الآخرين، وتساعده على التأكد من غفران جميع ذنوبك. وهي تبحث عن طرق

تساعدك بها على الخروج من معاناتك وزوال شعورك بالذنب والخزي. الرحمة الحقيقية هي رحمة عاملة وفعالة دون أي فترة هدنة أو راحة. فهي لا تهدأ، ولا ترضى بالوضع الحالي ولا تصمت حتى تتحسن الأمور. بل هي تعمل جاهدة، وهي مكلفة جداً، وعلى استعداد دائم للعمل على إنجاز المهمة.

هناك ثلاث سمات للرحمة:

**الرحمة: التعاطف هو الوعي العميق بمعاناة الآخر تؤدي إلى رغبة شديدة في تقديم المساعدة. الرحمة ترى ما وراء صعوبات حياتي الشخصية للاهتمام بمصاعب حياة الآخرين.**

**الغفران: هو العفو عن جريمة شخص آخر وترك إساءته دون معاملته كمجرم أو الاحتفاظ بأي مرارة ضده.**

**التحمل: الصبر والاحتمال تحت الضغط والاستفزاز الشديد. والاستعداد التام للوقوف جنباً إلى جنب مع شخص ما في ورطة، على الرغم من أن هذا الاستعداد يجعل الحياة أكثر صعوبة.**

الرحمة تنظر إلى معاناة الآخرين وتُظهر اهتمامًا، وتفعل الأفعال اللازمة، وتغفر، وتنابر.

## ما الذي يجعل الرحمة أساسية في الحياة لهذه الدرجة؟

تعتبر الرحمة أمرًا ضروريًا في الحياة مثل العديد من الصفات الأخرى اللازمة لبناء علاقات جيدة، الرحمة ضرورية جدًا، لأن علاقاتنا تحدث في منتصف قصة افتدائية عظيمة. فنحن نعيش في عالم ساقط نواجه الشدة والصعوبات، بينما نتصارع بصورة تلقائية مع الخطية الموجودة في داخلنا. فنحن نحتاج الرحمة لأنه ولا العالم الذي نعيش فيه ولا الناس الذين يعيشون فيه مثاليين.

لا يمكن لأي منا أن يحيا في عالم لا يوجد فيه عدل. لن يرغب أي منا أن يعامل بعدل بسبب خطايانا. فبدون الرحمة نكون كلنا مدانين! لذلك حجب الربّ حكمه وعدله النهائي ومكافئاته ودينونته، حتى يأتي ملكوته. فالربّ يعطينا دائمًا فرصة جديدة للاعتراف والابتعاد عن الخطية. فالربّ صبور لدرجة مذهلة جدًا وطيب طيبة لا حدود لها، ومتسامح بشكل لا يصدق. شفقة الربّ تجعل عدالته تنتظر حتى تعمل رحمته بالكامل. وبما أن الربّ قرر أن يستجيب برحمة مع العالم كله، فهذا يعطينا أكثر من مجرد دعوة بسيطة، فنحن مدعوون أن نكون رحماء. ومع ذلك نميل إلى خلط الرحمة مع النعمة فنحن نريد أن نحفظ بالنعمة لصالحنا لأننا نريد أن تكون حياتنا مريحة ونريد أن نجعل العدالة تعمل في حياة الآخرين حتى نرتاح نحن ولا نعاني. كخطاة لا يهتمون إلا بأنفسهم، نحن لا نريد أن نتعامل مع التعابي. ولكن من المستحيل أن يكون هناك علاقات بدون تعب أو أرق يسببه لنا الآخرون.

إن تعليم الكتاب المقدّس عن الرحمة واضح. ستظل المعاناة الإنسانية مستمرة، حتى يأتي ملكوت الله وحتى يتم استعادة كل ما هو مكسور. ستظل مأساة ومعاناة الإنسان للحياة في وسط عالم ساقط قائمة، طالما أن الربّ ما يزال يعطي الخطاة فرصة جديدة للاعتراف والتوبة. لهذا السبب تظل الرحمة ضرورية لتعامل بها في وسط العلاقات التي أعطاها لنا الربّ. فقد حصلنا على الرحمة لذلك نحن مدعوون لتقديهما. فالرحمة هي التزامي الشخصي بأن أحيأ مساعداً ومعيناً لك، فيهذا وسط هذا العالم المكسور، حتى لو تطلب هذا منّي أن أعاني معك، ولأجلك، وبسببك. سأفعل كل شيء أستطيع أن أفرج به عن كربك.

## علاقاتك وجدول أعمال الرحمة

الالتزام بالرحمة سيغيّرك وسيغيّر علاقاتك. لنتابع معاً مدى التغيير الذي سيطرأ على جدول أعمال حياتك الاجتماعية.

• الرحمة تعني أن تتوقع المعاناة في علاقاتك وتستعد بالكامل أن تتحمل هذه المشقة

الرحمة تشتمل على استعداد أن تكون حياتك متألمة بسبب ضعفات وأتاعب الآخرين. الرحمة هي أن أقف بجانب ابني المراهق، وهو يرتدي زيه الشبابي، حتى وإن كانت طريقة لبسه تضايقني وتحرجني، وضياعه الروحي وضلاله يؤرقني ويسبب وجعاً لقلبي. الرحمة تعني أنني سوف أثار في علاقاتي مع زوجي الذي اكتشفت

أن ضعفاته أكثر مما كنت أتوقع، قبل الزواج. الرحمة تجعلني أحب شخصاً تضايقتني طباعه. الرحمة تتضمن رغبة واستعداد كامل للتدخل والانخراط في حياة شخص، حتى لو كان هذا التدخل يتطلب مني تقديم تضحية ما وهو في حد ذاته يزعجني ويؤرق حياتي. هل تبرهن علاقاتك على وجود استعداد داخلي عندك، لتعاني من أجل آخر؟

! الرحمة تعني أنك على استعداد أن تحيا مع الفقراء

تتحدث رسالة يعقوب الأصحاح الثاني عن هذا الأمر بصورة واضحة جداً. فعادة ما يكون أصعب درس نتعلمه، من أجل تقديم الرحمة، هو أن نتعلم أن نتعامل مع أشخاص، أقل منا بحسب رأينا الشخصي. فعادة نفقد حماسنا للعلاقة عندما ندرك أن من نتعامل معه شخص «فقير» ونسعى للهروب منها سريعاً. مع الوضع في الاعتبار أن كلمة فقير هنا لا تعني الفقر المادي فقط. فالشخص قد يكون فقير روحياً، ونفسياً أو اجتماعياً مما يجعل التعامل معه صعب. ولكنني أقصد، أننا عندما ندخل في علاقة مع شخص ما، سنتعامل بصورة مباشرة مع «فقر» هذا الشخص. وهنا سيفضح التزامك بتقديم الرحمة أفكارك الشخصية الخاطئة. فأنا وأنت نميل إلى أن نرى أنفسنا «أغنياء» وأن نرى الآخر على أنه «فقير». لكن الواقع الروحي هو أننا جميعاً فقراء على حد سواء: فلن يتمكن أي منا من الحياة داخل عالم خالي من الرحمة! هل تغيّر من اتجاهات قلبك وردات أفعالك عندما تكتشف أن الشخص الذي تتعامل معه فقير بطريقة أو بأخرى؟

## • الرحمة تعني أن تقاوم إغراء المحسوبة والمحاباة

جاءت رسالة يعقوب في الأصحاح الثاني لتتحدث بصورة مباشرة عن واحدة من أكثر محسوبيات المسيحية ووثنيته. فنحن نشكر الرب على قبوله لنا على الرغم من ضلالتنا، وصعوبة شخصياتنا، إلا أننا نميل إلى أن نجمع حولنا أشخاصًا يسهل أن نحبهم وهم يستطيعون أن يردوا لنا المحبة في المقابل. نحن نحبط عندما يتحول الأشخاص السهلين والذين نحب أن نتعامل معهم، إلى أشخاص مختلفين عنا أو معنا. فقد يجذب الأب إلى أن يفضل الابن المطيع أو قد يجذب الصديق إلى مصادقة الشخص الذي يسهل التعامل معه أو من السهل أن تتحمس الجماعة جدًا لدخول زوجين أثرياء وانضمامهم إليهم أكثر من حماسهم لدخول شخص مدمن للمجموعة. لو نحن ملتزمين بضيافة من نرتاح لهم فقط، فإن حياتنا تنقصها الرحمة. هل هناك علاقات سقطت فيها في حفرة المحاباة؟

## ! الرحمة تعني أننا ملتزمون بالمشاورة في ضيقات الآخر

الرحمة ترى المشقة ولا تهرب، فهي تقفز إلى داخل الأمر الصعب وتحاول أن تحل مشاكل الآخر. فالرحمة تقدم أقصى ما عندها عندما ترى معاناة الآخرين أو عندما يتطلب الأمر أن نقدم غفرانًا. الرحمة لا تبحث عن مخرج عندما تصبح الأمور أسوأ وأصعب.

الرحمة التي لا تتأثر ليست رحمة. لا توجد علاقات مثالية. فنحن جميعاً مدعوون إلى المثابرة لنعبر ونجتاز المواقف المؤلمة التي نمر بها كلنا جميعاً، وهذا لتتيم جزء من خطة الله لحياتنا. ابحث في علاقاتك، عن مجالات صراعك واصطدامك بدعوة الله إلى المثابرة؟

• الرحمة ترفض البحث والسعي الشخصي نحو  
«السعادة الشخصية»

لو أردت أن تسدد علاقتي احتياجاتي، أو لو أحيا حياة أطلب فيها الراحة لنفسِي، لن أقدم الرحمة لأحد عندما تشتد الأمور صعوبة. الرحمة تعني أن أحيا لأجل جدول أعمال أسمى من سعِي وراء أموري الشخصية وبحثي عن سعادتِي. الرحمة هي الرغبة الداخلية العميقة لإقحام نفسي في الأشياء التي لن تسرنِي وليست مريحة بالمرّة. الرحمة تفرح في إتمام عمل الله ومشئته عن تتيم رغباتي. الرحمة هي الرغبة في جلب سلام الربّ وراحته على حياة آخر. فالرحمة تجد شعبها في امتداد ملكوت الله أكثر من تقدم مملكة الإنسان. إن ما يحفز الرحمة للعمل، هو معرفة الشخص بما يريد الله أن يتممه في العلاقة، أكثر من معرفته بما يريد هو أن يحصل عليه من هذه العلاقة. ما هي راحتك التي يدعوك الله لتركها حتى تتمكن من مشاركة ما أعطاه الربّ لك مع آخر؟

• الرحمة تعني أن نحيا في التزام دائم للففران للآخر.  
 من الطبيعي أن يجرحك أحدهم أو يضايقك أو يخطئ في حقك،  
 عندما تتعامل معه لو كان هذا الشخص في احتياج إلى الرحمة. فعندما  
 تتركس نفسك لمحبة آخر، تصبح أخطاء الآخر وصراعاته مصدر  
 إزعاج شخصي لك. أحد الأسباب التي تجعلنا نفضل أشخاصًا  
 عن آخرين هو أننا لا نريد أن نتعامل مع من يحتاجون إلى غفراننا.  
 لكن الرحمة تعني، أنني ممتن لنعمة غفران الربّ التي يقدمها لي  
 بصورة يومية، للدرجة التي تجعلني لا أستطيع أن أتوقف عن تقديمها  
 للآخرين. فإن أفعالي واتجاهات قلبي، يحكمها إدراك متضع،  
 بأن كل ما أقدمه للآخر، أنا في الحقيقة في أمسّ الحاجة له. هل هناك  
 شخص في حياتك تتصارع مع نفسك لتغفر له؟

---

الرحمة تتعلق جدًا بجمال الأشياء الكبيرة  
 التي يفعلها الله ولا وقت لديها  
 للتركيز على الأشياء التي ليست لها نتائج أبدية.

---

• الرحمة تعني أن نتجاهل الإساءات البسيطة  
 من المغربي أن نركز على الأشياء المزعجة التي يقوم بها الشخص  
 الآخر بينما نلتمس الأعدار لأخطائنا نحن في حق الغير. لكن الرحمة  
 ليست يقظة ولا مترقبة، ولا تغضب بسهولة، ولا يسهل إهانتها.  
 الرحمة تتعلق بشدة وتنجذب لجمال الأشياء الكبيرة التي يفعلها الربّ

ولا وقت لديها للتركيز على الأشياء التي ليست لها نتائج أبدية. فكر مع نفسك، متى سمحت لإساءات الغير أن تلهيك وتؤرقك وتجرحك؟

. الرحمة لا تسالوم مع ما هو صواب أخلاقياً وحق.

تقديم الرحمة لا يعني أن أدير ظهري نحو شريعة الله، وحقه. فإن محاولاتي المستمرة لأن أقدم لك الرحمة لا تتطلب مني أبداً أن أنسى ما هو صحيح أخلاقياً وأتغاضى عن الحق. فالرحمة تعني أنني إذا أمسكت بك وأنت تخطيء لن أتجاهل ضعفك أو المأزق النفسي الذي أنت فيه، ولن أغضب بشدة عليك، ولن أهجرك، ولكني سأبقى موجوداً في حياتك أشير إلى الربّ وإلى مشيئته، وإلى مبادئ كلمته. إن رغبتى الداخلية العميقة لأن أعطي الربّ مكاناً ليفعل الصالح في حياتك، وليجري مقاصده، التي لن يستطيع غيره أن يجريها، تتعكس وتظهر من خلال استعدادي لتقديم الغفران ورغبتى للمثابرة معك لأجل حياتك. فالرحمة تفسح المجال لنعمة الربّ، وتفهم جيداً أن النعمة وليس الإدانة هي أفضل طريقة لتغيير الشخص. ولكن الرحمة لا تسالوم أبداً مع كل ما هو صحيح أخلاقياً وحق كتابياً. فأين تجد نفسك مرتبگًا، وتسالوم مع تقديم الرحمة للآخر ؟

. الالتزام بالرحمة يكشف عن كنوز قلبك

لماذا يصعب علينا تقديم الرحمة؟ نتصارع ونعاني لأننا نرغب في تحقيق أمور شخصية أخرى، أكثر من رغبتنا في تحقيق أهداف الربّ وفي إعلان مجده. ويكشف صراعنا هذا لنا، عن بحثنا

عن الراحة والتقدير والاحترام وعن الحب والنجاح والتسلط وعن تحقيق الإنجازات الشخصية وحب الامتلاك وعن مركزنا الاجتماعي، والقوة والسلطة وقبول الآخرين لنا، وبحثنا عن كل هذه الأشياء يحكم قلوبنا أكثر من رغبتنا الشخصية للخضوع للرب ولمشيئته. الحقيقة الروحية المؤلمة هي: أن صراعنا مع تقديم الرحمة للآخرين ليس مجرد صراعاً على تتميم ثاني وصية عظمى طلبها الربّ منّا (تحب قريبك كنفسك)، بل هو عجز عن تحقيق الوصية العظمى الأولى أيضاً (تحب الربّ إلهك). فنحن إن عجزنا عن الاستجابة بطريقة صحيحة نحو الآخر، فهذا يكون بسبب أن الربّ ليس في مكانه الصحيح في قلوبنا. لقد وصلت بنا الحالة إلى أننا اليوم نجد أنشطة كثيرة مأكرة تقدم بدائل متعددة عن الربّ مما جعل تقديم الرحمة في العلاقات أمر يمكن المساومة عليه أو تسويته بطرق أخرى. فهل تمنعك رغباتك الخاصة عن تقديم الرحمة للآخرين؟

" تقديمك للرحمة سيظل دائماً يطالبك بأن توسع مجالات الرحمة في قلبك

عندما تسعى لتقديم الرحمة، ستري أنانيك، وعدم صبرك، وعدم غفرانك وتقلبك، بوضوح. وسوف تكشف الرحمة لك عن احتياج قلبك إلى عمل الفادي المتواصل فيه، كما إنها سوف تدفعك إلى الوصول إلى أقصى ما يمكن أن تفعله أو تقدمه وإلى نهاية قدراتك وستدفعك

إلى الاتكال على نعمة المُخلّص ورحمته لتكمل نقائصك.  
وهذا الاتساع وهذا الاتكال هما أفضل ما في هذه الرحلة!

## بقية القصة

ونستكمل القصة التي بدأنا بها الفصل. إن الفتاة ذات السبعة عشر عاماً التي عاشت معنا في بيتنا هي الآن سيدة متزوجة وأم لأطفال. ولا زالت جزءاً لا يتجزأ من حياتنا. لقد غيرَ الربّ قلبها واتجاه حياتها تغييراً جذرياً عندما عاشت في وسطنا. ولكنني لا أستطيع أن أكتفي بالتفكير فيها وحدها عندما أفكر في وقت وجودها في بيتنا، فعادة ما تطرأ على ذهني أفكار عن نفسي وعن الربّ. فدعوة الربّ لي لتقديم الرحمة، كانت في حد ذاتها رحمة مقدمة لحياتي الشخصية. فإن الربّ لم يتوقف عن العمل في حياتي لكي يُنجز العمل في حياتها، لأنه عندما اختارني لأكون أداة تقديم الرحمة لهذه الفتاة، لم يكن في تفكيره أنه يدعوني لمهمة ولأداء واجب، بل كان يقدم لي هدية اسمها النعمة. على الرغم من أنني لم أكن أرغب في تتميم هذه الدعوة بل وكنت متذمراً طيلة الطريق، إلا أنني الآن سعيدٌ جداً بنعمة الربّ العجيبة لحياتي ولحياتها! فقد أهلني للخدمة، حتى في أوقات عنادي ومقاومتي. الربّ رحيم جداً- لها ولي.

# الفصل الثالث عشر: الوقت والمال

«إِنَّمَا كَيْفَال يَتَمَسَّى الْإِنْسَانُ. إِنَّمَا بَاطِلًا يَصِجُونَ. يَذْخُرُ ذَخَائِرَ  
(يخزن الثروة) وَلَا يَدْرِي مَنْ يَصُمُّهَا (سيحوزها).» مزمو ٦: ٣٩

إذا كنت تريد أن تكتشف كنز قلبك، انظر إلى جدول أعمالك ودفتر شيكاتك أو مصاريفك الشخصية. إن الطريقة التي تنفق بها مالك ووقتك تقول الكثير عن علاقتك بالله. كما أنها تقول الكثير عن الطريقة التي تتعامل بها مع الآخرين. تتحدث رسالة أفسس في الأصحاحين الرابع والخامس (أفسس ٤: ٢٨؛ ٥: ١٦) عن الوقت والمال. من المذهل أن بولس الرسول يُدخل هذا التعليم عن المال والوقت داخل تعليمه عن العلاقات. لقد فعل ذلك لأن الطريقة التي نتعامل بها مع ما نملك من المال ومع وقتنا لها تأثير كبير على علاقاتنا.

قبل أن ننظر عن كثب إلى هذا الجزء الكتابي، سيتوجب علينا أن ننظر إلى الصورة الكبيرة أولاً. فلن نتمكن من التفكير في أي شيء بشكل صحيح ما لم نرى الصورة الكبيرة. وبما أن الله كامل وهو الذي يملك أصل الصورة، يتعين علينا أن نبدأ معه.

أهم شيء عند الله هو مجده. الله إله غيور على سمعته بطريقة غير عادية، فهو له كل الحق ليأخذ المجد وحده وبصورة حصرية. الرب يريد أن تنتشر شهرته ومعرفته في أرجاء الكون كله. فهو يريد

أن يؤسس مملكته الكاملة المجيدة فوق وأعلى وأسمى من كل ممالك الأرض، كما أنه أرسل ابنه يسوع ليجلب ملكوته على الأرض. ولكن ما الذي يعطل الربّ عن أن يؤسس ملكوته الكامل وأن يضع قوانينه الملكية على الأرض، مادام هو ملتزم بهذا الأمر، وما دام هو الله الحقيقي؟ يمكنه ذلك، ولكن إذا فعل هذا الأمر سيتم القضاء على البشر جميعًا لأنهم خطاة. ولكنه اختار طريقًا أصعب، فقد أفرغ السماء من أعظم كنوزها ليخلصنا، حتى يكون لنا نصيبًا ومكانًا معه في مملكته وفي ملكوته عندما يأتي ليؤسسه مرة واحدة وإلى الأبد. لقد اختار الله (الآب، والابن، والروح القدس) أن يُكرم البشر بأن يوجِد لهم مكانًا في مملكته عن طريق تعامله مع الخطية التي فصلت البشرية كلها عن الله. لقد دفع الربّ كل كنزهِ الثمين، ابنه الوحيد يسوع، ليخلصنا من ذواتنا ومن طغيان الخطية. وهذا يدل على التزام الله الكامل بمجده، وعزمه على أن يُظهر مجده ويعلنه في كل مملكته، وخطته في جعلنا جزءًا حيويًا من هذا الترتيب الإلهي. ما مدى أهمية سمعة الربّ ومجده بالنسبة لك؟ يمكن أن نعرف الإجابة على هذا السؤال، بصورة جزئية، من الطريقة التي تستثمر بها وقتك ومالك. ليس من الصعب أن يكون لك هذا الاتجاه، ولكنه لا يأتي من تلقاء نفسه.

## المال والناس

تعتبر رسالة أفسس الأصحاح الرابع، كما ذكرنا من قبل، جزءًا من مناقشة على نطاق واسع حول العلاقات.

لَذَلِكَ اٰخُلَعُوا عَنْكُمْ الْكُذِبَ، وَتَكَلَّمُوا بِالصِّدْقِ كُلِّ وَاحِدٍ  
مَعَ قَرِيبِهِ، لِأَنَّ أَعْضَاءَ بَعْضِنَا لِبَعْضٍ. إِنْ غَضِبْتُمْ،  
فَلَا تُخْطِئُوا؛ لَا تَدْعُوا الشَّمْسَ تَغِيبُ وَأَنْتُمْ غَاضِبُونَ،  
وَلَا تُتِيحُوا فُرْصَةً لِإِبْلِيسَ! وَمَنْ كَانَ سَارِقًا، فَلَا يَسْرِقْ  
فِي مَا بَعْدُ، بَلْ بِالْأُخْرَى لِيَكِدَّ وَيَسْتَعْدِمَ يَدِيهِ فِي عَمَلٍ  
شَرِيفٍ لِيَكُونَ عِنْدَهُ مَا يُشَارِكُ (يعطي) فِيهِ الْمُحْتَاجِينَ.

لَا تَخْرُجْ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ كَلِمَةً فَاسِدَةً، بَلِ الْكَلَامُ الصَّالِحُ  
لِلْبُنْيَانِ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَّةُ، كَيْ يُعْطِيَ السَّامِعِينَ  
نِعْمَةً. وَلَا تُحْزِنُوا رُوحَ اللَّهِ، الرُّوحَ الْقُدُسَ الَّذِي بِهِ  
خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الْفِدَاءِ. انْزِعُوا عَنْكُمْ كُلَّ حَفْدٍ وَنِقْمَةٍ وَعَظَبٍ  
وَصَخَبٍ وَسَبَابٍ وَكُلِّ شَرٍّ. وَكُونُوا لَطْفَاءً بِعَضُكُمْ نَحْوَ  
بَعْضٍ، شَفُوقِينَ، مُسَامِحِينَ بِعَضُكُمْ بَعْضًا كَمَا سَامَحَكُمْ  
اللَّهُ فِي الْمَسِيحِ. (أفسس ٤: ٢٥-٣٢ ترجمة كتاب الحياة)

لماذا يُدرج بولس الرسول هذا الجزء الذي يتحدث عن العطاء  
داخل مناقشة تدور حول العلاقات؟ يدور هذا الجزء الكتابي حول  
أن نكون «أعضاء جسد واحد» كما جاء في عدد ٢٥، ويتبع  
هذا الجزء مجموعة من التطبيقات العملية التي تجعلنا نرى علاقاتنا  
بشكل صحيح ونضعها في المقدمة.

يطرح بولس هذا السؤال، «كيف يمكنك أن تعرف إن كنت تحب  
الناس أم لا؟» طريقة أخرى نفكر فيها في العدد ٢٨ هو أن نسأل  
«متى نتوقف عن أن ندعو السارق، سارقاً؟» هل عندما يتوقف

عن السرقة؟ هل عندما يحصل على وظيفة؟ لا بل بولس يقول أن اللص لا يُدعى لصاً إلا عندما يتوقف عن السرقة، ويحصل على وظيفة، ويبدأ في أن يعطي الآخرين. فهذه مجرد طريقة جديدة ووسيلة أخرى لممارسة الوصية الثامنة: «لا تسرق». هناك جانبان لمثل هذه الوصية، جانب سلبي وآخر إيجابي: فالسلبي هو التوقف عن عمل شيء والإيجابي هو عمل شيء جديد. هذا هو ما يتحدث عنه الرسول بولس في رسائله ويدعوه «الخلع» و «اللبس». يقول الرسول بولس أننا لن نظهر محبتنا للآخرين بأموالنا ما لم نعطي لهم لنساعدهم بها! من الجيد أن نتوقف عن السرقة. من الجيد أن نحصل على وظيفة. لكن ما لم يعط السارق الآخرين من أمواله ليساعدهم، سيظل يُدعى سارقاً.

انظر إلى علاقتك بالمال. ما الذي تفهمه عن علاقتك بالله من علاقتك بالمال؟ هل ترى أن الربّ هو من يسدّد كل احتياجاتك؟ هل هو الشخص الذي تلجأ له لتحصل على الأمان؟ ما الذي تقوله استثماراتك عن الطريقة التي تفكر فيها عن نفسك والآخرين؟ يمكن أن يكون التخطيط المالي الجيد درب من دروب الحكمة، لنستخدمه لنعتني بالآخرين في المستقبل. ولكن ما الذي تستثمر فيه في الوقت الحالي، بالإضافة إلى أمورك ومنصبك ومكانتك واحتياجاتك وكل ما يخصك؟ هل هناك أي دليل على أنك تستثمر أموالك في الأشياء التي تهتم الربّ؟ أم أنك تبني مبنى أوسع ليخدم أغراضك الخاصة فقط؟

## زيادة الثروات، ونقصان العطاء

لنناقش هذه القضايا في إطار السياق الاجتماعي والتاريخي الذي نعيش فيه (الحديث للكاتب عن وطنه أمريكا)<sup>١</sup>. فإن المواطن الأميركي العادي اليوم، يكسب أربعة أضعاف متوسط مكسب المواطن الأميركي العادي في عام ١٩٢١ بعد تعديل الضرائب والإصلاح الاقتصادي. لقد تضاعف دخل الفرد منذ نهاية عام ١٩٥٠. إن مواطن الطبقة المتوسطة يعيش اليوم حياة مديري البنوك الأغنياء من أجدادنا. فنحن نملك الكثير من الملابس وبيوتاً أوسع، ونحن نتناول أفضل أنواع الطعام بصورة منتظمة. لقد منح الربّ الأمريكيين بركات كثيرة، كما أنهم من أكثر الناس عطاء مقارنة بمواطني البلاد الأخرى. ولكن وفقاً للمعايير الكتابية، فنحن كأمرئكان لسنا أسخياء على الإطلاق. على مدى السنوات العشرين الماضية، لقد قدم حوالي ٧٠٪ من المواطنين الأمريكيين، حوالي ١ أو ٢٪ فقط من دخلهم للأعمال الخيرية. و ٣٠٪ لم يعطوا شيئاً على الإطلاق! والناس الذين يُعلنون إيمانهم بالمسيح لا يختلفون كثيراً عن العامة من الناس، فهم لا يقدمون أكثر من ٣-٤٪ من دخلهم السنوي. بالإحصائيات، نجد أن الأميركيين يميلون لأن يكونوا بخلاء، على الرغم من أن كم المال والعطايا المقدمة قد تبدو كثيرة وتوحي بالسخاء.

هل هناك أي دليل على أنك تستثمر  
أموالك في الأمور والأشياء التي تهم الرب؟

## علامات الكرم

كيف يمكنك معرفة ما إذا كنت شخصًا سخيًا، أم لا؟ عندما تصل إلى هذا السؤال، الذي يعد من أكثر وأهم سمات النضج المسيحي ومؤشراته، لا يتركك الكتاب المقدس دون إجابة. يقول كل من العهدين القديم والجديد أنك تكون سخيًا عندما تستثمر على الأقل ١٠٪ من دخلك في أمور الله وامتداد ملكوته. عندما يكون لك قلب الله ومشاعره تجاه الضالين ومن يعانون في هذا العالم، ستقدم حتمًا أقصى ما يمكنك للفقراء وللآخرين. وسيظهر هذا العطاء في عدة أشكال، ولكن من أفضل الطرق هو التقدمات للكنيسة المحلية لأن هذا غالبًا ما سيسمح لك بالمشاركة في العديد من الخدمات، والبرامج، والأنشطة، وهذا سيساعدك على تدعيم عمل الرب.

لقد وضع العهد القديم أساسًا للعطاء، كبدائية، بتقديم العشور للكهنة. ولم يبلغ يسوع، في العهد الجديد، دعوة تقديم العشور. ولكنه وضع على هذا الأساس، ما يكمله من دعوة إلى نمط حياة جذري فيه نهتم بالآخرين معطين ومقدمين من أموالنا. ففي لوقا ١١: ٤٢ يقول يسوع للفريسيين، «وَلَكِنْ وَيْلَ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّونَ! لِأَنَّكُمْ تَعْشَرُونَ النَّعْنَعَ وَالسَّدَابَ وَكُلَّ بَقْلٍ، وَتَتَجَاوَزُونَ عَنِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةِ اللَّهِ. كَانَ يُبْغِي

أَنْ تَعْمَلُوا هَذِهِ وَلَا تَتْرَكُوا تِلْكَ.» لاحظ أن يسوع يقول أننا علينا على الأقل أن نقدم العشور، وهذا أقل ما يجب، فضلاً عن ممارسة العدالة مع المحتاجين إليها! وبسبب النعمة التي نلناها من يسوع، والتي تساعدنا على الحياة بصورة جذرية، سنتمكن من الحياة بالصورة الراديكالية التي تتعامل بسخاء مع الآخرين. ونجد فيما يلي طرقاً عديدة تساعدنا على أن نختبر مدى عطاءنا. كورنثوس الثانية ٨: ١-١٥ هي صورة رائعة عن الكرم في الإنجيل.

ثُمَّ نَعْرِفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ نِعْمَةً اللَّهِ الْمُعْطَاةَ فِي كَنَائِسِ مَكِدُونِيَّةَ، أَنَّهُ فِي اخْتِبَارِ ضَيْقَةٍ شَدِيدَةٍ (مما وصل بهم إلى أقصى حد احتمال) (لقد أخرجت التجارب حقيقتهم الداخلية: إذ) فَاضَ وَفُورَ فَرَحِهِمْ (بالرغم من) وَفَقْرِهِمِ العَمِيقِ (إلا أن هذا الضغط أخرج من داخلهم شيء مختلف غير متوقع وهو:) لِعَنَى سَخَائِهِمْ، لِأَنَّهُمْ أَعْطَوْا حَسَبَ الطَّاقَةِ، أَنَا أَشْهَدُ، وَفَوْقَ الطَّاقَةِ، (لقد قدموا كل ما استطاعوا) مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، مُلْتَمِسِينَ مِنَّا، بِطَلْبَةٍ كَثِيرَةٍ، أَنْ نَقْبَلَ النِّعْمَةَ وَشَرَكَةَ الخِدْمَةِ الَّتِي لِلْقِدِّيسِينَ.

(كل هذا كان من فكرهم الخاص، من تلقاء ذواتهم فنحن لسنا المسؤولين عن اختيارهم) وَلَيْسَ كَمَا رَجَوْنَا، بَلْ أَعْطَوْا أَنْفُسَهُمْ أَوَّلًا لِلرَّبِّ، وَلَنَا، بِمَشِيئَةِ اللَّهِ. (فهذه العطايا كانت تنبع من عمل الرب في حياتهم) حَتَّى إِنَّا طَلَبْنَا مِنْ تَيْطُسَ أَنَّهُ كَمَا سَبَقَ فَأَبْتَدَأَ، كَذَلِكَ يَتِمُّ

لَكُمْ هَذِهِ النِّعْمَةُ أَيْضًا. لَكِنَّ كَمَا تَزْدَادُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ: فِي الْإِيمَانِ (فَأَنْتُمْ تَتَّقُونَ وَتَتَكَلَّمُونَ عَلَى الرَّبِّ) وَالْكَلامِ وَالْعِلْمِ (وَأَنْتُمْ مُتَقَفُونَ وَمُتَعَلِّمُونَ) وَكُلَّ اجْتِهَادٍ وَمَحَبَّتِكُمْ لَنَا، لِيَتَّكُمُ تَزْدَادُونَ فِي هَذِهِ النِّعْمَةِ أَيْضًا (وَالآنَ اجْتَهِدُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ أَيْضًا).

لَسْتُ أَقُولُ عَلَى سَبِيلِ الْأَمْرِ، (لَسْتُ أُمِرُّكُمْ عَلَى عَكْسِ رَغْبَتِكُمْ) بَلْ بِاجْتِهَادِ آخَرِينَ، (وَلَكِنِّي أَحْضَرُ أَمَامَكُمْ مَا فَعَلَهُ شَعْبُ كَنِيسَةِ مَقْدُونِيَّةِ) لِمُخْتَبِرًا إِخْلَاصَ مَحَبَّتِكُمْ أَيْضًا (كَمَحْفَظٍ لَكُمْ لِيَكُونَ دَافِعٌ لِلْمَحَبَّةِ). فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمْ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَعْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ (فَفِي لِحْظَةٍ وَاحِدَةٍ افْتَقَرَ لِنَّالُوا أَنْتُمْ الْغِنَى).

أَعْطِي رَأْيًا فِي هَذَا أَيْضًا، (أَفْضَلُ مَا يُمْكِنُكُمْ فَعْلُهُ هُوَ) لِأَنَّ هَذَا يَنْفَعُكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ سَبَقْتُمْ فَأَبْتَدَأْتُمْ مِنْذُ الْعَامِ الْمَاضِي، لَيْسَ أَنْ تَفْعَلُوا فَقَطْ بَلْ أَنْ تُرِيدُوا أَيْضًا (أَنْ تَتَمُوا مَا قَدْ بَدَأَ فِي الْعَامِ الْمَاضِي وَلَا تَتْرَكُوا هَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَسَنَةَ، فَإِنْ قَلْبِكُمْ فِي الْمَكَانِ الصَّحِيحِ، وَأَنْتُمْ تَقْدِرُونَ عَلَى الْعَطَاءِ). وَلَكِنْ الْآنَ تَمِّمُوا الْعَمَلَ أَيْضًا، حَتَّى إِنَّهُ كَمَا أَنَّ النَّشَاطَ لِإِلْرَادَةِ (فَإِنَّ الْقَلْبَ هُوَ الَّذِي يَحْكُمُ الْأَفْعَالَ)، كَذَلِكَ يَكُونُ التَّتْمِيمُ أَيْضًا حَسَبَ مَا لَكُمْ. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ النَّشَاطُ مَوْجُودًا فَهُوَ مَقْبُولٌ

عَلَى حَسَبِ مَا لِلإِنْسَانِ، لَا عَلَى حَسَبِ مَا لَيْسَ لَهُ.  
 إِنَّهُ لَيْسَ لِكَيْ يَكُونَ لِلآخِرِينَ رَاحَةً وَلَكُمْ ضَيْقٌ،  
 بَلْ بِحَسَبِ الْمُسَاوَاةِ (لتتحدوا كتفًا بكتف مع إخوانكم  
 اللذين هم في احتياج). لِكَيْ تَكُونَ فِي هَذَا الْوَقْتِ فُضَّالَتُكُمْ  
 لِإِعْوَاذِهِمْ، كَيْ تَصِيرَ فُضَّالَتُهُمْ لِإِعْوَاذِكُمْ، حَتَّى تَحْصَلَ  
 الْمُسَاوَاةُ.

كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «الَّذِي جَمَعَ كَثِيرًا لَمْ يُفْضِلْ،  
 وَالَّذِي جَمَعَ قَلِيلًا لَمْ يُنْقِصْ».<sup>٢</sup>

## أول مقارنة: هي المقارنة مع عطاء شعب كنيسة مقدونية.

يقدم هذا الجزء الكتابي مثالاً حقيقياً عن الكرم في ملكوت الله.  
 لننظر لما فعله شعب كنيسة مقدونية ولنقارن علاقتهم بالمال  
 مع علاقتنا نحن بالمال.

• لقد شجع عطائهم على الوحدة

لقد كانت مقدونية من الأمم وشعبها ليسوا من شعب إسرائيل،  
 ولكنهم يدينون بمسيحيتهم للمؤمنين اليهود. وكشف عطائهم  
 هذا الاتجاه الذي في قلبهم. يقول بولس في رسالة رومية ١٥: ٢٥-٢٧

وَلَكِنِ الْآنَ أَنَا ذَاهِبٌ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِأَخْدِمَ الْقَدِيسِينَ،  
لَأَنَّ أَهْلَ مَكْدُونِيَّةَ (من الشمال) وَأَخَانِيَّةَ (حتى أقصى  
الجنوب) اسْتَحْسَنُوا أَنْ يَصْنَعُوا تَوْزِيعًا لِفُقَرَاءِ الْقَدِيسِينَ  
الَّذِينَ فِي أُورُشَلِيمَ. اسْتَحْسَنُوا ذَلِكَ (وقدموه فرحين)،  
وَأِنَّهُمْ لَهُمْ مَدْيُونُونَ (ولكنه كان واجب عليهم)!  
لَأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْأَمَمُ قَدْ اسْتَرَكُوا فِي رُوحِيَّاتِهِمْ،  
(لأنهم عرفوا الرب من اورشليم، لذلك كان من الواجب  
أن يزيلوا عن إخوتهم آلام الفقر) يَجِبُ عَلَيْهِمْ  
أَنْ يَخْدِمُوهُمْ فِي الْجَسَدِيَّاتِ أَيْضًا.<sup>٣</sup>

هنا نجد تعبير ملموس وواضح عن الوحدة بين اليهود والمسيحيين  
الأمميين. وهذا أمر ملحوظ، مع العلم بوجود شرخ عميق  
في هذا الوقت بين اليهود وغير اليهود من الأمميين حتى في الأيام  
الأولى من القرن الأول للكنيسة. نحن نعبر عن ما نختبره من النعمة  
الشفافية والمصالحة في كل مرة نختار فيها أن نسكب جميع مواردنا  
لخدمة مقاصد ملكوت الله.

• عطائهم هو عمل فوق طبيعي للروح القدس

بالعودة إلى الحديث عن كورنثوس الثانية ٨، نجد في العدد ١ يقول  
الرسول بولس أن عطاءهم علامة على عمل الله في حياتهم. لا يحدث  
هذا النوع من العطاء بشكل طبيعي. فإن عبادة الرب الإله الحي  
والإتحاد به أنتجت هذا العطاء الذي كان مفاجئاً للجميع.

## • عطائهم أمر مذهل يدهش الجميع

على عكس طرق العالم في العطاء، أعطي أهل مقدونية. فلم يعطوا من وفرة، ولكن من إعوازهم. وفي وسط فقرهم وإعوازهم والاضطهاد الواقع عليهم، أظهروا فرحًا عجيبيًا وكرم شديد. يا له من اختلاف مدهل. فإن الشخص العادي يعطي عندما يكون لديه وفرة يدعم بها أسلوب حياته الذي اختاره لنفسه. ولكن شعب مقدونية قدموا في سياق افتقارهم للموارد ووسط احتياج شديد. تشير الإحصاءات إلى أن أولئك الذين يتقاضون \$١٠,٠٠٠ أو أقل يميلون إلى تقديم ٥,٥ ٪ من دخلهم، في حين أن أولئك الذين يتقاضون \$ ١٠٠,٠٠٠ أو أكثر يقدمون ٢,٩ ٪ فقط من دخلهم عشورًا. نقص الموارد لا يعوق الكرم، وهو ليس مقصورًا على الأثرياء فقط.

---

نقص الموارد لا يعوق الكرم،  
والكرم ليس امتيازًا مقصورًا على الأثرياء فقط.

---

## • كان عطائهم ذبيحة

كورنثوس الثانية ٨ : ٣ «لأنَّهم أعطوا حسبَ الطَّاقةِ، أنا أشهدُ، وَفَوْقَ الطَّاقةِ، مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ.» هنا نرى شعب مقدونية يقدم أكثر من ما في استطاعته، فهم يصعبون الأمر عليهم جدًّا بعطاءهم المتزايد. معظمنا لو وجد في نفس هذه الظروف سيقلل من عطاءه. لا ليس أهل مقدونية! يتحدى **John Piper** مفاهيمنا عن الثروة والشعور بالأمان

في العبارة التالية:

وهذا هو ما أقصده: إن حجم دخلنا المتزايد والذي قد يصل إلى ٧٠,٠٠٠ \$ لا يعني أن نفقاتنا وأسلوب حياتنا لابد أن يكون في إطار هذه الـ ٧٠,٠٠٠ \$. فإن الله يدعونا إلى أن نكون قنوات يوصل بها نعمته، وليس برغماً منغلقة، أو بحر ميت أو طريق مسدود. إن أكبر أخطار يومنا هذا هو أن نفكر أن أسلوب حياتنا يجب أن يرتبط بمقدار الذهب. ليس فقط لا تكون كذلك. يكفي أن يكون أسلوب حياتنا نحاسياً. فبغض النظر عن مدى امتناننا للرب ولبركاته أيّاً كانت، كثيرة أو قليلة، لن يجعل، غنانا وفخامة عطايانا والذهب الذي نملكه ونقدمه، العالم يعتقد أن إلهاً صالحاً؛ بل قد يعتقدون أن إلهاً هو الذهب. ولا يقدم هذا النوع من العطاء أي فخر أو كرامة تليق بالرب؛

لقد دعت مصلحة الضرائب صديق لي لحضور محاضرات يقدمونها في هيئة IRS، لأنهم اعتقدوا أن هناك شيئاً غير عادي في كم المبالغ التي كان يقدمها للهيئات الاجتماعية في العام الواحد. كم منا يجعل الناس يندهشون ويفغرون أفواههم عندما يروا مدى عطائنا؟

٤ من كتاب لنقرح الأمم، لـ John Piper

٥ مصلحة الضرائب والإيرادات الأمريكية الداخلية. (إضافة المترجم)

• كان عطائهم ينبوع من داخلهم بصورة عفوية

تخبرنا الأعداد ٤-٥ من كورنثوس الثانية ٨ تخبرنا بأنهم كانوا «مُلْتَمِسِينَ مَنًا، بِطَبْئَةٍ كَثِيرَةٍ، أَنْ تُقْبَلَ النِّعْمَةُ وَشَرَكَةَ الخِدْمَةِ الَّتِي لِلْقُدِّيسِينَ. وَلَيْسَ كَمَا رَجَوْنَا، بَلْ أَعْطَوْا أَنْفُسَهُمْ أَوَّلًا لِلرَّبِّ، وَلَنَا، بِمَشِيئَةِ اللَّهِ.» هل تصدق ذلك؟ نجد هنا جماعة من الأمميّين الذين يعانون من الفقر، يتوسلون من أجل، أن يحصلوا على فرصة يقدموا فيها لإخوتهم، من اليهود الذين يسيئون معاملتهم، ما يسدّد احتياجهم. هل تلاحظ أن فعل «التوسل» هنا ليس صادرًا من بولس! فبولس الرسول لم يحتاج إلى أن يجبرهم على طاعته أو يُشعر ضمائرهم بالذنب. هل تتوسل من أجل أن تقدم مصادر تسدّد احتياج أحدهم؟ هل تعمل بحماس لتجد وسائل تبارك بها الآخرين؟ تلك هي سمات الكرم الحقيقي.

هل تعمل بحماس لتجد وسائل  
تبارك بها الآخرين؟  
تلك هي سمات الكرم الحقيقي.

• كان عطائهم فعل خضوع

هل كانوا يخضعون لبولس، لأنه الرسول العظيم، أم هل كانوا يقدمون ما يساعده على تتميم دعوته ورؤيته؟ لا، لا هذا ولا ذاك؛ فهم أولاً كانوا خاضعين للرّب، وثانيًا أخضعوا إمكانياتهم لخدمة

إخوتهم وأخواتهم في المسيح في أورشليم. فالعدد ٥ يقول أن تقدماتهم كانت بناءً على علاقتهم بالله وعلى تضامنهم مع عائلتهم الروحية.

• كان عطاؤهم مقياسًا روحياً للآخرين

في العدد ١٢ يقول بولس، «لأنَّهُ إِنْ كَانَ النَّشَاطُ مَوْجُودًا فَهُوَ مَقْبُولٌ عَلَى حَسَبِ مَا لِلإِنْسَانِ» وبعبارة أخرى، أن اتجاه القلب هو الذي يوجه اليدين للعطاء، فبذلك كان سلوكهم مؤشراً على ما كان يدور في نفوسهم، وكان عطائهم دليلاً على مدى عمل نعمة المسيح في حياتهم. ماذا يقول دفتر شيكاتك عن نعمة المسيح العاملة في حياتك؟ إلى أي درجة تحول قلبك إلى العطاء بهذه الطريقة، تعبيراً عن فيض الحياة فيه؟

## المقارنة الثانية: عطاء يسوع

يربط بولس الرسول، بين هذا العطاء الجذري الذي قدمه أهل مقدونية، وبين العطية الغنية التي نالوها في المسيح. فإن كرمهم ليس سوى انعكاس خافت لكرم يسوع العجيب. ويذكرهم بولس الرسول بهذا العمل عندما قال «فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمْ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَعْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ.» (في عدد ٩). لم يكن دافعهم أخلاقي، ولم يحركهم خضوعهم لشريعة تقديم العشور، بل نبع هذا العطاء من رغبة داخلية عميقة، لإظهار امتنانهم، للنعمة الغنية التي امتكوها، بسبب رغبة يسوع السابقة في تقديم كل ما يملكه لهم.

فكر في حالتك قبل أن تؤمن. لقد كنت فقيرًا، ومنفصل عن الله، ومدعاة لغضبه، وعبداً للخطية، ومديون، ومحكوم عليك بالموت الأبدي. ولكن في المسيح، تبدلت حالتك، فقد تمت مصالحتك على الله، وأصبحت سبب إعجابه وحبه، ومُستقبل لكل عمله الكفاري الذي قدّمه على الصليب، وهيكلاً لسكنى لروح القدس، وغني جداً! إن وضعت ثقتك في هذه الحقيقة، ستصبح كريماً. ولأنك المستفيد من كل الثروات الإلهية التي لك في المسيح، ستكون على أتم استعداد أن تقاسمها مع الآخرين، ليس بسبب الوفرة التي لديك، مقدماً ما يفيض عن حاجتك، بل قد يكون عليك أن تضحي بكل ما تملك.

والآن انظر إلى علاقتك بالمال. ماذا تقول لك هذه العلاقة عن علاقتك بالله؟ وما هي الأشياء التي تهتك، والتي تكشفها هذه العلاقة؟ كيف يؤثر عليك سعيك لبناء «مملكتك» الخاصة من راحتك، ومتعتك، وشعورك بالأمان ووضعك الاجتماعي؟ إلى أي مدى يحرك حياتك سعيك نحو بنيان ملكوت الله؟ تعتبر أموالنا من أكثر الأمور الشخصية في حياتنا، لذلك لن يخفف من قبضتنا للإمساك بها، إلا علاقتنا الشخصية مع يسوع فادي نفوسنا.

## الوقت والناس

بغض النظر عن أوقات النوم، كيف تقضي يومك؟ لأننا يمكننا من خلال نافذة المال والوقت أن نفهم شكل حياتك وحقيقة روحك. لأنهما يكشفان عن مدى التغيير الذي أجراه نعمة يسوع في حياتك.

الوقت هو إمكانية ومورد يعطيه الربّ لنا جميعًا بمقدار متساوي. فماذا يقول استخدامك لوقتك عن اتجاه قلبك، وعلاقتك بالربّ وبالآخرين؟ يقول الرسول بولس في رسالته إلى أفسس ٥: ١٥-٢١

فَانظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّذْقِيقِ، لَا كَجُهْلَاءَ بَنِ كَحْكَمَاءَ،  
مُفْتَدِينَ الوَقْتِ لِأَنَّ الأَيَّامَ شَرِّيرَةٌ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَا تَكُونُوا  
أَغْيَاءَ بَنِ فَاهِمِينَ مَا هِيَ مَشِيئَةُ الرَّبِّ. وَلَا تَسْكُرُوا  
بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلَاعَةُ، بَلِ امْتَلِنُوا بِالرُّوحِ، مُكَلِّمِينَ  
بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِي رُوحِيَّةٍ،  
مُتَرَنِّمِينَ وَمُرْتَلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ. سَاكِرِينَ كُلَّ حِينٍ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي اسْمِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِلَّهِ وَالْآبِ.  
خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي خَوْفِ اللَّهِ.

يربط بولس الرسول بين رسالته إلى أفسس ٤: ٢٨ وبين تعليقاته عن الوقت وعن كيفية إنفاقه في علاقاتنا مع المؤمنين الآخرين ومع العالم الخارجي. فيقول: «مُفْتَدِينَ الوَقْتِ لِأَنَّ الأَيَّامَ شَرِّيرَةٌ» (أفسس ٥: ١٦). وتقول ترجمة أخرى، «وَأَعْتَمُوا الفُرْصَةَ السَّانِحَةَ، لِأَنَّ هَذِهِ الأَيَّامَ شَرٌّ كُلُّهَا.» وما معني هذا؟

الدعوة إلى «افتداء واغتنام الوقت» تشبه دعوة «انتهاز اليوم» و«Carpe diem»<sup>٦</sup>. وقد نترجم الآية بصورة أكثر حرفية فنقول «اشتر الوقت». الأصل اليوناني لكلمة «الوقت» المستخدمة في النص

٦ و هي دعوة من أصل لاتيني هي في الحقيقة مقطع من قصيدة لاتينية لهوراس تعني لا تفكر كثيرًا في المستقبل. (إضافة المترجم)

الكتابي ليست Chronos أي كرونوس، والتي تشير إلى الزمن العادي، من الساعات، والشهور والسنوات. ولكن النص استخدم كلمة Kairos أي كايروس بدلاً من ذلك، وهذه الكلمة تستخدم في الكتاب المقدس لتشير إلى الفترة بين مجيء يسوع الأول والثاني. وهو وقت فريد من نوعه وفرصة لا يمكن أن تعوض لنظهر يسوع ونعمته للآخرين. سيأتي يوم تنتهي فيه هذه الفرصة عندما يعود المسيح في سلطانه ومجده. وبعد هذا الفهم يمكننا أن نفسر هذا العدد بهذه الصورة «بينما تقضي حياتك في هذه الفترة بين المجيء الأول والثاني استخدم وقتك، أقصى استخدام لتظهر للناس نعمة المسيح.» كيف نفهم ما يطلبه منا الحق الكتابي في ضوء هذه المعلومة الجديدة؟

١- النص الكتابي لا يدعونا إلى التعامل بصورة غريبة

لا يحدثنا هذا المقطع على عدم التحرك بحكمة، وعلى ملء جدول حياتنا بالأحداث الكنسية والالتزام باللقاء مع الكثيرين دون الالتفات للأمور الشخصية ولا يطلب منك أن تحول لحظات العلاقات العادية إلى لحظات شهادة للآخرين بصورة مثيرة للتعجب. ففي الحقيقة مثل هذه التصرفات قد تمنعك من أن تحيا بصورة طبيعية ناضجة. عندما نستخدم وقتنا بحكمة سيتوفر لدينا فرص مناسبة للكراسة، مثل رحلات تبشيرية، تدريس للأطفال في فصل مدرسة الأحد، أو العمل في حضانة، ولكن الدعوة هنا ليست دعوة إلى أنشطة معينة، بقدر ما هي دعوة إلى أسلوب حياة ملتزم نحو تحقيق أهداف الرب

تشتمل على كل تفاصيل الحياة العادية اليومية.

٢- هذا يعني أن نرى حياتنا في ضوء الدعوات المختلفة التي دعانا الربّ لتحقيقها

يقول هذا الجزء «استفد الاستفادة القصوى من كل شيء أعطاه الربّ لك ووضعك الربّ فيه» هل أنت أعزب، متزوج، متقاعد، هل أنت أم، هل أنت طفل، صديق لشخص ما، صاحب عمل ومدير، موظف، طالب، أو جدّ؟ هذه كلها نداءات ومواسم حياتية نمر بها جميعاً ومدعون لتنتميم متطلباتها، وعليك أن تراها على أنها فرص لنُظهر للآخرين نعمة المسيح. إننا نميل إلى أن نحيا بعقلية نسعى فيها نحو «الهروب من الموسم الذي نعيش فيه». فنحن نقول لأنفسنا، لو فقط تمكنت من أن أنتهي من هذا الموسم المزدحم، سأكون على ما يرام. ويعتبر هذا اتجاه غير بار في التفكير بشأن مسؤولياتنا الحالية والفرص التي يعطيها الربّ لنا. أنا أيضا أميل بصورة طبيعية لأن أفكر بهذه الطريقة من جهة مسؤوليتي مع الأبوّة: لو فقط تخطينا مرحلة الحفاضات هذه... وبعدها تخطى أطفالي عمر استخدام الحفاضات، أصبحت أقول: لو فقط تخطينا هذه المرحلة العمرية وهذه السنوات الأولى من المدرسة الابتدائية، سأتمكن من خدمة الآخرين بصورة أفضل. ولو لم أكن حذرًا، لسوف أظل طيلة حياتي أتمنى أمنيات بعيدة عن واقع حياتي، وسأفقد الكثير من الفرص لخدمة ومحبة أولادي. فكل هذه تعتبر فرص ضائعة الربّ يعطيها لنا لنموت

عن ذواتنا ولننمو في النعمة. فالرب لا يريدنا أن نرى صراعاتنا اليومية على إنها عوائق ضد الاستخدام الإلهي، بل نراها على إنها فرص افتدائية يستخدمها الرب ليجري بها تغييرات جذرية في حياتنا.

٣- هذا يعني أنك عليك أن تفتنم فرصة حياتك الصغيرة

هل تعلم أن خمسة وتسعين في المئة من حياتك تقضيها في الأمور الدنيوية؟ لنفترض على سبيل المثال، أن هناك مشكلة ما بين زوج وزوجته. هل سيتحركان نحو بعضهما البعض للمصالحة أم سيبقيان غاضبان؟ تعتبر لحظة تحركهما نحو بعضهم البعض لحظة افتدائية ضخمة! والآن فكر في الأمر بهذه الطريقة، كم فرصة افتدائية تفوتك كل يوم. تخيل لو قرر هذا الزوجان أن يفقدا الآلاف من هذه الفرص على مدار زواجهما، فبعد عشرين سنة، أين يذهب زواجهم؟ وفكر بدلاً من ذلك، فيما سيحدث لو استفادا من الفرصة التي تقدمها لهما هذه الأوقات. هل سترى أي فرق في علاقتهما؟

---

الرب يريدنا أن نرى لحظات الصراع التي نمر بها في حياتنا على أنها ليست عوائق، بل هي فرص افتدائية يستخدمها ليجري بها تغييرات جذرية في حياتنا.

---

٤- يجب أن نرى سياق هذه الأحداث

يقول الرسول بولس: «لأن الأيام شريرة.» فنحن نحيا في منطقة حرب دائرة مستمرة. فأنت تستيقظ كل يوم وترفع رأسك لتبدأ يومك وسط معركة دائرة تدور حول روحك وحياتك وأبديتك وصدقاتك وزواجك. لا يمكنك أن تضيع كل هذه اللحظات والفرص. فإنك يسهل عليك أن تكسب هذه المعركة الدائرة من خلال انتصاراتك المتتالية في المناوشات الصغيرة التي تحدث على مدار حياتك. «استيقظ!» يقول الرسول بولس. «فأنت في حالة حرب.

## المال والوقت والناس

هل ترى الآن كيف يكشف كل من المال والوقت حالة قلبك وحالة علاقتك بالله وبالأخرين؟ وكيف تكشف لنا طريقتك في استخدام الوقت والمال في العلاقات الإنسانية الكثير عن علاقتك بالله. لقد أرسل الربّ ابنه لفداء الخليقة، لأنه ملتزم بتمجيد ذاته. ويأتي فداء البشرية على قمة قائمة كل ما ينوي الربّ أن يفنديه ويسترده ليعلن عن مجده. لقد سكب علينا الكثير من نعمه وموارده لكي نشارك في أعمال مملكته ولكي نحيا معه إلى الأبد عندما ينهي كل شيء.

هل تسير أولوية حياتك وفقاً لمشيئة الربّ؟ هل تستثمر كل ما لديك من موارد في أموره وأعماله وبنيان ملكوته؟ هل تشارك الآخرين بركات الربّ التي أعطاها لك، أم هل تحتفظ بها كلها لنفسك؟ إن دعوتنا هي أن نحب الله وأن نستخدم بركاته التي أعطاها لنا لنحب بها الآخرين. ولكن للأسف، غالباً ما نستخدم الآخرين لنحصل على الأشياء التي نحبها.

عندما تزوجت، فعلت مثلما فعل كل العرسان. فهم يرددون وراء الراعي العهود لزوجاتهم. فقلت أنني سأحب زوجتي كل أيام حياتي مضحياً بنفسى لأجلها. هل كنت أمزح عندما قلت هذا الكلام؟ مع من كنت أمزح؟ فعندما أنظر إلى ما فات من حياتي أكتشف مدى عدم فهمي في ذلك اليوم وعدم إدراكي لما كنت أعد به زوجتي. فقد كان كل ما يدور في فكري حينها، هو مدى عظمة هذا الحدث! فأنا احب نفسي والآن لدي آخر «أنت» ليحبني أيضاً! فقد كانت محبتي الحقيقية ضحلة. ولم يتطلب الأمر سوى بضعة أيام من الزواج لأكتشف هذه الحقيقة! فإن خطة الرب كانت أن يستخدم زوجتي وأطفالي ليظهر لي مدى ضحالة محبتي، وليساعد محبتي على أن تدخل إلى عمق أبعده، في كل مرة أدرك فيها حاجتي للنمو. وهذه الخبرة وهذه المعرفة جعلتني أعتد كلية على الرب وعلى نعمته أكثر فأكثر.

لم يمر يوم من حياتي لم أتصارع فيه مع طريقتي في استخدام الوقت والمال مع عائلتي. بينما عائلتي هي أكثر من أحب! فأنا أعاني من، وأسعى جاهداً لكي، أجعل وقتي متاحاً لأبنائي، بينما أنا أريد أن أبقى دون إزعاج. وأنا أجد نفسي أهرب من مواجهة ابني، عندما يطلب مني أن أعطيه بضعة دولارات، ليخرج مع أصحابه. وهذه الأحداث اليومية تعمل كتذكار دائم يذكّرني بحالة قلبي ويكشف لي أنه لا يزال في حاجة إلى إجراء إصلاحات جذرية. الشيء الوحيد القادر على اختراق صلابة قلبي، هو عمل الفداء الكريم، الذي قدمه الله الأب، والابن والروح القدس، ليكفر به عني. يجب أن يبقى قلبي مغموراً في هذه النعمة لكي يتغير.

والآن لنفكر في شريحة لحم. لو كنت تريد أن تأكل شريحة اللحم وتشعر بمدى ذوبانها وتجدها لذيذة وطيبة وطرية، عليك أن تضعها في ماء وملح لفترة قبل أن تشويها. بالمثل لو أردنا أن نحب الآخرين بتقديم وقتنا وأموالنا، يجب أن يحدث نفس الشيء مع قلبنا. فإن قلوبنا جافة وممتلئة بالأجزاء الغضروفية التي يصعب التعامل معها كقطعة اللحم الجافة، والطريقة الوحيدة التي يمكننا بها أن نلين قلوبنا لتصبح صالحة للاستخدام ولذيذة وطيبة، هي أن ننقعها ونغمرها في نعمة الربّ الافتدائية التي قدمها المسيح. فهذه هي أكثر طريقة قوية قادرة على أن تخفف من حدة سيطرتنا على الأمور وعلى الوقت وعلى المال مما ينتج تغييرًا حقيقيًا. يقول الكتاب المقدس في رومية ٨: ٣٢، «الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَدَلَهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لَا يَهَبُّنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟» وهذا الجزء الكتابي يستحق التأمل. في الواقع، هذا هو الشيء الوحيد الذي سوف يُمكنك من أن تحيا بالطريقة التي تكلمنا عنها في هذا الفصل.

## الفصل الرابع عشر: التسديد الإلهي

«إِلَى مَتَى أَجْعَلُ هُمُومًا فِي نَفْسِي وَحُزْنًا فِي قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ؟

إِلَى مَتَى يَرْتَفِعُ عَدُوِّي عَلَيَّ؟» مزمو ١٣ : ٢

براين و كارلا زوجان منذ ثماني سنوات. لكنهما ظلا يواجهان الكثير من المشاكل. نشأ كلاهما على حد سواء في أسرة متميزة ونال كل منهما قسطاً كبيراً من بركات الحياة. لذلك توقع آباء كل منهما، لهما المستقبل الباهر وقدم والدا كل منهما كل ما في وسعهما وكل ما يعتقدان أنه أساسي للنجاح. وكان من المتوقع لكل من براين و كارلا وكل أشقائهم أن يستفيدوا من كل هذه الفرص وأن يستخدموها لتحقيق التميز.

لكن ردة فعل براين و كارلا تجاه من ربوهما كان مختلفاً تماماً عن توقعات أهلهم. إذ أن براين كان يشعر دائماً بسبب أنه الأصغر، وأن هناك فارقاً زمنياً كبيراً بينه وبين من سبقه من إخوته، أنه يعيش في ظلهم كمكمل لمسيرتهم دون أي كيان خاص له. كان شقيق براين جراحاً بارزاً في مستشفى تعليمي كبير، وكانت أخته محامية رفيعة المستوى في شركة من الشركات المميزة. وشعر بريان أن الجميع ينظر إليه بتوقعات متسائلة عن كيف يمكنه أن يقدم إنجازات مثل إنجازاتهم. وبدأت مشاكل براين تظهر في عامه الثالث من دراسته الجامعية. إذ أنه بعد عدة فصول دراسية متتالية من النتائج السيئة التي

تحمل درجات قريبة من السقوط – في دراسته التي تعده للدخول في مجال القانون والمحاماة، قرر أن يدرس الفلسفة. وكان هذا مخيباً بشدة لآمال أهله وتحدثوا معه كثيراً في هذا الأمر. بل إنهم دبّروا مكالمات من أخوه وأخته ودفعوهما ليبيديا «فلقهما» من هذا الشأن ولتعزير الرسالة. ومن هنا بدأ صراع براين مع الاكتئاب.

من ناحية أخرى، كانت كارلا الأخت الأكبر من بين أربعة أشقاء. وكانت دائماً تتلقى التشجيع من والديها، ولم تعاني أبداً من المقارنة التي عانى منها براين. مثل هذه التنشئة جعلتها تؤمن بقدرتها على فعل أي شيء. انتهت كارلا من دراستها الجامعية ونالت شهادة البكالوريوس مع مرتبة الشرف، وتوجهت لتدرس المحاماة بصورة متخصصة وكانت من الأوائل.

بدا اللقاء الأول بين براين وكارلا وكأنه لقاء مثالي، وأنهما مكملان جداً لبعضهما. لقد انجذبت كارلا إلى طريقة براين المفكرة والمتأمل، وإلى شخصيته الحساسة. لقد كان بمثابة ملاذها ومكان راحتها من تعب ومن ضغوط اهتماماتها وإنجازاتها المتوالية. بينما لفتت كارلا نظر براين لأنها تشبه عائلته في نواح كثيرة، وكان مؤكداً أن أهله سيحبونها ويوافقوا على زواجه منها. وبسبب خبرات الطفولة المتشابهة بينهما تمكنا من التواصل بسهولة مع بعضهم البعض. كان التواصل بينهما سهلاً جداً، للدرجة التي حجت عنهم رؤية مدى الاختلاف الشديد بينهما.

لقد لعبت كل من حساسية براين وإنجازات كارلا دورًا كبيرًا في إنشاء العلاقة بينهما في بداية الأمر، لكن هذان العاملان في حد ذاتهما أصبحا في وقت لاحق الصدع الأساسي الذي يشكّل مركز كل مشاكلهم. لم تلحظ كارلا أن زوجها بريان قد تخلى عن حلم الإنجازات، التي هي تعزز به، حتى تزوجا. لم تتوقع أبدًا أن علاقتها ببرين ستتحدى كل ما هو هام بالنسبة لها سواء بصورة مهنية، أو ماديًا أو اجتماعيًا، أو حتى شخصيًا. ولم يدرك براين أن كارلا ستتوقع منه نفس الأشياء التي كان يتوقعها منه والديه. وكلما مرت سنوات زواجهما، كلما نمت العلاقة بينهما بشكل غير صحي. إذ أن براين دخل في حالة اكتئاب عميق بسبب إدراكه أنه لم يرتق إلى مستوى توقعات كارلا. بينما كانت ردة فعل كارلا نحو لامبالاة براين واكتنابه، هو دفعه باستمرار دون توقف على إنجاز شيء ما والشكوى المستمرة إذا فشل في إكمال مهامه البسيطة ومسئوليته داخل المنزل. ومع ذلك، كلما ازدادت محاولات كارلا المستمرة في السيطرة على براين، كلما ازداد انسحاب براين من الحياة ومن مهامه. فبدا الأمر كحلقة مفرغة محبطة لكل منهما.

تداعيات هذا الاختلاف كانت واضحة في العديد من المستويات. كان براين يحاول أن يبدأ العمل في وظيفته السادسة، فقد بدأ يُدرّس الفلسفة في كلية المجتمع المحلي.<sup>١</sup> في الوقت الذي بدأت فيه كارلا

١ وهي كلية لا نسمع عنها كثيرًا- تدعى TAFE وهي أحد المؤسسات التعليمية لتعليم الكبار في فصول مسائية وأثناء عطلات نهاية الأسبوع- وتقدم هذه المؤسسات دورات لتنمية الأفراد لتوهم لينتدموا لوظائف أفضل، وتدرس مواد مثل الفنون واللغات والتجارة وأسلوب الحياة، وهي تُقدّم كمنح حكومية ولا تهدف للربح (إضافة المترجم).

العمل من المنزل في مشروعها الجديد عبر الإنترنت مما يسمح لها بالبقاء في المنزل مع طفليهما. لم يساعد دخل الوظيفتان معاً على تلبية متطلبات نمط حياتهما المسرف الذي اعتادا عليه، وبسبب ضعف إمكانياتهما، كانا يخجلان من منزلهما، ويرفضان دعوة أسرهم لزيارتها لأن هذا يذكرهما بفشلهما. ولأن براين يحب الاختباء وتجنب الصدام بينما تحب كارلا المواجهة، كانت محادثاتهم مزعجة جداً وتنتهي سريعاً بشجار حتى عندما يتحدثان بشأن أمور صغيرة. لم يتفقا على مبادئ تربيتهما للأطفال ولهذا السبب عانت علاقتهما بأولادهما، بل وأيضاً تأثرت صداقاتهم في كنيستهم المحلية. على الرغم من محاولاتهم المستمرة للحفاظ على مظهرهم أمام المجتمع، إلا أن التوتر الحادث بينهما كان يثير تساؤلات الآخرين ويجعل التواجد معهما صعباً. وأخيراً، وبسبب اليأس الشديد، طلبت كارلا المساعدة. اكتئاب براين الشديد وصل به إلى درجة التلاشي والاختفاء من الحياة، بينما وصلت كارلا إلى ذروة قدرتها على الاحتمال. اتصلت كارلا بسيدة شاركت باختبارها قبلاً في كنيستهما المحلية واعتقدت أنها قد تفهم ما تمر به.

## الحياة كما تراها كارلا

تشكّل الطريقة التي ترى بها «الواقع»، الطريقة التي تعيشه بها. ينطبق هذا المبدأ على حالة كارلا. أدركت صديقة كارلا عند استماعها لشكواها ومشاكلها وإحباطاتها، أنه لا توجد حلول سريعة للتعامل مع مشاكلها. الجزء الأكبر من مشكلة كارلا هي حقيقة أنها ترى

كل شيء تمر به على أنه مشكلة، إذ يبدو أن عالمها عبارة عن كتلة من المشاكل المجتمعة معًا، لا شيء يسير على ما يرام. تشعر كارلا أنها وحيدة، ومنعزلة عن العالم لا يفهمها أحد، وغزى هذا الاعتقاد الزائف، تواجدها مع آخرين يُظهرون أن حياتهم بلا مشاكل.

## الدخول إلى عالم كارلا

بينما استمعت صديقة كارلا إليها، تأثرت بمعاناتها وتذكرت كل ما مرت به من خبرات مماثلة منذ عدة سنوات. لم يصعب على صديقة كارلا التعاطف معها ولم تقلل من حدة مشاكلها، على الرغم من أنها رأت أمورًا لم تستطع كارلا رؤيتها، وأدركت أشياء من حياتها ومعاناتها لم تدركها كارلا. أينما نظرت كانت صديقة كارلا ترى دلائل على وجود نعمة الرب العاملة التي تفتدي أشياء كثيرة في حياة كارلا. لقد رأت محبة كارلا الشديدة لزوجها ولأولادها، كما رأت تعضيد الرب الواضح وعنايته الفائقة بهم على الرغم من ضيق مواردهم المالية. بينما كانت كارلا لا ترى سوى الفشل، كانت صديقتها ترى قدرة الله على استخدام صراعاتها ليحضر كلا من كارلا وبرايين إلى مكان جديد في حياتهما وفي زواجهما. رأت كنييسة قادرة على تقديم المساعدة والدعم. وبدا واضحًا من كلام كارلا أن براين كان على استعداد لطلب المساعدة هو الآخر.

كانت أكثر العلامات التي تدل على وجود الله في حياة كارلا وضوحًا، هي أقل شيء لاحظته كارلا: تلك المحادثة مع صديقتها.

لأن حقيقة اعتراف كارلا، الواثقة دائماً بنفسها والمعتزة جداً بتفوقها، باحتياجها إلى المساعدة، تعتبر علامة رائعة على عمل نعمة الله في حياتها. ولكن كارلا كانت محبوسة في منظورها لحياتها بسبب ما لم تره وتلتفت إليه من عمل الرب. كانت كارلا مذعورة ويائسة لأن الله كان آخر من تفكر فيه أو في وجوده. وبسبب منظور كارلا لحياتها، الذي اقتقر إلى وجود الله، الذي كان يعمل بالفعل على تطوير حياتها وحياة براين وحياة أسرتهما، افتقرت كارلا إلى التشجيع والرجاء.

## التفسير: هل يكفيننا؟

نحن دائماً نميل إلى البحث عن تفسير لكل ما يدور حولنا عندما نكون في خضم الظروف التي تجربنا، وهذا التفسير يفعل ثلاثة أشياء:

١. يساعدنا على فهم ما يجري

نحن نريد أن نفهم صراعنا. كارلا تريد أن تعرف لماذا يتصرف براين بهذه الطريقة. كما إنها تريد أن تعرف لماذا هي تعاني من هذه المشاعر تجاهه. كيف تغير براين ليتحول من هذه الشخصية الجذابة جداً إلى شخص منفر ومزعج للغاية؟ هذه كلها أسئلة جيدة جداً نسألها أوقات الصراعات.

٢. يدلنا على الاتجاه الذي يجب أن نسير فيه

عندما تزداد الأمور سوءاً، نمر بوقت نتخلى فيه عن أهدافنا العظيمة الكبيرة ونسعى من أجل البقاء، نتوقف عن التساؤل حول

«ما يمكننا أن نفعله؟ ما يمكن أن يحدث فيما بعد؟» ونسأل في المقابل «هل سنجتاز هذا الأمر؟» كارلا تحتاج إلى بعض الأهداف التي تعطيها رجاء ودافع لحياتها. وهذه الرغبات جيدة ونافعة.

### ٣. يخبرنا بكيفية الوصول إلى الهدف

بعد رؤية ما يحدث وفهمه وبعد معرفة هدفنا وإلى أين نذهب، نحتاج إلى أن نكتسب مهارات عملية ونضع خطة عمل للوصول إلى هدفنا. كارلا تريد أن تعرف كيف يمكنها أن تحرز تقدم في علاقتها بزوجها. وينبغي ألا نقلل من شأن هذه الخطوة.

ومع ذلك، فبالرغم من فوائد التفسير الثلاث الإيجابية هذه، إلا أنها سوف تزيد من يأس كارلا. نعم قد يقدم كل هذا بعض التشجيع المبدئي، ولكن هذا التشجيع لن يدوم، وذلك لأن التفسيرات وحدها ستقنع كارلا أن المشاكل التي تمر بها هي أعمق مما تعرف، وأن أهدافها أبعد مما تتوقع، وأن مهاراتها العملية لن تكفيها للخروج من هذه الصعوبة. كارلا وبرايين لا يحتاجان إلى شيء أقل من التفسير: بل هما بحاجة إلى ما هو أكثر من مجرد التفسير.

## القدرة على تخيل ما لا يرى: الجزء الخفي من القصة

لقد تشوه فهم كارلا لوضعها بسبب ما لا تراه من حقائق. فعلى سبيل المثال لدينا شخص ما مديون بعشرة آلاف دولار، ولكنه لا يعرف أنه سينال ميراثاً قدره مائة ألف دولار في القريب

العاجل، ألن تؤثر معرفته بأنه على وشك ربح هذا المبلغ على الطريقة التي ينظر بها إلى ديونه؟ كارلا وبرايين يريا دينهما المكون من عشرة آلاف دولار من المشاكل، لكنهما لا يريا المليار دولار التي يقدمها الرب كتدعيم لحياتهما. ما ينقصهم ليس تفسيراً لواقعهم، ولكنه الخيال الذي يجعلهم يرون ما لا يرى.

الخيال ليس هو القدرة على الحلم بالأشياء غير الحقيقية، بل هو القدرة على رؤية ما هو حقيقي ولكنه غير مرئي. يقول Eugene Peterson في كتابه الروحانيات الهدّامة «من الضروري جداً أن يرى المؤمن الذي يضع رجاؤه في الإله غير المنظور، أن يرى ما لا يرى»<sup>2</sup>، يدعونا العبرانيين ١١ إلى هذا النوع من الإيمان. لنقرأ ما كتبه Eugene Peterson عن الإيمان مستخدماً مصطلحات تخيل ما لا يرى.

عندما أنظر إلى شجرة، فإن معظم ما «أراه» لا أراه على الإطلاق. فأنا أرى نظاماً من الجذور ينمو تحت سطح الأرض، وهذا الجزء ينمو إلى نبتة صغيرة تنمو بصورة لولبية وتمتص المواد الغذائية من التربة الطميية وتخرق التربة. أرى النور يبعث طاقة في أوراق النبتة. أرى الثمر الذي سيظهر بعد عدة أشهر. أحملق وأحدق لأجد الفروع العارية الخضراء وهي جافة في الشتاء القادم بسبب الثلج والرياح

الشديدة. أرى كل ذلك، أراه في داخلي- دون أن أخلق الأمر. ولكن لم أستطع الآن أن أصور ما أراه في صورة. فأنا أراه بالخيال. لو كان خيالي ضعيف أو غير نشط، سوف أرى فقط ما يمكنني استخدامه، أو ما هو موجود في الطريق.<sup>3</sup>

إن ما يقوله Peterson عميق ولكنه عتيق، ليس فيه جديد. فهو يصف شيء نفعه طول الوقت. فإن الآباء يتخيلون مستقبل أطفالهم، ودخولهم الثانوية العامة، ونجاحهم في الجامعة، طول الوقت بينما هم يساعدوهم في تنميم واجباتهم المنزلية في سن الابتدائي. عندما يجلس الزوجان ليحددا وضعهما المالي، فهم يفكران في وقت تقاعدهما في المستقبل والاستعداد له مادياً. عندما يدخر الوالدان المال لقضاء إجازة، فهم يطلبون من أطفالهم أن يفكروا في هذه الإجازة ويتخيلوها، حتى يزيل خيال المتعة المقبلة من نفسياتهم مرارة الشعور بالتضحية الحالية. عندما يشكو الأطفال، يذكرهم الآباء بالأوقات الممتعة المقبلة، ليحثوهم على الطاعة. يتعلم الأطفال أن يعيشوا متحمليين الألم المرئي لأنهم يمتلكون القدرة على تخيل ورؤية غير المرئي.

الخيال يعطينا إدراكاً أعمق لحقيقتين غير مرئيتين:

( ١ ) هويتنا، فهناك حقائق غير مرئية عن من نحن كما يقول الرب،  
وأيضاً

( ٢ ) الموارد الإلهية، فهناك حقائق غير مرئية تعرفنا أن الرب موجود معنا وأنه يوفر لنا كل ما نحتاجه.

## الهوية: من أنا؟

تخيل أنك واقف في معرض فني حيث الجدران ممتلئة باللوحات الجميلة. والمشكلة الوحيدة هي أن الأضواء مظفية وأنت لا ترى هذه اللوحات! وتخيل أن هناك موسيقى رائعة، ولكن أذنك مسدودة بسدادات من قطن. تخيل أنك تأكل وجبة رائعة، ولكن دور البرد أفقدك القدرة على التذوق. هذه هي حقيقة حالة كارلا الروحية. هي لا ترى ولا تشعر بوجود الأشياء الحقيقية لأنها تنقصها البصيرة الروحية، وحاسة السمع، والتذوق الروحي. منظورها في الحياة مشوه بسبب كل ما يحدث في حياتها وعلاقاتها من أمور سيئة. هذه الأشياء تشكّل الواقع الذي تعيش فيه كارلا. لا يعني حديثنا عن كل من الخيال، أو الإيمان، أن كارلا عليها أن تنكر ظروفها الحالية، ولكنه يعني، أنها ينبغي أن ترى هذه الظروف في سياق الصورة الكاملة، والتي تشتمل على حقيقة من هي في المسيح.

---

كثيرا ما يغيب عن ذهننا الأشياء الحقيقية التي لا نراها مثل حقيقة أننا أولاد الله

---

كثيرا ما يغيب عن أذهاننا الأشياء الحقيقية غير المرئية مثل حقيقة أننا أولاد الله. ولكن الكتاب المقدس يقول أن هناك شيئين أساسيين

يميزان أولئك الذين هم في المسيح (أبناء الله). الأول، لا بد أن يحدث تغيير جذرياً في جوهر وجودهم. إذ أن الكتاب المقدس يقول أن قلوبنا الحجرية تحولت إلى قلوب لحمية. كما يقول حزقيال ٣٦: ٢٦: «وَأَعْطَيْكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا، وَأَجْعَلُ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأَعْطَيْكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ.» ويشير بولس الرسول إلى نفس الشاهد الكتابي عندما يتحدث عنا كخليقة جديدة في المسيح (كورنثوس الثانية ٥: ١٧). تعتبر هذه الحقيقة حقيقة رائعة لا تعني أننا صرنا كاملين، ولكنها تعني أن قلوبنا طيبة، ومرنة، وحساسة، وحيّة في يد الرب.

يعني هذا الحق الكتابي المذهل لكل من كارلا و براين، أنهما على الرغم من صراعهما داخل زواجهما إلا إنهما ليسا عالقان ولا مرتبطان داخل هذا الواقع المرير دون رجاء. يحتاج كل من كارلا وبرين إلى الخيال (الذي هو الإيمان) لمعرفة قدراتهما الحقيقية على التغيير. فنحن في كثير من الأحيان نتعثر عندما نتواجه مرارا وتكرارا مع حقيقة مشاكلنا، وفشلنا، وضعفنا، وخيبة أملنا، وخطيتنا. يحاول سجل مسيرتنا أن يقنعنا بأن التغيير مستحيل. الخيال والإيمان لا ينكر سجل مسيرة حياتنا الحافل بالفشل المتكرر، ولكنه يضعه في سياق حقيقة من نحن في المسيح. فإنه يذكرنا بأن روح الله يعمل فينا وأنا «شركاء الطبيعة الإلهية» (بطرس الثانية ١: ٤). وبالتالي وهب الله كل من براين و كارلا إمكانية التغيير.

يوقظ الكتاب المقدس خيالنا، من خلال شرحه لعلاقتنا به كأولاده. لذلك فعلى الرغم من شرعية مكانتنا إلا أننا نحتاج إلى ممارسة هذه المكانة الشرعية بصورة شخصية وعملية. يشترط كل من الزواج والتبني ارتباطاً شرعياً قانونياً، ولكن مرحلة الرابطة الشرعية ما هي إلا أساس لبناء علاقات إذ هي في حقيقتها أكثر بكثير من كونها مجرد عقود قانونية. تخيل معي أن هناك زوجين مرتبطين فقط برباط شرعي وقانوني بدون أي مشاعر أو حب بينهما، لن يختلف زواجهما عن الشراكة في العمل. ماذا لو ارتبط والدان بابنهما المتبنى الجديد، ارتباطاً يتطلب التزامات شرعية فقط، مثل التغذية، وتوفير الملابس، والتعليم؟ لن نسمع أبداً كلمات مثل «أنا أحبك». ستكون مثل هذه العلاقات، علاقات سخيفة مروعة، لأن الحالة الشرعية الجديدة ما هي إلا إطاراً يهيب الأجزاء لعلاقة أكثر كمالاً وعمقاً. إن العلاقات الزوجية والعلاقات الموجودة بين الآباء والأبناء ليست مجرد علاقات قانونية بل هي أكثر من ذلك بكثير!

وبنفس الطريقة، تعطينا شرعية عمل المسيح بمصالحتنا مع الله إطاراً شرعياً لبناء علاقة معه لها القدرة على تغيير طريقة تعاملنا مع كل شيء. فالله أصبح بصورة شرعية أبي، وأنا الآن ابنه. وهو ينظر إليّ بنعمة ومحبة وأنا موضوع اهتمامه وإعجابه. لي حرية الحصول على عنايته الإلهية طول الوقت. فهو يباركني بكل مصادره، ويقدم غفراناً دائماً لحياتي، وتطهيراً لخطاياي مهما طال مصارعتي معها. يعدني دائماً بتواجده معي وهو ملتزم بإنهاء عمل التغيير الذي بدأه فيّ.

يحضر كل من براين وكارلا في كنيسة محلية جيدة، حيث عرفا وتعلّما كثيراً عن وضعهما القانوني كزوجين، ولكن ظل فهمهما لهذه المرحلة، فهماً نظرياً، لم يدخل حيز التطبيق. لم يتعلّما أبداً طريقة تطبيق هذا الحق الشرعي على خبرة حياتهم اليومية وبينما كان تواجههما في صباح الأحد وسط الكنيسة، تواجداً جميلاً وجيداً وشرعياً، إلا إنه لم يكن كذلك في حقيقة ممارسته مساء يوم الثلاثاء وسط الأسبوع داخل منزلهما في خضم مشاكلهم ووسط شجاراتهم المعتادة. لا يفهما معنى وشكل علاقتهما الجديدة معاً مع المسيح. إذ أنهما لا يدركا وجود المسيح الشخصي في وسط شجارهما. لا يتوقفا لطلب مساعدته لأنهما لا يفكران في وجوده في الوسط كشخص وكيان منخرط في العلاقة معهما. يفكران فيه بالأكثر على أنه محامي يساعدهما على الابتعاد عن أقصى شيء سيء يمكن أن يحدث لهما؛ (السجن)، وبما أنهما لم يدخلتا السجن بفضل هذا المحامي، فهما لا يحتاجان إليه.

ما هي الآثار المترتبة على هذه المعرفة، بالنسبة لكل من براين، وكارلا، ولنا؟ نفهم من كل هذا أننا لنا رجا، يتجدد كل يوم، بدءاً من لحظة استيقاظنا، ونعلم أن ربّ السماء والأرض هو حقا أبنينا. وهذا هو ما يعنيه الكتاب بمبدأ «الحياة بالإيمان». يأخذنا الخيال إلى قمة جبل نعمة الله، حيث نرى صراعاتنا وتحدياتنا من وجهة نظر مكانتنا الحقيقية، ومن منظور محبته اللامتناهية لنا.

تخيل كارلا وهي تتواصل مع المسيح بصورة شخصية كل صباح وتحدث معه قائلة: «يا يسوع، أشكرك لأنك معي الآن وبسببك، سأظل طيلة يومي هذا معك، فأنا لست وحيدة. بسبب وجودك، لن أحتاج إلى إدارة الكون أو حتى التعامل مع والتحكم في سلوكيات براين! من فضلك أعطني القدرة على الثقة بك وعلى ترك براين بين يديك؛ فساعدني أن أحبه بالطريقة التي تساعدنا نحن الاثنين على رؤيتك ومحبتك ومحبة بعضنا البعض.» تخيل معي براين وهو ينطق كلمات مثل هذه «أبويا السماوي، أعلم أنني أنظر إلى حالي ونجاحي وكأنهما مشاعر رفاهية لحياة مميزة. وبسبب عدم مقدرتي على تحقيق النجاح و تحسين حالي نمت شاعرًا بالاكنتاب والحزن بسبب عدم امتلاكي لتلك الحياة المرفهة المميزة. لقد أنقصت من قدر محبتك الهائلة التي لي في المسيح. لذلك، أنا أستحق إدانتك. ولكن بسبب ما قدمه المسيح لي، لم أصبح فقط مقبولاً، تحاول أن تتحمل عيوبي، ولكني صرت كغنيمة لك، تعانقها بشوق ومحبة عجيبة. وبينما أسير خطواتي نحو التغيير ساعدني أن أعرف أنك لي ومعني. وبينما قد أتصارع مع إباطاتي، أدرك جيداً أنني أولاً وقبل أي شيء طفلك المحبوب. اسمح بحضورك الشخصي، لهذا الحق أن يمنحني الشجاعة للتحرك والمضي قدماً في حياتي وفي علاقتي بـ «كارلا.»

نجد في هذه الصلوات الصغيرة أن براين و كارلا جعلان إيمانها بالرب، إيماناً عاملاً. فهُم بهذه الصلوات، يعلنان عن اتحادهما بالرب

غير المرئي، لأن إيمانها وخيالها يساعدهما على رؤية الحقيقة غير المرئية. أرشدت صديقة كارلا، كل من كارلا وبرلين، إلى طلب المساعدة من أشخاص معينة في الكنيسة، وهذا ما فعلاه بالضبط.

## وجود الله معنا وتسديده لاحتياجاتنا

ما الذي يحتاجه كل من برلين وكارلا أن يرياه بعيون خيال الإيمان؟ يحتاجان أولاً أن يدركا، أنه من السهل أن يستوطن فينا الشعور بالارتباك والعجز، عندما تظل صراعاتنا ومشاكل الحياة قائمة لا تتغير، كالليل الطويل. وأن مثل هذه المشاعر تغطي على خيال إيماننا كالسحب التي تحجب الرؤيا. وهذا يقودنا إلى الاعتقاد الخاطيء في أن مشاكل حياتنا فريدة من نوعها، وأن لا أحد يفهمها، وأنا نحيا في وحدة شديدة وانعزال عن الآخرين. وأن كل محاولتنا مهما كانت شدتها وقوتها، لن تؤدي إلا إلى تفاقم المشكلة. فأنت تحاول أن تفهم وتدرک المشكلة بقدر الإمكان، دون جدوى، ودون الوصول إلى إجابات.

عندما تكون في هذا المكان الممتلىء بالعوز والإحباط، فإنك عادة ما تبحث عن إجابات واستراتيجيات، ولكن الله يعطينا شيئاً أفضل. فإن عناية الرب وتدابير نعمته، لا يمكن أن نخترلها في مجرد إجابات أو استراتيجيات، لأن إمداداته وعطاياه مرتبطة بحضوره وسكانه. يعلم الرب جيداً أن احتياجنا أكبر وأعمق بكثير من حجم وإمكانية كل الأشياء التي نعتقد أنها تستطيع أن تسدده.

لذلك فهو لن يعطينا نصائح عملية فقط، بل هو يعطينا نفسه وذاته. إنه حكمتنا. إنه مصدر قوتنا. إنه غفراننا الذي نلناه. فهو أبنينا. وكما قال موسى في سفر الخروج ٣٣ : ١٥، «فَقَالَ لَهُ: «إِنْ لَمْ يَسِرْ وَجْهَكَ فَلَا تُصْعِدْنَا مِنْ هَهُنَا.» عرف موسى جيداً، أنه لو لم يكن الرب معه، لن تساعده كل استراتيجيات وتقنيات العالم في حربه ومعركته ضد الأعراب وشعوب الأرض الساحقة. تحدث يسوع عن هذا التعزيد الإلهي في يوحنا ١٤. إذ يقول الرب يسوع في إنجيل يوحنا أنه لن يكون فقط بالقرب منا أو معنا، ولكنه يحيا فينا.

إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ  
فِيُعْطِيكُمْ مَعْزِيًا آخَرَ لِيَمْكُنَّ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحَ الْحَقِّ  
الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ،  
وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَآبِتٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ.  
لَا أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ بَعْدَ قَلِيلٍ لَا يَرَانِي الْعَالَمُ  
أَيْضًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرَوْنَنِي. إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ.  
فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي، وَأَنْتُمْ فِيَّ، وَأَنَا  
فِيكُمْ. (يوحنا ١٤ : ١٥-٢٠)

يصف يسوع وجوده معنا بصورة تشبه العلاقة داخل الأسرة، إذ قال أنه لن يتركنا يتامى. يحتاج كل من براين وكارلا أن يواجهان صراعاتهما بهذه المعرفة، أن الله، المصدر النهائي لكل احتياجاتهم، يحيا في داخلهم. فيجب عليهم، أن لا ييأسا أو يشعرا بالوحدة، في خضم صعوبات حياتهما، لأن الرب حاضر في وسطهم.

لن يضطرا إلى اللجوء إلى الكلمات الجارحة ليدافعا عن أنفسهما؛ بل بإمكانهما أن يقولوا كلمات الشفاء. ليسا بحاجة إلى الاستسلام لخيبة الأمل، والمرارة، والانتقام، بل يمكنهما أن يختارا الصبر، والتحنن، والغفران وإظهار الرحمة. يمكنهما أن يشجعا بدلاً من إدانة بعضهما البعض. يمكن لكل منهما أن يحمل أعباء الآخر وأن يخدم الآخر بمحبة وفرح. لن يلزمهم أن يروا وعود الرب لهم بنوال القدرات الجديدة بعيون الجسد الواهنة الضعيفة والمجهد؛ بل يمكنهما أن يرياها من خلال الإيمان الذي يعزز الأمل ويبني الرجاء القلبي وطاعة الحق، حتى لو لم تتحسن الأحوال على الفور. لماذا؟ لأن خيالهما أصبح الآن يرى زواجاً مسترداً، وعلاقة شخصية عميقة تسير لحظة بلحظة مع الرب. ولهذا السبب خلق الرب براين وكارلا واقتداهما.

أعمدة الإيمان عالية: إن الحقيقة التي يحتضنها خيال إيماننا هي الحقيقة التي سنعيش بها. لو لم يكن الحق الذي يعلن أننا نحيا في علاقة شخصية عميقة مع الله، هو الحق الذي يجذب قلوبنا ويأسرها، سنحيا حياة ضحلة قاصرة على توقعاتنا البسيطة وسنتقلص أحلامنا لتصل إلى حجم احتياجاتنا ورغباتنا الأنانية، واستراتيجياتنا الضعيفة. وهذا هو ما حدث لبرائين وكارلا، وهو ما يحدث لنا جميعاً. لقد سحقت ضغوط الآخرين على براين لتحقيق النجاح بالطريقة التي يريانها، أحلامه وطموحاته، فأصبح مكتئباً فاشلاً. وهو الآن يرى أن الرب يعيد تصنيعه ليصبح شيئاً مجيداً: فالرب يصنعه على صورة

المسيح. بينما سمحت كارلا لرؤيتها للحياة أن تتقلص، ليصبح كل رجائها، هو أن تتحكم في الجزء الصغير الخاص بحياتها من هذا الكون الفسيح. ولكنها الآن ترى وللمرة الأولى أن الله كان ولا يزال هو المتحكم في كل أمور حياتها. وأنها بإمكانها أن تثق فيه وفي قدرته على تغيير براين لأنها وثقت في قدرته على تغييرها.

## ما الذي يفعله الله في حياتي؟

عندما لا نرى هويتنا في المسيح أو حضوره معنا وتدعيمه وتبديراته لحياتنا، سينتهي بنا الأمر إلى تصور أن الله مشغول جدًا عن أن يهتم بنا. ولن تختلف صلاتنا عن مجرد اتصال روحي بشرطة النجدة. ولكي ننال اهتمام الله، سد «نجري المكالمة التليفونية» ليستيقظ الرب الإله النائم، ويرى احتياجاتنا، وليدافع عن موقفنا، وينقذنا. ولكن بمجرد أن يظهر وينتهي من عمله الإنفاذي، نكتفي بهذا القدر من المساعدة، ونعتبر أنه آن الأوان له ليأخذ فترة راحة من عمله الإنفاذي، ويذهب ليهتم بأموره الأخرى، حتى نتصل به ثانية.

هذه الأفكار، تشبه الذباب الطائر على وجه حقيقة الرب وحقيقة عمله في حياتنا، وهكذا كان يفكر براين وكارلا في الله. فهو ذلك الإله البعيد غير العامل في حياتهما. فقد كانت كارلا تتساءل حول سبب إحجام الرب عن مساعدتهما في مشكلة زواجهما. وتساءل براين عن سبب ترك الرب له وسط هذا الاكتئاب. كانت نظرتهم الخاطئة

عن سلبية الله، سبباً أساسياً لياسهم الدائم. لذلك ركزا على ظروفهما، مما أدى إلى ابتعادهما عن رؤية حقيقة مشاكلهما القلبية العميقة الخاصة باهتمامهما بالنجاح، ومحاولتهما السيطرة على حياتهما، وبحثهما عن قبول الآخرين لهم. كل هذه المشاكل القلبية تحتاج إلى مواجهة بسُلطان الحق الكتابي.

و يساعدنا الكتاب المقدس مرة أخرى، على توسيع خيالنا من خلال مساعدتنا على رؤية الأشياء التي عادة ما لا نراها. يزيد الكتاب المقدس من وعينا بأن الرب قريب، ويريد أن يساعدنا، وأنه قادر على إنقاذنا. نرى كاتب مزمور ١٢١، وهو يشير إلى حضور الله وإلى عمله الدائم في حياتنا وفي ظروفنا نيابة عنا:

أَرْفَعُ عَيْنِي إِلَى الْجِبَالِ، مِنْ حَيْثُ يَأْتِي عَوْنِي!

مَعُونَتِي مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، صَانِعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

لَا يَدْعُ رَجُلٌ رَجُلًا تَزُلُّ. لَا يَنْعَسُ حَافِظُكَ. إِنَّهُ لَا يَنْعَسُ  
وَلَا يَنَامُ حَافِظُ إِسْرَائِيلَ.

الرَّبُّ حَافِظُكَ. الرَّبُّ ظِلٌّ لَكَ عَنْ يَدِكَ الْيُمْنَى.

لَا تَضْرِبُكَ الشَّمْسُ فِي النَّهَارِ، وَلَا الْقَمَرُ فِي اللَّيْلِ. الرَّبُّ  
يَحْفَظُكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

يَحْفَظُ نَفْسَكَ الرَّبُّ يَحْفَظُ خُرُوجَكَ وَدُخُولَكَ مِنَ الْآنَ  
وَالْيَوْمِ إِلَى الدَّهْرِ.

ونرى ونجد نفس هذا المعنى في حياة وفي كلمات الرسول بولس. إذ يقول الرسول بولس في وسط العديد من الصراعات والضغط التي يمر بها، في رومية ٨: ٢٨-٣٩،

«وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ  
اللَّهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوعُونَ حَسَبَ قَصْدِهِ. لِأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ  
فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ،  
لِيَكُونَ هُوَ بَكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ. وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ،  
فَهُؤُلَاءِ دَعَاهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ، فَهُؤُلَاءِ بَرَّرَهُمْ  
أَيْضًا. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ، فَهُؤُلَاءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضًا.

فَمَاذَا نَقُولُ لِهَذَا؟ إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا؟ الَّذِي لَمْ  
يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَدَّلَهُ لِأَجْلِنا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لَا يَهَبْنَا  
أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟ مَنْ سَيَسْتَكِي عَلَيَّ مُخْتَارِي اللَّهِ؟ اللَّهُ  
هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ.

مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟ الْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، بَلْ بِالْحَرْبِ  
قَامَ أَيْضًا، الَّذِي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ اللَّهِ، الَّذِي أَيْضًا يَشْفِقُ  
فِينَا. مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيقٌ  
أَمْ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟

كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:

«إِنَّا مِنْ أَجْلِكَ نَمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ  
لِلذَّبْحِ».

وَلَكِنَّا فِي هَذِهِ جَمِيعَهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا.  
فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ، وَلَا مَلَائِكَةَ وَلَا رُؤْسَاءَ  
وَلَا قُوَّاتٍ، وَلَا أُمُورَ حَاضِرَةً وَلَا مُسْتَقْبَلَةً، وَلَا عُلُوقَ  
وَلَا عُمُقَ، وَلَا خَلِيقَةً أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ  
اللَّهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبَّنَا»

كيف تواجه هذه الكلمات الكتابية خيالنا الضعيف وإيماننا الواهن بصورة جذرية! نحن نميل بطبيعتنا، عندما نقع في مشاكل أو في ورطة، إلى أن نعتقد أن الرب بعيد عنا، لا يمكننا أن نجده، وأنه علينا أن نتعامل مع مشاكلنا بأنفسنا. وعندما تكون رؤيتنا للواقع بهذه الضالة، عادة ما تزيد محاولتنا لإصلاح مشاكلنا، الأوضاع سوءاً. فنحن نحاول إصلاح الأمور الخاطئة أو الصحيحة، بطريقة خاطئة.

يخبرنا الكتاب المقدس أن الله يعمل بصورة مستمرة، كما إنه يخبرنا بطريقة عمل الرب وبالأشياء التي يعمل عليها. مثل هذه المعرفة تعطينا أملاً ورجاء وهدفاً لحياتنا. فعندما نعمل مع الرب لتتيمم السيناريو الذي رسمه لحياتنا، تسير حياتنا تجاه تتيمم عمل الفداء الإلهي. فيما أن الرب غفر لنا، فنحن أيضاً لا بد أن نغفر للآخرين. وبما إنه يعمل على إعادة تشكيل حياة شخص ما لتصير حياة أفضل، فنحن أيضاً علينا أن نشجع عمله داخل هذا الشخص ونساعده على تتيممه. إذا كان الله يعمل على تحقيق السلام، علينا أن نكون صانعي السلام. إذا كان الله يحمل أعباءنا بصورة يومية،

علينا نحن أيضًا أن نساعد في حمل أعباء الآخرين. إذا كان الرب يعمل على خلق قلوب عابدة في دواخلنا، فعلينا إذاً أن نسعى نحو تحفيز بعضنا البعض على حب وعبادة الرب. باختصار، نحن مدعوون إلى مساعدة بعضنا البعض على رؤية حقيقة إلهنا الشخصي غير المرئية، فهو إله يعمل في حياتنا وحاضر دائمًا. إن الدافع وراء عمل الله، هو تنظيم جدول أعماله، الأكبر بكثير من مجرد تحسين مستوى حياتنا ومعيشتنا. فهو يريد أن يعيد تشكيل حياتنا لنصير شبيهه. ويمكن أن نرى نموذج ومثال حياتنا مُتَجَسِّدًا في شخص يسوع.

يمكننا أن نقدم العديد من التفسيرات لكل من براين وكارلا حول سبب حدوث المشاكل وحول كيفية محاولة إصلاحها. ولكن لن يساعدهما التفسير وحده على الوصول إلى حلول أو إلى وسائل لتطوير علاقة زواجهما. فقد يجلب التفسير بمفرده، بصيرة مؤقتة للموقف وربما يُحدِث تغيير لحظي، ولكن كلاهما لن يدوم. يحتاج امتداد مجد الله في حياتهم، إلى أن تملأ خطة الرب ومشينته فكرهما، وتسيطر بالكامل على أذهانهما، وإلى أن تكبر في نظرهم جدًّا، حتى تصل إلى درجة تجعلهما، يروا مشاكلهما في منظورها الإلهي الصحيح. إن حجم شجاعتهما لطلب تغيير دائم، وثابت وللسعي نحوه برجاء، يزداد بقدر ازدياد حجم رؤيتهما الخيالية والإيمانية لإلههم. عندما أرى هويتي في المسيح، ووجود الله وتدبيره الحكيم لحياتي، وكل ما يفعله الرب، بالشكل الصحيح، أصبح قادرًا على وعلى أتم استعداد للقيام بأشياء لم أكن لأفعلها قبل ذلك. والآن يبدأ براين وكارلا في هذه المسيرة بطرق بسيطة ولكنها ضرورية.

بينما يُعتبر التفسير، أحد أهم وسائل التغيير، إلا إنه غير كافي، ويلزم أن نغذيه بخيال الإيمان. يجسد لنا Eugene Peterson حقيقة التفاعل الحيوي بين التفسير والإيمان.

لدينا عمليتان عقليتان ضروريتان، مصممتان للعمل جنباً إلى جنب وهما الخيال والتفسير. عندما نقدم رسالة الإنجيل بطريقة جيدة وصحية، ستعمل هاتان العمليتان معاً بصورة متوافقة وفي تزامن جيد. فالتفسير يساعدنا على توضيح الأمور (يضع أمامنا الأشياء كما هي، ويجرد الحقيقة) حتى نتمكن من التعامل معها واستخدامها، من أجل أن نطيع ونطبق الصحيح منها ونتعلم اللازم، لنقدم به المساعدة والتوجيه. بينما يفتح الخيال الباب (يخرج حقيقة دواخل الأشياء) حتى نتمكن أن ننمو وصولاً إلى مرحلة النضج، لنعبد ونحب الرب، لنمجده ونكرمه، تابعينه بثقة. التفسير يحدد ويعرف ويسعى في الحفاظ على الاتجاه الصحيح، بينما يوسع الخيال إدراكنا و يعطي مساحة كبيرة للنمو والتطور. يضع التفسير أرجلنا على أرض الواقع؛ بينما يرفع الخيال رؤوسنا لنرى ما فوق السحاب. يستغل التفسير قدراتنا وإمكاناتنا؛ بينما يقذف بنا الخيال إلى غير المعروف وما هو أبعد من إمكاناتنا. يصغر التفسير حجم الحياة لتصبح سهلة ويمكن استخدامها؛ بينما يوسع الخيال حجم الحياة إلى ذلك الغموض المعشوق؛

## الحياة في مدينة الله السماوية الكبيرة

ربما كنت تفكر وتتساءل أثناء قراءتك لهذا الفصل، قائلاً، حسنًا يا بول وتيم يبدو أن ما تقولاه جيد، ولكن كيف لي أن أحفز خيالي؟ اسأل نفسك، كيف يمكنك أن تحفز خيالك في أي مجال من مجالات الحياة؟ فمثلاً، إذا كانت لديك رؤية لتزيين منزلك، ستشتري مجلات تعطي أفكارًا عن تزيين المنزل وستعكف على قراءتها حتى تحصل على فكرة عن ما تريد القيام به. وإذا كنت تريد أن تأخذ إجازة، ستجلس مع شخص ما، ذهب إلى المكان الذي تريد الذهاب إليه، تتحدثان عن رحلته، لتكتسب خبرة ومعرفة وليزداد شعورك بالإثارة ولتعرف ماذا عليك أن تفعل لتذهب لهذا المكان. وقد تطلب منه كتيبات عن الأماكن التي زارها، وتلقي نظرة على صور رحلته.

فإنه لا يكفي أن يعمل براين وكارلا على إصلاح زواجهما؛ فهم بحاجة إلى أن يحركا خيالهما ويوقظاه. لقد أعطاهما الرب طرقًا ليفعلوا ذلك. لقد دبر لهما الرب وسائل بسيطة تحفز وتنمي خيالهما لرؤية ما يحتاجان إلى رؤيته. هذه الوسائل هي الصلاة الحقيقية، والحق الكتابي، والعبادة، والممارسات الدينية. دائمًا ما نميل إلى التقليل من شأن تلك الوسائل، لأنها تبدو عادية جدًا. وعندما نقوم بتلك الوسائل دون فهم أو إدراك واضح لسبب وجودها، سنفقد تأثيرها العميق على حياتنا.

عندما لا نفهم ما تقدّمه دراسة  
الكتاب المقدّس وما تقدّمه قراءته  
بصورة شخصية لحياتنا وعندما يفوتنا  
ما يسعى هذا الحق لتتميمه، يفقد الكتاب  
هدفه ومعناه ويفشل في تتميم مقاصده.

---

عندما لا نفهم ما تقدمه دراسة الكتاب المقدّس وما تقدّمه قراءته  
بصورة شخصية لحياتنا وعندما يفوتنا ما يسعى هذا الحق لتتميمه،  
يفقد الكتاب هدفه ومعناه ويفشل في تتميم مقاصده. فإن الغرض  
من وجود الحق هو أن يكون وسيلة للحياة وليس هو المقصد والهدف  
في حد ذاته. فإن دراسة الكتاب المقدّس تعطيني رؤيا وصورة صحيحة  
عن الله مخلصي والذي أنا في علاقة معه. دراسة الكتاب المقدّس  
تحفزنا على العبادة، ولكنها تركز عادة على لاهوت حياتنا والقواعد  
والمبادئ التي ينبغي أن نحيا على أساسها. ينبغي أن تحفزني علاقاتي  
مع إخوتي في جسد المسيح على تقدير جماعي لعظمة الله ونعمته.  
ولكن في كثير من الأحيان، تصبح العلاقات، الغاية في حد ذاتها،  
لتخدم رغباتنا للحصول على قبول الآخرين. يعتبر العشاء الرباني  
(فريضة تناول) تجربة غنية توضع فيها الحقائق الكتابية أمامنا  
بطرق ملموسة. إذ أن الغرض منه هو تحريك خيالنا ليصبح عاملاً  
ولنرى نعمة الرب من خلال حواسنا الطبيعية، كالتذوق، واللمس،

والبصر. ولكن وللأسف يصبح العشاء الرباني في كثير من الأوقات مجرد طقس نقوم به بصورة روتينية.

يوجد العديد من الأشياء الأخرى التي يوفرها الله لنا ليثير بها خيال إيماننا، على سبيل المثال لا الحصر: التراتيل والأغاني الروحية والوعظ والندوات والمؤتمرات والشعر والقصص الكتابية الرمزية، والخليقة المادية التي خلقها الرب، والرحلات التبشيرية (القوافل الكرازية) قصيرة المدى، وغيرها. ينبغي أن يحفز عالمنا الطبيعي خيالنا. فإن حياتنا كجسد المسيح، وخدمتنا للآخرين، يجب أن توسع إيماننا وعبادتنا. نحن جميعًا نحتاج إلى أن نسأل، في خضم صراعات حياتنا وفرصها الممنوحة لنا، كيف يمكننا أن نحفز خيالنا لنرى الله ولنعبده. كما ينبغي علينا أن نبحث عن الوسائل التي أعطاها لنا الله لجعل هذا ممكنًا.

إن الواقع الذي يراه خيالك هو الواقع الذي سيشكّل أقوالك وأفعالك، ومواقفك في الحياة، ودوافعك، وعلاقاتك. من الخطأ أن نسأل «هل وفر لنا الرب ما يكفي من التعزيد والإمدادات؟» بل السؤال هو: «هل نرى الرب؟ هل نستجيب في علاقاتنا مع بعضنا البعض على أساس ما وفره الرب لنا من تدبيرات وليس على أساس قوتنا وقدرتنا الشخصية، أو حجم مشاكلنا، أو سجل إنجازاتنا أو فشلنا؟»

إن براين وكارلا يشبهاننا كثيرًا. فنحن مثلهم، ننسى أننا نربح أو نخسر معاركنا الروحية في لحظات من التفاعل الصغيرة بيننا.

فنحن نميل إلى التقليل من أهمية المناوشات والمشاحنات اليومية، التي تتبع كل لحظة من أسباب وظروف وحرارة خارجية والتي ينتج عنها خطية داخلية. ولكن بدأ كل من براين وكارلا أن يريا معنى الاعتماد على المسيح أثناء مرورهما بتلك اللحظات القصيرة. لا يزال براين يُصارع مع الاكتئاب، ولكن المسيح حاضر وموجود معه، يساعده على أن يرى نفسه بعيون جديدة. وتسير كارلا في رحلة مماثلة. وهي التخلي عن حاجتها للسيطرة على عالمها والثقة في أن الرب يستطيع أن يخلق كل شيء جديدًا، حتى هي نفسها! في حين أنه لا يزال هناك الكثير من التغيير الذي لم يتم بعد، إلا أن عيون قلوبهما قد انفتحت لترى مدى اتساع، ومدى عمق، ومدى علو، ومدى طول وعرض محبة المسيح ومجده الفائق. وبينما يروا بعيون الإيمان (أو حتى عيون الواقع) سيغيّرهم الرب وينتقل بهم من مجد إلى مجد. هذا الأمر مذهش حقًا، ومع ذلك هو الحقيقة بعينها التي قالها الرب.

كيف ترى الواقع؟ هل تنمو في قدرتك على رؤية ما لا يرى؟  
يشجعنا الرسول ويأمرنا أن نفعل هذا في رسالته إلى أفسس ٥ : ١٤

«سَتَيْقِظُ أَيُّهَا النَّائِمُ،

وَقُمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ،

فَيُضِيءَ لَكَ الْمَسِيحُ.»



# الفصل الخامس عشر: الخروج للآخرين

«افعلوا كُلَّ شَيْءٍ بِلاَ دُمْدَمَةٍ وَلاَ مُجَادَلَةٍ، لِكَيْ تَكُونُوا بِلاَ لَوْمٍ،  
وَبُسْطَاءَ، أَوْلَادًا لِلَّهِ بِلاَ عَيْبٍ فِي وَسْطِ جَيْلِ مُعْوَجٍ وَمُثْتَوٍ، تُضِيئُونَ  
بَيْنَهُمْ كَأَنْوَارٍ فِي الْعَالَمِ. مُتَمَسِّكِينَ بِكَلِمَةِ الْحَيَاةِ لِافْتِخَارِي فِي يَوْمِ  
الْمَسِيحِ، بِأَنِّي لَمْ أَسْعَ بِاطِلًا وَلاَ تَعَبْتُ بِاطِلًا» فيلبي ٢: ١٤-١٦

تتحدث كلمات أغنية «Green Day» التي تتحدث عن الأحلام  
المحطمة وعن خبرات حياة العديد من الناس. فإذا كنت أبا اسأل  
أولادك عن عدد أصدقائهم الذين يعيشون داخل أسر محطمة.  
ولو كنت شاب أعزب فكر في كم علاقاتك التي تتضمن درجة معينة  
من الألم وخيبة الأمل. الق نظرة على أسرتك الخاصة، والأسرة  
الكبيرة الممتدة. نستطيع جميعنا أن نتأثر بكلمات هذه الأغنية لأن  
تلتقط لحظات من قصص عشناها جميعًا. فكلنا جزء من ونحيا بالآثار  
التي أحدثتها الخطية.

إن الذي يجعل الكتاب المقدس مقتنًا جدًا لنا هو أنه يعرف  
هذه الحقيقة جيدًا ويتحدث عنها كثيرًا. إن الدراما الموجودة داخل  
الكتاب المقدس هي حالتنا الحقيقية. فهي ذات صلة كبيرة بواقعنا  
وبحياتنا بغض النظر عن حجم الانكسار والضعف البشري الذي  
عشناه. لقد تخللت حياتنا الكثير من لحظات الأسف. ومررنا جميعًا

بأوقات رغبتنا فيها بسحب كلام قلناه. وأوقات تمنينا فيها أن تعود عقارب الساعة إلى الوراء لتراجع عن قرار صنعناه. وأوقات اعترضت فيه العاطفة طريق المبادئ. فنحن نتعلم بينما نمضي قدمًا في هذه الحياة. وقد نفعل الصواب للحظة بينما نرتكب الكثير من الأخطاء في اللحظة التي تليها. تتصادم دوافعنا مع بعضها لدرجة أننا أحيانًا نفقد التمييز بين الصواب منها والخطأ. أحيانًا يثير شخص ما نحيبه جدًا غضبنا بصورة شديدة. وأحيانًا أخرى، نعيد على أنفسنا بعض المشاهد التي مررنا بها في حياتنا، مرارًا وتكرارًا، حتى رغم معرفتنا المسبقة، بأن علينا أن نتركها وننساها. كثيرًا ما تمزق النزاعات بيننا، لحظات السلام القليلة التي قلما نجدها. وأحيانًا أخرى نجد الكثير من الأشياء التي ينبغي أن نشكر عليها، والكثير من الأشياء التي نرثيها وندبها.

---

الشيء الذي قد يذهلنا بشأن عالمنا،  
هو وجود شيء صالح به، وليس كم الضيق  
والتعب والانكسار!

---

من المدهش أن نجد وسط كل هذا الدمار، لحظات تسير فيها الأمور في نصابها الصحيح! فالشيء الذي قد يذهلنا في عالمنا، هو وجود شيء صالح به، وليس كم الضيق والتعب والانكسار الموجود فيه! تعتبر حقيقة استمرارية العلاقات، لسنوات وسنوات، علامة على صلاح الله المستمر الذي لا يزال موجود داخل هذا العالم.

## الرجاء وسط الأطلال

نحن نختبر الفرح في العلاقات، بسبب وجود الله. فإن صراعاتنا تحسم بوجود الرب، وتتحول المحادثات الصعبة إلى حوارات بناءة وإيجابية، ويحاول الآخر الوصول إليك والتواصل معك في وقت من الصراع. لقد منحنا الغفران، وتم التعبير عن المحبة بصورتها العملية وانتشرت المحبة. لقد خُدمت وأصبحت على استعداد أن تخدم. والعلاقة العابرة أصبحت علاقة متنامية تنمو إلى صداقة عميقة. وأصبح الناس من حولك يغفلون ضعفاتك بل ويبدون التشجيع والرضا عن نقاط قوتك. وتعلم البشر قول الصدق بدون إيذاء للآخرين. وهذا هو افتداء الرب للعلاقات.

على الرغم من عدم إدراك كاتب أغنية «Green Day»، فقد كتب هذا الكاتب مزمور أو مرثاة عصرية. إذ أن كلماته تصرخ من أجل حدوث شيء مختلف، مثلما يفعل كتبة المزامير. فالمزمور يعبر عن هشاشة الحياة والتعب الخارج منها والانكسار المنتشر فيها، من خلال صرخات أشخاص، يتوقون لحدث شيء أفضل. كما إنه يوجد أيضًا داخل هذه المزامير الكتابية الكثير من التسبيح. مثل هذه الصرخات والتسبيحات ليست مجرد مشاعر انفعال فارغة، وإنما هي تسبيح يخرج من وسط الألم والخوف، والأذى، وخيبة الأمل. فتسبيح الرب لا يتجاهل التجارب المؤلمة، ولكنه ينمو في وسطها شاكرًا لله، لأنه يرى الرب الإله الفادي الذي يلتقينا في وسط آلام الحياة و أفراحها. يلتقط مزمور ٥٧: ١-٢ لحظة التقاء

ألم الانكسار ونعمة الإله. اقرأ معي وانظر إلى حياة كاتب المزمور الذي يعيش في نقطة الالتقاء هذه بينما يواجه واقع الحياة.

ارْحَمْنِي يَا اللَّهُ ارْحَمْنِي، لِأَنَّهُ بِكَ اخْتَمَّتْ نَفْسِي،

وَبِظِلِّ جَنَاحَيْكَ أَحْتَمِي إِلَى أَنْ تَعْبُرَ الْمَصَائِبُ.

أَصْرُخُ إِلَى اللَّهِ الْعَلِيِّ، إِلَى اللَّهِ الْمُحَامِي عَنِّي.

لا يغفل كاتب المزمور صعوبات الحياة، لكنه لا يتأمل فيها. فهو يعرف ويعترف بكوارث الواقع ولكنه يختار وسط هذه الكوارث أن يصرخ إلى الرب. يعتبر هذا المزمور أحد أوقات العبادة التي تصطبغ بصبغة الألم.

## الحياة عند نقطة التقاء الألم بالنعمة

التقى بن بإيرين. كانا مرافقان عندما بدأت علاقتهما، ثم نمت الصداقة بينهما سريعاً حتى أصبحت علاقة رومانسية لأنهما شعرا وكان كل منهما وجد في الآخر الحب الذي لم يره في بيته. وجد كل منهما الملجأ والراحة في الآخر. في غضون بضعة أشهر أصبحت إيرين حامل، ودخل كلاهما في طريق بدأ بقرار صعب، وتبعته العديد من القرارات الصعبة الأخرى. فإن الحرج الناتج عن حمل إيرين أدى بهما إلى الزواج سراً، ولكنهما لا يفهما الكثير عن الحياة معاً، وليس لديهما أدنى فكرة عن كيفية تقديم محبة للآخر.

بن مجرد صبي، يحيا داخل جسم رجل. فهو يهتم بأحدث لعب الفيديو أكثر من اهتمامه بمسؤوليات الزوج والأب. فقد كان طفلاً متروكاً في بيته دون عناية أهله، لم يكن أبداً مسؤولاً أمام الآخرين ولم يوضع تحت المحاسبة. بينما عاشت إيرين وسط والدين مطلقين، حاول والديها تعويضها عن الحياة السوية من خلال تقديم الكثير من الهدايا لها ومن خلال إشباع كل رغباتها. لقد تم تدليلها بكل الطرق الخاطئة، وتوقعت من الآخرين هذا النوع من المعاملة كتعبير عن الحب. وللأسف لم يكن لدى بن الرغبة أو الموارد التي قد تساعده على تلبية تلك التوقعات. وعلى الرغم من أنه بذل مجهودات كبيرة لكسب حبها وإعجابها عندما كانا يتواعدان إلا أن كل هذه المجهودات اختفت وتغيرت بمجرد أن تزوجا.

لقد امتزجت مشاعر إيرين بخيبة الأمل ومشاعر بن بالفشل، بعدم قدرتهما وعجزهما عن حل النزاع، مما حول زواجهما إلى منطقة حرب. فقد كانت إيرين دائمة الشكوى بأن بن لم يحبها حقاً منذ البداية؛ بينما كان بن يتصارع مع كثرة مطالبة إيرين. وتناوبت مشاعرهم بين السخونة والشدة والحرارة والبرودة، مشاعر المشادات والمشاحنات الشديدة، ومشاعر الانسحاب واللامبالاة الباردة. إلا أن كلاهما في كلتا الحالتين، كان يشير بأصابع الاتهام إلى الآخر.

كانت أسلحة حربهم هي التواضع، والصدق، والرجاء، والنعمة، والشجاعة.

وذات ليلة احتدم الصراع بينهما لدرجة أنه وصل إلى خارج نطاق حجرتهما في السكن، وخرجا إلى السلم الموجود في المجمع السكني الموجودين به. سمع زوجان آخران يسكنان بجوارهما، الشجار الذي دار بينهما، وعرضا المساعدة. ونتيجة لهذا العمل العطوف الكريم البسيط، بدأت إيرين تجتمع مع الزوجة جارتها، وبدأ بن يتقابل مع الزوج ونشأت صداقة بينهما. وكانا يمضيان أوقات معًا هم الأربعة. هذان الزوجان، اللذان أصبحا صديقان لبن وإيرين، هم أعضاء في الكنيسة المحلية في هذه المنطقة، وهذه الكنيسة كانت بارعة في الترحيب بالأشخاص التي تعاني وتتلذهم بالنعمة. وأخيرًا وجد بن وإيرين، زوجان آخران يشاركاها صراعاتهما بمنتهى الصدق والأمانة، ويتحدثان معهما عن خبراتهما، الذي بدت متشابهة جدًا بصورة تثير الدهشة. بينما كان الزوجان يشاركان بن وإيرين بخبراتهم، كانت تجذب أمانتهما الممتزجة بالرجاء الشديد والأمل في التغيير، أنظار بن وإيرين وتثير دهشتهم. بدأت تحدث تغييرات شخصية عميقة في شخصية بن وإيرين، كلما وثقا في الرب يسوع. وأدت هذه التجربة التي خاضها، والتي أدت إلى استماعهم إلى رسالة الإنجيل، إلى تغيير مسار زواجهما. نعم لا يزال لديهم الكثير من الصعوبات، إلا أنهما بدءا يتعاملان مع المشاكل بشكل مختلف. كانوا محاطين بالمؤمنين، اللذين التزموا بالتواصل معهما وبمتابعتهم خلال عملية التغيير الصعبة التي يسلكان فيها.

## القصة الحقيقية

ما بدأ باعتباره قصة بن وإيرين، هو في حقيقة الأمر قصة زوجين لم يُذكر أسماؤهما، وقصة مجتمع إيمان ينتمون إليه، يغيّر الأجواء والواقع بصورة جذرية وبثورة هادئة. كانت أسلحة حربهم هي التواضع، والصدق، والرجاء والنعمة، والشجاعة. فقد تحركا نحو بن وإيرين ودعوهما إلى عالمها.

يمكننا أن نلخص ما فعله هذان الزوجان في كلمة واحدة من الكتاب المقدس: الملكوت. إن ثورة ملكوت الله ليست ثورة صاحبة ولا تملك متفجرات. إنها ثورة هادئة، يقوم بها خدام متواضعين، عادة ما يكونوا غير ملحوظين. لنفكر في ملك هذه المملكة الثورية الجذرية الجديدة. كيف دخل يسوع تاريخ البشرية؟ لقد جاء طفلاً صغيراً مولود في الفقر وسط شعب مظلوم. وقدم رسالة رجاء تطورت وظهرت للجميع من خلال عمل محبة إلهي هادئ ولكنه قوي من خلال معاناته، وموته وقيامته. أينما وُجد هذا الملك وُجدت هذه الصفات المذهلة. وهذه هي الصفات التي ربحت قلوب بن وإيرين.

ما الذي لفت نظر بن وإيرين وجذبهما لهذان الزوجان المجهولان؟ لقد كان بن وإيرين خائفان، يائسان، وبلا رجاء، بينما كان هذان الزوجان المجهولان خارقان وقويان ومشرقان. لقد تحدث حياتهم عن حقيقة وجود يسوع، وعن الأمل الموجود في رسالته وعن قوة عمله. لقد رأى بن وإيرين أن بإمكانهما الوثوق بهما واتئمانهما

على مشاكلهما. بينما كان هذان الزوجان على استعداد أن تتعطل حياتهما بسبب احتياجات بشر ضعفاء مثل بن وإيرين. عندما تغير نعمة الله قلبك وحياتك، ستختبر أن ملكوت الرب يأتي ومشينته تتحقق على الأرض كما هي بالفعل في السماء. وعندما تختبر قوة هذه المملكة في حياتك، ستسعى جاهداً لتجعل الآخرين يختبروها.

## ملكوت الرب مختلف عن ما تبحث عنه

واجه يسوع الفريسيين، في محادثة معهم، بجهلهم بمعنى ملكوت الله الحقيقي. لقد تصوروا أنه نظام سياسي يسود على المجتمع وأنهم سيكونون هم الطبقة الحاكمة. لكن يسوع يعلمهم أن مملكته ليست مجرد نظام سياسي، ولكنها إبراز وإظهار ملموس عن حضور الملك ووجوده.

«وَلَمَّا سَأَلَهُ الْفَرِيسِيُّونَ: «مَتَى يَأْتِي مَلَكُوتُ اللَّهِ؟»  
 أَجَابَهُمْ وَقَالَ: «لَا يَأْتِي مَلَكُوتُ اللَّهِ بِمَرَاقِبَةٍ، وَلَا يَقُولُونَ:  
 هُوَذَا هَهُنَا، أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ! لِأَنَّ هَا مَلَكُوتُ اللَّهِ دَاخِلَكُمْ.»  
 (لوقا ١٧: ٢٠-٢١)

كان الفريسيون ينتظرون مملكة سياسية دنيوية أرضية، لذلك كانوا يتطلعون لمجيئها. لقد اضطربوا بسبب الاختلاف الواضح بين ما توقعوه وبين ملكوت الرب الذي رأوه. واستنتج الكثيرين من هذا المقطع أن ملكوت الله ملكوت غير مرئي، ولكنه يسكن في قلوب الناس. و تؤيد ترجمة الحياة وجهة النظر هذه بترجمتها

لهذه الآية كالاتي: «ملكوت الله في داخلكم» بينما يقول يسوع «إن ملكوت الله هو فيكم»، أو في وسطكم، مشيرًا إلى واقع داخلي وخارجي.

يقول يسوع للفريسيين أن الملكوت موجود، وأنه يمكنهم رؤيته، ولكنهم لا يرونه. قال الرب هذا الكلام، لأن الملك موجود، ولأن علامات وجوده وسيادة حكمه واضحة. ما هي علامات الملكوت التي تتعارض مع توقعات الفريسيين؟ يشير يسوع إلى واقع وجود ملكوت الله داخل القلب، وإلى النعمة التي تعبر عن نفسها في شكل تغييرات ملحوظة في الأفراد وفي علاقاتهم. فإن ملكوت الرب يخلف وراءه طريقًا واضحًا من التواضع والرحمة والتضحية والفرح والصبر، والكثير من الصفات الأخرى. ويمتد تأثير هذه الثورة الهادئة ليصل إلى نظم الحكم والمؤسسات السياسية، ولكنها لا تبدأ من هذه المؤسسات. فهذه الثورة تبدأ داخل قلوب الناس ويتبع هذا التغيير الداخلي موجات من الآثار التي تنتشر إلى أبعد مما وصلت إليه الخطية ونتائجها. يقول يسوع أن الفريسيين ينظرون إلى ملك المملكة السماوية الحقيقي، في حين أنهم يتساءلون حول ميعاد مجيء المملكة!

إنها ثورة هادئة تترك وراءها طريقًا ودربًا  
من التواضع والرحمة، والتضحية،  
والفرح، والصبر، والكثير من الصفات الأخرى.

## المملكة الخفية المرئية

ما علاقة ملكوت الله بقصة بن وإيرين، أو بك أو بعلاقاتك؟ كل العلاقة! لو كنت تمارس في حياتك التواضع، والغفران، والصبر، أو تتعامل مع المشاكل بصورة كتابية، فأنت تعيش حياتك مختبراً عمل الملك، وتراه وهو يبني مملكته. وهذا يعني أن علاقاتك مكان حل فيه ملكوت الرب، ويفترض بها أن تجذب الآخرين إلى هذا الملك. بالإضافة إلى أنك كلما تحدثت عن التغيير الحادث في حياتك وفي علاقاتك، فأنت لن تلتفت الانتباه إلى حكمتك، ولا إلى ذكاءك وقدراتك على بناء العلاقات ولا إلى روعة مواهبك الشخصية؛ بل ستجذب الانتباه إلى يسوع، ملكك الشخصي. ومثلما فهم الزوجين والمجتمع الكنسي، الذي اختار أن يوصل برسالة الفداء إلى الآخرين مثل بن وإيرين، أن ملكوت الله ليس اختباراً فردياً للمتعة الشخصية، ولكنه حالة يراها الجميع، كذلك سيفهم ويرى كل من يدخل معنا في علاقات، عمل ملكوت الرب في حياتنا ولكنهم قد لا يروا الملك. وسيظل دورنا والامتياز الذي منحه الرب لنا ومسؤوليتنا هو أن نساعدهم على رؤيته.

## كيف نجعل ملكوت الله مرئياً

يتحدث الكتاب المقدس عن ملكوت الله بطرق كثيرة، ولكن يسوع يستخدم اثنين من الاستعارات ليتحدث بصورة خاصة عن طبيعة الملكوت المرئية. ففي متى ٥: ١٣-١٦، يقول يسوع أن وجوده الملكي وسط شعبه يُمكنهم من التأثير في العالم كملح وكنور لمن حولهم.

«أَنْتُمْ مِلْحُ الْأَرْضِ، وَلَكِنْ إِنْ فَسَدَ الْمِلْحُ فِيمَاذَا يُمَلِّحُ؟  
لَا يَصْلُحُ بَعْدَ لِشَيْءٍ، إِلَّا لِأَنْ يُطْرَحَ خَارِجًا وَيُدَاسَ  
مِنَ النَّاسِ.

أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ  
عَلَى جَبَلٍ، وَلَا يُوقِدُونَ سِرَاجًا وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ،  
بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِكُلِّ مَنَازِلٍ فِي الْبَيْتِ. فَلْيُضِيءِ  
نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ،  
وَيُحَمِّدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.»

لنفكر في معنى هذا الكلام وفي فرص الافتداء التي يقدمها الرب لنا.

إن دعوة ملكوت الله، هي دعوة  
للخروج إلى العالم، وليس للخروج منه.

## كيف نصير ملحًا: الخروج للآخرين

يتحدى تشبيهاً بالملح رغبتنا الدائمة في الانعزال، لأن الملح لا يقوم بدوره كمانع لفساد التربة ما لم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمادة المتحللة. وتعتبر هذه الدعوة، دعوة غير سهلة وغير مريحة، لأنها تجذبنا بعيداً عن راحتنا داخل العلاقات الجيدة التي تحولت بالفعل وتغيرت بتأثير الملك. ولكننا نحيا وفقاً لهويتنا الحقيقية ووفقاً لدعوتنا، فقط عندما نحيا وسط عالم من الناس المحطمة البائسة. فإن دعوة ملكوت الله هي دعوة للخروج إلى العالم، وليست دعوة

للخروج منه. لقد كان يسوع واضحًا في صلاته في إنجيل يوحنا ١٧: ١٥ عندما قال «لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشَّرِّيرِ». وكلامه هذا لا يعطي مجالًا للشك أو التساؤل. نحن مدعوون أن نحيا في العالم، على الرغم من أننا لسنا منه. كثيرًا ما يتجنب المؤمنون هذه الدعوة لما تتضمنه من تحدي فهم يترجمون دورهم كملح ترجمة سلبية. لقد أعلنوا عن تجنبهم للأشياء السيئة الموجودة في الثقافة وأصبحوا معادين للأشياء.

يسلط تشبيه الرب يسوع للمؤمنين بالملح، الضوء على أهمية شخصياتنا. فالملح لا يكون فعالًا، إلا إذا كان مالحًا! لقد دعينا لنكون أشخاص ذوي طبيعة خاصة وأسلوب حياة مميز، حتى نترك تأثير مميز في المحيطين بنا عندما نتواصل معهم. نحن لا نتحدث عن صفات مثل الشجاعة والإيمان الراسخ فقط، ولكننا نتحدث أيضًا عن التواضع والرحمة. إن ما نقوله مهم، ولكن الطريقة التي نقول بها كلامنا مهمة أيضًا. إن ما نؤمن به مهم، ولكن إدراكنا لحقيقتنا بينما نعلن إيماننا مهم هو الآخر. لو كنت ملحًا صالحًا للاستخدام بنعمة الله، ستكون «مؤثرًا ومملحًا» والرب يريد أن يستخدم هذا الملح في العلاقات المكسورة التي هي في أمس الحاجة إليه.

ما هي فرص خدمة الناس التي يضعها الرب في طريقك؟

هل يسكن بجوارك عائلة تعاني من مشاكل؟

هل تجد في مدرسة طفلك أب أو أم مطلق أو أرمل؟

هل هناك شخص ما في كنيستك، وحيثاً ويشعر  
بالإحباط؟

هل هناك مراهق يحتاج أن يرى نموذج صحي سليم  
للعائلة؟

هل تستطيع أن تبني علاقات مع آخرين من خلال  
سلوكيات أبناءك المختلفة مع المحيطين والتي تثير  
إعجابهم وتساؤلاتهم؟

ما هي احتياجات الخدمة وأين توجد فرص تقديم الرحمة  
في مجتمعك؟

هل وضع الرب في حياتك، شخص مُسن يحتاج  
إلى الرفقة؟

هل هناك فقراء حولك؟ كيف يمكنك أن تساعدهم؟

تعطينا هذه الأمثلة، بعض النماذج، التي قد يستخدمك الرب بها  
للتحرك للخارج نحو الآخر. فأنت لست مضطراً للقيام  
بكل هذه الأدوار لأن لك أنت دورك ومسئولياتك التي تقوم بها.  
ولكن بدون شك أعطاك الرب فرص لتكون ملحاً. هل لديك أطفال؟  
إذا أنت مدعو للعناية بهم، ولكن هناك طريقة واحدة للعناية بأبنائك،  
وهي أن تشاركهم في بعض الخدمات التي أعطاه لك الرب.

الشيء المؤكد الوحيد: هو أنه من أجل أن تكون ملحًا، لا بد أن تثق في الإله الذي اختار أن يدخل إلى العالم الآثم ليفديه. وعلى الرغم من إلزامية وجودنا داخل العالم الآثم، إلا أنه يلزمنا أن نكون حكماء، وأن لا نخشى هذا العالم الذي وضعنا الله فيه. نعم، قد تزداد الأمور سوءًا. ولكن إذا تواضعت بسبب إدراكك الشخصي لتأثير الخطية السيء على حياتك، وفي نفس الوقت كنت واثقًا في نعمة الله لتغييرك، لن تخف من الاقتراب من الخطاة الآخرين اللذين يحتاجون تلك النعمة. سيستخدم الرب الظروف السيئة والمشاكل التي تختبرها في علاقاتك مع الآخرين، لتحفيز نموك في الحق.

## كيف نصبح نورًا: الترحيب

تعتبر الأشياء الجيدة التي نختبرها علامات على اقتراب ملكوت الله من حياتنا شيئًا فشيئًا. وإن كان معنى أن نكون ملحًا هو الخروج إلى العالم، فإن كوننا نورًا يتطلب الترحيب بالناس بالطريقة التي تساعدكم على رؤية تأثير ملكوت الله في علاقاتك. لقد قصد الرب من علاقاتنا أن تكون منارات في عالم مظلم، ونحن مدعوون للترحيب بالناس للدخول إلى النور. لقد تحدث الرسول بولس عن كون المجتمع المسيحي نور، في فيلبّي ٢: ١٤-١٦.

افْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ بِلاَ دَمْدَمَةٍ وَلَا مُجَادَلَةٍ، لِكَيْ تَكُونُوا  
بِلاَ لَوْمٍ، وَبِسُطَاءٍ، أَوْلَادًا لِلَّهِ بِلاَ عَيْبٍ فِي وَسْطِ جِيلٍ  
مُعْوجٍ وَمُلْتَوٍ، تُضِيئُونَ بَيْنَهُمْ كَأَنْوَارٍ فِي الْعَالَمِ. مُتَمَسِّكِينَ

## بِكَلِمَةِ الْحَيَاةِ لِأَفْتِخَارِي فِي يَوْمِ الْمَسِيحِ، بِأَنِّي لَمْ أَسْعَ بِاطِلًا وَلَا تَعَبْتُ بِاطِلًا.

يدعونا بولس الرسول في أفسس ٥ : ١١ إلى أن «نوبخ» «أعمال الظلمة» الأصل اليوناني لكلمة «توبيخ» الظلمة التي يستخدمها بولس الرسول لا تعني «أن نشير بإصبعنا ولا أن نحكم على الآخرين» بل تعني أن علينا أن نقنع الناس بأن الكتاب المقدس صحيح، من خلال حياتنا التي تشهد شهادة واضحة عن الله الذي جاء ليفدي الخطاة. ويواصل بولس الرسول فكرته في العدد ١٥، قائلاً: «فَانظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّذْقِيقِ، لَا كَجُهْلَاءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ، مُفْتَدِينَ الْوَقْتِ لِأَنَّ الْإِيَّامَ شَرِيرَةٌ.» يجب أن تكون حياتنا وعلاقتنا في المسيح أكثر إقناعاً للآخرين من ملذات الخطية المؤقتة.

ستكشف طريقة تعاملنا مع الآخرين،  
حقيقة عبادتنا ولاهوت حياتنا.

ضع في اعتبارك أن أكثر ما يقنع الناس بالرغبة في التغيير هي حاجتك للنعمة. فخدمتنا ليست مثل تلك الخدمات التي يمكن أن تُبنى على أساس أفضليتك، تقول بها، «لقد نجحت أما أنت فتحتاج إلى النعمة». بل هي خدمة تخدمها في سياق خطاياك وصراعاتك الشخصية وإدراكك الكامل لضعفك حيث يستطيع الآخرون أن يروا محبة الرب وقوة الملك بكل وضوح. يستضيف كل منا (بول وتيم)

العديد من الناس في بيته، ففترات طويلة من الزمن. وعادة ما يقول لنا ضيوفنا أن أكثر الأشياء التي أثرت في حياتهم خلال فترة تواجدهم معنا (بالإضافة إلى كل الأشياء الجيدة الأخرى التي لاحظوها) أنهم رأوا خطايانا وحاجتنا اليومية للنعمة. إن أحد علامات وجود ملكوت الله في داخلنا هو ذلك الوعي المتضع بوجود الخطية وبقدرتها على جذبنا، والصلاة والصراخ بصورة يومية طلبًا للمعونة.

ما هي الفرص المتاحة لك لتدعو الآخرين إلى النور حتى يروا ملكوت الله؟

هل لابنك صديق قد يستفيد من قضاء بعض الوقت في منزلك؟

هل يمكنك دعوة زميل لك في العمل على العشاء ومشاهدة فيلم مع أصدقائك؟

هل تعرف شخصًا مسنًا يعيش وحيدًا وقد يستمتع بوجوده وسط أسرته خلال عطلتك الأسبوعية؟

هل هناك شخص مثقل أو في أزمة ويحتاج إلى مكان للراحة؟

هل تجد وسط جيرانك عائلة تحب أن تقضي وقت مع عائلتك؟

هل تعرف زوجين أصغر منك سنًا يحتاجان إلى إرشاد في علاقتهما الزوجية من زوجين أكبر منهم؟

إذا كنت عازبًا، هل تحتاج أسرة ما، لديها أطفال  
أن تستفيد من مساعدتك لهم؟ كيف يمكن أن تكون  
مساعدتك لهم سبب بركة لك؟

أنت غير مدعو للقيام بكل هذه الأشياء طوال الوقت. ولكن عليك  
أن تفكر في طرق مناسبة يمكنك بها أن تدعو الناس إلى داخل حياتك  
وأن تبدأ في اغتنام الفرص بطرق عملية.

## الأبطال المجهولون

تدور قصة بن وإبرين، حول الزوجين المجهولين، اللذين لم يتم  
الكشف عن إسميهما وحول كنيستهم. فإن هذان الزوجان العاديان،  
بالرغم من كل ضعفاتهم وبالرغم من فشلهم في كثير من الأشياء،  
إلا أنهما كان لديهما شيئًا صحيحًا في علاقتهما. فقد علما أن الأشياء  
الجيدة التي فعلها الرب لهما، لم يقصد بها أبدًا أن تبقى لأنفسهم،  
بل كانت أدوات استخدمها الرب في حياتهم. فهذه هي الطريقة  
التي تعمل بها تدبيرات الرب. فهو يصدق بنعمته وبركاته على الخطاة  
بحيث يمكنهما أن يفعلوا نفس الشيء للأخرين باسمه.

## خدمتنا الحقيقية هي العبادة

إن الدعوة التي نتحدث عنها في هذا الفصل، ليست دعوة للخدمة  
فقط، بل هي دعوة إلى العبادة. قد تستغرب هذه الجملة، ولكنك عندما  
تخدم الآخرين، لا تخدمهم وحدهم، بل تخدم الملك - وخدمة الملك  
تسمى عبادة. فإن محبتك للرب سوف تعلن عن نفسها دائمًا عن طريق

محبتك للآخرين. سيؤدي شعورك بالشكر تجاه ما عمله المسيح لحياتك، دائماً إلى مشاركتك الآخرين بالبركة التي باركك الرب بها. إذ أنك ستعبر عن تمتعك بمزايا غفران المسيح لك، بصورة دائمة في شكل غفران للآخرين. وسيؤدي امتنانك لمحبة الرب المتواصلة لك، إلى ملاحقة الآخرين بالمحبة المتواصلة- حتى لو رفضوا تلك المحبة. شكرك وعرفانك لاختيار المسيح بالدخول إلى عالمنا سوف يجعلك دائماً على استعداد للدخول إلى داخل حياة شخص آخر. تدرك العبادة أن علاقاتنا الجيدة لم تأتي أو تحدث من تلقاء نفسها ولا بسبب شطارتنا وقدرتنا، ولكنها حدثت بسبب عمل المسيح. ولذلك هي ليست ملكاً لنا بل هي ملك للمسيح. لذلك لا يمكننا أن نكنز هذه العلاقات، أو نحفظ بها لنتجمل بها، بل يتوجب علينا مشاركتها مع الآخرين. ترتبط استجاباتنا وردود أفعالنا تجاه الآخرين دائماً بردود أفعالنا تجاه عمل يسوع. إذ أن طريقة تعاملنا مع الآخرين، ستكشف حقيقة عبادتنا ولاهوت حياتنا. لقد أكمل يسوع الفجوة بين علاقاتنا الرأسية وعلاقاتنا الأفقية بهذه الكلمات المذهلة والتي تحثنا على التواضع التي قالها في متى ٢٥: ٣٤-٤٠:

«ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: «تَعَالَوْا يَا مَبَارَكِي أَبِي، رَثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مِنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لِأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَأَوَيْتُمُونِي. غُرِيانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَرَزْتُمُونِي.» مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ.»

«فَيَجِيبُهُ الْأَبْرَارُ حِينَئِذٍ قَائِلِينَ: يَا رَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا  
فَأَطَعْنَاكَ، أَوْ عَطَشْنَا فُسَقَيْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيبًا  
فَأَوْيْنَاكَ، أَوْ غُرِيَانًا فَكَسَوْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضًا  
أَوْ مَحْبُوسًا فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟»

«فَيَجِيبُ الْمَلِكُ وَيَقُولُ لَهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنْتُمْ  
فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدٍ إِخْوَتِي هؤُلَاءِ الْأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ.»

ألست فرحًا لأن هذا هو بالضبط ما فعله يسوع لك؟

تيموثي لين، المدير التنفيذي لهيئة المشورة المسيحية والأساس التعليمي (CCEF)، عضو في هيئة التدريس، وله خبرة ٢٥ سنة في المشورة، منهم ١٠ سنوات عمل فيها كراعي. اشترك في كتابة كتاب **كيف يتغير الناس**، وهذا الكتاب **العلاقات: مادة خام جديرة بالاستثمار** (متاحان باللغة العربية)، كما إنه اشترك في إعداد **منهج التغيير وعلاقاتك** و**منهج كيف يتغير الناس**، وهو مؤلف الكتيبات التالية: **الصراع، الخلافات العائلية، الغفران للآخرين، الحرية من الشعور بالذنب** (جميعها متاحة باللغة العربية)، والعديد من المقالات المشورية. تيم وزوجته باربارا آباء لأربعة أطفال.

**بول ديفيد تريب**، هو رئيس هيئة CCEF، وهي هيئة خدمية لا تهدف للربح وخدمتها هي ربط قدرة الرب وقوة يسوع المحررة والمغيرة للحياة بحياتنا اليومية. يتحدث بول بصورة أسبوعية منتظمة في أماكن مختلفة حول العالم وفقاً لجدول هذه الهيئة. بالإضافة إلى أن بول من فريق الخدمة الرعوية في عاشر كنيسة مشيخية في فيلادلفيا؛ وهو قائد وأستاذ قسم الرعاية بحياة الرعاة (Pastoral Life & Care) في معهد الفادي للدراسات اللاهوتية في دالاس، تكساس؛ وهو المدير التنفيذي لمركز هيئة العناية بحياة الرعاة في مدينة فورت وورث بتكساس. يعتبر بول أفضل كاتب وأكثرهم شعبية وكتبه هي الأكثر مبيعاً فقد كتب إحدى عشر كتاباً عن الحياة المسيحية منها المرجع الشهير **أدوات بين يديّ الفادي**، وكتاب **حرب الكلمات** (متاحان باللغة العربية)، والكثير من الكتيبات الصغيرة مثل (جميعها متاحة باللغة العربية). بول تزوج من لويلا منذ العديد من السنوات ولديه أيضاً أربعة أطفال.

